صخرة الكونين وبرزخ البحرين

الكتاب/ صخرة الكونين وبرزخ البحرين

الكاتب/ كريم محمد الجمّال

مراجعة لُغوية/ محمد جهاد

تنسيق/ أحمد جمال إسماعيل AGI

تصميم الغِلاف/ زينب عرفة

الطبعة الأولى

نشر إلكتروني

حقوق النشر محفوظة كاملة للكاتب كريم محمد الجمّال..

صخرة الكونين

و

برزخ البحرين

كريم محمد الجمّال

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

المقدمة

طالما سألت نفسي حين قرأت نصوص المحبين من الشعراء والمتصوفة وأصحاب المقامات؛ هل نحن حقًا نحب الله؟ هل كانت وحشة تلك التي دفعتهم إلى طريق السالكين؟ وكيف كانت التجربة الروحية نحو الارتقاء؟. وتلك الإبداعات التي وصلتنا من نصوص المحبة وفيها الكثير من الجمال؛ هل كانت صياغة جيدة تكمن فيها الصنعة أم الفتوح أم الإثنين معًا؟

وتأتيني كلمات الشاعرة : جيهان بركات بملامح نصوص صوفية في عصر ركضت ماديته وداست على الكثير من الأرواح الضالة ؛ تقول في نص "شِرْعَة":

آمنتُ

ما في الحبِّ أنتَ ولا أنا

إنَّا بدينِ العشقِ

نسلمُ للحبيبِ ولاءَنا

هذي

فيوضُ الوَمْضِ

تُسْكَبُ في اختلاجِ النَّبْضِ

يغدو الطينُ

مرآةَ السنا

"وتقول في نص " على ايقاع جمر

أقْبِلْ

لأغفوَ ثم أسْلِمَ

– ما تبقّى من غدي – طوْعًا

رغيفًا من طحين رضايَ

معجونًا بماءٍ من يقينِ شهادتي

وأغيبَ لا بي لاعجاتٌ للحياةِ

ولا عليْ

وتقول أيضًا:

كأسُ انتظاري..

أترعتْها أدمعي

وأنا أخففُ خصرَ أيامي النحيلَ

من التنانيرِ الثِّقالِ

وأرتجي..

وجهَ السماءِ بساعِدَيْ.

وأذكر أن أحد الرجال المعاصرين بالإسكندرية وكان أستاذا بالجامعة- أحسبه توفاه الله الآن- وكان جده من مشايخ الطريقة الشاذلية- كان يسافر هنا وهناك، يُعرف الناس بالإسلام- لا تعجب فما زالت هناك مناطق في العالم لم يصلها أي من وسائل التكنولوجيا- وكان يدعو بعض الأجانب إلى تجربة "الحضرة" التي يقيمها في مسجده أحيانًا، في أحد أيام شهر رمضان وفي صلاة التراويح ونحن نتفقد ليلة القدر أراد أن يخبر الناس شيئًا، لكنه عدل قائلًا: إذا كان السابقين لم يفصحوا عما رأوه، فلماذا أفصح أنا

ولا جدال أنه قد اختلطت في سِيّر المتصوفين وأصحاب المقامات الحقائق بالخيال، والكرامات بالأوهام ، وحكايات لا نعلم عن حقيقتها شيئًا، وقد يرفضها العقل، وبالعقل أيضًا قد يقبلها

بما يصدق من وجود الميتافيزيقا في عصور التكنولوجيا الرائجة. ولكن تبقى حقيقة التجربة وما أعلنه أصحابها وما لم يعلنوه من السر وسر السر، وما لمسوه من القرب الذي أحسب أننا لن نقرأه في كتاب؛ فمتى كتب أحد عن خاصة الخاصة! في هذا الكتاب يجمع الكاتب: كريم محمد الجمال، سير هؤلاء الذين كان لهم من الشهرة الكثير وأيضًا الذين لم يحظوا بنفس القدر من الضوء رغم وجودهم الفاعل في أزمانهم. باختصار يلخص تاريخهم، خطواتهم التي ساروا عليها، انتمائهم المكاني والروحاني، وما تركوه من علامات أو كتابات ظلت باقية حتى الآن. يورد لنا بعضها وينتقي من كتاباتهم ما يفصح عنهم

وقد دأب كريم الجمال على البحث والتبئير في كتبه على المتن، لا يرصد ملامح أو عناصر وإنما ينفذ إلى قلب الأمر الذي يعني به، مثل كتابنا هذا الذي يمكن اعتباره مرجع مُلَخص لمن أراد الإطلاع على سير المتصوفة وأصحاب الطرق دون البحث وبأسلوب سهل دونما تعقيد

وأثمن جهود كريم في البحث الجاد، في الوقت الذي تتجه فيه كل الجهود نحو انجاز الروايات، وحيث يُخْلط التاريخ بالخيال وتضيع الحقيقة من أجل تحقيق نجاحات والحصول على جوائز. يأتي كريم الجمال مركزًا جهوده في البحث والتنقيب عن الحقائق والحقيقيين مثلما قدم "للمكتبة العربية كتابه: " نساء لا يدخلن الجنة

وأحسب أن الكاتب الواعد الذي يهتم هكذا بالبحث الجاد، ويعرف الطريق جيدًا في مقتبل شبابه، أحسب أنه سوف يضيف للمكتبة على مر الوقت الكثير مما يفيد ويمتع { وأما الزبد {فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض

وإذا كان الكتاب يعني بفترة من التاريخ، وإذا كان كريم قد وفَّى في تقديمه وتبئيره على السابقين، أقول أن لكل زمان صوفييه ومتصوفته. لا نعلم من وصل للسر .. من يسعى .. ومن توقف على الدرج. ويظل السؤال: هل حقًا أحببنا الله؟

الله الموفق والمستعان

منال يوسف

الإهداء

أكتب ضد الطائفية والمذهبية والتعصب والعنف، أحاول أن أحافظ على أحلامي كإنسان يحلم بغد أفضل

ـ لأطفال اليمن وفلسطين تحت الحصار من أجلكم أكتب هذا الكتاب

شكر خاص:

ـ الكاتبة الكبيرة الأستاذة منال يوسف

ـ المطربة السورية الراقية رشا ناجح

ـ صديقي العزيز زياد أبو الفضل

ـ زملائي في العمل ،وفي المبادرات الثقافية والعمل العام

كريم محمد الجمّال

مقدمة الكاتب

كلما احتدمت الأحوال وتعقدت الظروف المحيطة بنا طاشت وتاهت عقول البشر رغبةً منهم في محاولة فهم وتفسير الواقع للتنبؤ بالمستقبل؛ ومن ثَم البُعد عن المخاطر والمخاوف ليتحقق لهم الشعور بالأمان.

وكل الأسباب الأرضية البشرية قد لا تكفي لتحقيق وتوفير هذا الإحساس بالأمان والطمأنينة؛ فيلجأ الإنسان إلى السماء وأسبابها العليا التي تفوق طاقة وتصور البشر، ولهذا كان الدين عنصرًا قويًّا وأساسًا في حياة الشعوب، ونحن كأمة ذات تاريخ طويل مرتبط بالدين وبالتدين فإن اللجوء إلى الله ـ عز وجل ـ في الشدائد سمة أساسية في تاريخنا وفي حياتنا المعاصرة، وتزداد هذه الحاجة بشدة مع طغيان الجوانب المادية في الحياة، والثورة التكنولوجية الضخمة المستمرة التي لا نستطيع أن نتخطاها ولا نجاريها بل نتوقف أمام كتاب التاريخ موقف المتفرج أحيانًا، وموقف الساعي اللاهث ليلحق بقطار أسرع من الصوت ومن الضوء أحيانًا.

وأنا كأحد المؤمنين بربط التاريخ بالحاضر لنصل للمستقبل فإن أمتنا بتاريخها وتراثها لم تتقدم وتشارك في كتاب التاريخ بصفحاته المشرفة إلا من خلال السبب السماوي الإلهي الذي استودعه الله العلم والحكمة واصطفاه للرسالة والكتاب وهو النبي محمد صلى الله عليه وآله.

فهذا النبي لم يأت بالسيف ولا بالمال، وإنما جاء بالحب لينشر نور الله وكلامه في أنحاء العالم المظلمة، أتى لينقذ أرواحًا متعبة من الحياة وظروفها القاسية، وفي حياتنا المعاصرة لم تتغير الظروف كثيرًا في عالم تسود فيه الكراهية ويأكل القوي الضعيف وتبغي الأمم على بعض، ويموت ضمير الإنسان ويسكت صوت الحق.

وما أشد احتياجنا للحب، حب الله ورسوله وكتابه وحب الوطن وحب العالم أجمع، ونحن في هذا البحر متلاطم الأمواج لا بد أن نأوي إلى صخرة تعصمنا من الماء، نعتمد ونستند عليها في حياتنا لننجو في الدنيا وتوصلنا إلى بر الأمان في آخرتنا، وما من سبيل لنصل إلى تلك الصخرة المشرفة المعظمة في الكونين والعالمين (الحسي الظاهري والمعنوي الباطني) لإرضاء عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إلا باتباع تعاليم رسول المحبة والسلام ونشر رسالته، ولكي لا تغمرنا مياه البحرين بحر الدنيا وبحر الآخرة فنغرق ونكون من الهالكين لا بد لنا من برزخ نلجأ إليه ونحتمي به لنصل على طريقه ودربه إلى صراط الله المستقيم.

ولهذا فلم يكن من المستغرب أن يتسابق ويتنافس المحبون والعاشقون لهذا الرسول الأعظم صخرة الكونين وبرزخ البحرين في مدحه ووصفه وذكر محاسنه وخصاله الإلهية وقد زكاه ربه بقوله

(وإنك لعلى خلق عظيم)، ليكون لنا مثالًا وقدوة كما قال تعالى (ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة). وكان من أصحابه من قدم له روحه وحياته مثل الخليفتين الأول والرابع في حادثة الهجرة ومنهم قدم ماله في الغزوات، ومنهم من كان شاعرًا فمدحه مثل حسان بن ثابت وكعب بن زهير رضي الله عنهما بقصائدهما التي دافعت عن دين الله ونافحت عن رسوله وكتابه، وسار على نهجهما الكثير حتى يومنا هذا وإلى قيام الساعة.

ومن فضل الله علينا ومن كرمه ببركة نبيه أن جعل كرامات لأوليائه والصالحين من عباده، فمنهم من كان مستجاب الدعوة، ومنهم من كان يتشبه به جبريل عليه السلام فيأتي في صورته مثل دحية الكلبي، وأحيانًا كان الصحابة يرون جبريل عليه السلام كما أخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث المسافر الذي سُئل فيه الإسلام والإيمان والساعة، ومنهم من كانت الملائكة تستحي منه كعثمان بن عفان، و منهم من كانت الملائكة تتنزل لتسمع تلاوته للقرآن كأُسيد بن حُضير. ولم تكن تلك الكرامات مقصورة على عهد النبوة فقد استسقى عمر بالعباس عم النبي رضي الله عنه، وفي إحدى المعارك وقف عمر على المنبر في المدينة ينادي "يا سارية الجبل الجبل"، ليسمعه سارية في المعركة ويتحقق الانتصار بصوت سمعوه ولا يعرفون مصدره .ومثلما كان أبو أيوب الأنصاري يتبرك بقبر النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته. وظلت تلك البركات والأفضال الإلهية على عباده الصالحين ببركة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

إن أمة الإسلام لم تكن بعيدة عن القيم الإنسانية والفكرية والفلسفية في العالم عبر التاريخ وهي التي انتشرت دعوتها في العالم أجمع وبالأخص إذا ارتبطت بالحب، ولذلك ارتبط الإسلام بالتصوف والزهد وعبر أولئك المادحون والمحبون عن ذلك الحب العميق للنبي صلى الله عليه وسلم ولله عز وجل بالقصائد والأوراد والأذكار وبالعمل الصالح استمرارًا لمسيرة قديمة وقيم أصيلة غرسها أهل الصفة من الفقراء ومعهم أبو هريرة رضي الله عنه راوي حديث النبي، وما تعلمناه من سنته وسيرته من محبته للفقراء وامتداحه لهم ففقراء المهاجرين هم أول من يدخل الجنة وليس فقرهم فقر مال وإنما فقرهم كان إلى الله وحده وهي أكبر نعمة واصطفاء من الله.

ومع هذه الأمواج العاتية من حب الدنيا والمال والجاه في عالم تغيب عنه القيم، كنا في أشد الحاجة لاستعراض بعض أحوال المحبين والأولياء التي عبروا عنها ببليغ العبارة وجزيل اللفظ والمعنى شكرًا لله تعالى وامتنانًا لمن مد لهم يد العون والنجاة لعلنا نلحق بهم وننجو معهم على نعمته الكبرى خاتم الأنبياء والمرسلين وصخرة الكونين وبرزخ البحرين

..

كريم محمد الجمّال

البوصيري

أجمع المسلمون منذ قرون على محبة المدائح النبوية، وتسابق الشعراء والمحبون في التأليف والنظم

والإنشاد، وظل الناس يحفظون كلمات تلك القصائد لسنوات طويلة ويتباركون بها ويرددونها بكل محبة لمقام الحبيب الشفيع المصطفى عليه الصلاة والسلام في أكثر المناسبات، وأشهر الشعراء المادحين المحبين بعد شاعر الرسول الصحابي حسان بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن زهير هو الإمام شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري رحمه الله رحمة واسعة وقصيدته العظيمة التي ملأت الآفاق وملكت قلوب الناس إلا قلوبًا عليها ران منغلقة لا تعرف المحبة، القصيدة المسماة الكواكب الدرية في مدح خير البرية المشهورة على ألسن الناس باسم البردة، وقد ألهمت البردة الشريفة عديد الشعراء لنظم مزيد من القصائد والمدائح النبوية حتى كان يحفظها كثير من طلبة العلم الشرعي في مشارق الأرض ومغاربها، وقام بشرحها العديد من العلماء والمشايخ.

ولد الإمام البوصيري في مصر عام ٦٠٨ هجريًّا ١٢١٣ ميلاديًّا، في بلدة "بوصير" التابعة لمحافظة بني سويف في شمال الصعيد حاليًّا لأب من قبائل صنهاجة الأمازيغية المغربية وأم مصرية، وتتلمذ على يد الولي الصالح أبي العباس المرسي ودفن مثله بالإسكندرية عن عمر ٨٧ عامًا.[1]

للبردة الشريفة مواعظ وحكم وأسرار روحية كذلك لها قصة مع الإمام البوصيري يقول البوصيري عن سبب نظمه لهذه القصيدة: كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، منها ما اقترحه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أن داهمني الفالج (الشلل النصفي) فأبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه فعملتها واستشفعت بها إلى الله في أن يعافيني، وقررت إنشادها، ودعوت، وتوسلت، ونمت فرأيت النبي

---

[1] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، محمد بن سعيد البوصيري، https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D8%B5%D9%8A%D8%B1%D9%8A

فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتبهت ووجدتُ فيّ نهضة، فقمت وخرجت من بيتي، ولم أكن أعلمت بذلك أحدًا، فلقيني بعض الفقراء فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: أي قصائدي؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها وقال: والله إني سمعتها البارحة وهي تنشد [2]بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأعجبته وألقى على من أنشدها بردة. فأعطيته إياها. وذكر الفقير ذلك وشاعت الرؤيا، ولهذا كانت تسمى البراءة.

أبيات مختارة من البردة الشريفة [3]

مولاي صلِ وسلم دائمًا أبدًا على حبيبكَ خير الخلق كلهمِ

لولا الهوى لم تُرق دمعًا على طللٍ ولا أرقت لذكر البان والعلمِ

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عُرْب ومنْ عجم

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هولٍ من الأهوال مقتحمِ

دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبلٍ غير منفصمِ

فاقَ النبيين في خَلقٍ وفي خُلُقٍ ولم يدانوه في علمٍ ولا كرمِ

---

[2] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، قصيدة البردة

https://ar.m.wikipedia.org/%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D8%AF%D8%A9_(%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D8%B5%D9%8A%D8%B1%D9%8A)

[3] نفس المصدر السابق

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ غرفًا من البحر أو رشفًا من الديمِ

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى ذاته ما شئت من عظمِ

فإن فضل رسول الله ليس له حدٌ فيعرب عنه ناطق بفمِ

فمبلغُ العلم فيه أنه بشرٌ وأنه خير خلق الله كلهمِ

***

ابن عربي

وإذا ذكر التصوف في الإسلام ذكر محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي رحمه الله الملقب بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، المولود يوم الاثنين السابع عشر من رمضان سنة ٥٦٠هـ بمرسية بالأندلس، والمتوفى بدمشق سنة ٦٣٨هـ، هو أحد الأئمة الأعلام والورثة المحمديين الذين جمع الله لهم بين سمو شرف العلم وعلو درجة الولاية، وهو من كبار أهل الله تعالى، وكان فقيهًا على مذهب الإمام داود الظاهري،[4] وعقيدته هي عقيدة الأشاعرة أهل السنة والجماعة، وقد ذكرها في أول الفتوحات المكية وكتب عليها:

ليس في هذه العقيدة شيء يقتضيه التكذيب والبهتان
لا ولا الذي خالف العقل والنقل الذي قد أتى به القرآن
وعليها للأشعري مدار ولها في مقاله إمكان

[5] ناصبي عند غلاة الشيعة، وكثير من السلفيين يصفونه بالكفر والشرك والزندقة والفجور ولكن غالبية علماء المسلمين من أهل السنة تأثروا به وعلموا فضله وجهده وعلمه الغزير وما قدمه للمسلمين من مؤلفات تفيض حكمة ربانية وعلومًا لدنية وأشعارًا ومدائح إلهية تفيض بالتأمل والتفكر، والمشكلة في فهم فلسفة ابن عربي أن خطابه ليس للجميع من العوام وإنما لخواص الخواص فهو يحتاج لذوق وفهم وليس مجرد قراءة بالنظر ولكن لا بد من استشعار كلماته بالحواس كلها، وكذلك هناك مشكلة أخرى كبيرة هي استعمال المصطلحات، فالصوفية يستخدمون لغة الرموز فلا يفهم غير الصوفي المعنى المقصود فهذا القصور اللغوي بين المتصوف وبين عامة الناس يُحدث خللًا في الفهم أو سوء فهم، كما أن قِدَم الطبعات وقلة شروحها في وقتها مع تنقل العلماء وعدم استقرارهم في بلادهم وأحيانًا التأليف بلغات غير

---

[4] دار الإفتاء المصرية ،محي الدين بن عربي ،

http://www.dar-alifta.org/ar/ViewFatwa.aspx?ID=14254&LangID=1&MuftiType=0

[5] ظل الإله وهراوة الرب ،كريم الجمال ،ص ٨٦

العربية كلها تضر بالمضمون العام لهذه المؤلفات النفيسة عالية المقام وبالتأكيد وجود مغرضين أعداء للإسلام مستترين بستار الدين يتعمدون الإساءة إليه وهدمه من الداخل وتلويث عقائده ووجود الجهال والمنتفعين من وراء ذلك وأصحاب العقائد الباطلة الهدامة كأهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود والمجسمين والمشبهين، وساهم بشكل كبير الصراعات السياسية في إفساد صورة التصوف الزاهية النقية الصافية كما أنزلها الله في القرآن وعلمها النبي للصحابة وسار عليها المسلمون الأوائل وإليه تنسب الطريقة الأكبرية، وتنقل ابن عربي بين الأندلس والمغرب والقاهرة والشام والحجاز والعراق ولقب بالكبريت الأحمر، ويقول ابن عربي رحمه الله[6] (من قال بالحلول فدينه معلول وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد)، (الله تعالى واحد بالإجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أو يحل هو في شيء أو يتحد في شيء).كان لابن عربي تصور أن الله عز وجل كإله عظيم كامل لا بد أن يرسل إنسانًا كاملًا (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)، وهذا الإنسان الكامل هو النبي محمد أو أي نبي في زمنه وأفضلهم محمد صلى الله عليه وآله ومما يدعي بعض الجهلة أن ابن عربي رحمه الله قال: إن الولي أفضل من النبي هو محض كذب أو جهل فإن مقام النبوة هو أعلى درجات الولاية، ويقول الله عن الخضر العبد الصالح (وعلمناه من لدنا علمًا).ويقول ابن عربي عن الله تعالى (إله واحد لا ثاني له وألوهيته منزهة عن الصاحبة والولد لا شريك له ولا وزير له، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده بل كل موجود سواه يفتقر إليه، فالعالم كله موجود به وهو وحده متصف بالوجود لنفسه ليس بجوهر متحيز فيقدر له مكان ولا بعرض فيستحيل إليه البقاء ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء مقدس عن الجهات والأقطار مرئي بالقلوب والأبصار – في الآخرة – إذا شاء استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذي أراده وله الآخرة والأولى ليس له معقول وإن دلت عليه العقول لا يحده زمان ولا يقله مكان وهو على ما عليه كان وقال: إن الواحد الحي ولا يرجع إليه صفة كم .تعالى أن تحده الحوادث أو يحلها أو تكون بعده أو يكون قبلها بل يقال كان ولا شيء معه فإن الله قبل والبعد من صيغ الزمان الذي أبدعه فهو القيوم الذي لا ينام والقهار الذي لا يرام وليس كمثله شيء)، ويعتقد أن لله تعالى صفات الخلق والعلم والإرادة والسمع والكلام والتنزيه والأمر. وتحدث باستفاضة عن الحكم من الإسراء والمعراج والقرآن وقصص الأنبياء في رائعته فصوص الحكم ومن قبله مؤلفه الكبير الفتوحات المكية.

---

[6] نفس المصدر السابق ،

وقد أثنى على الشيخ الأكبر جماعة من أعيان العلماء وكبار المجتهدين ونعتوه بغزارة العلم وعلو درجة الولاية؛ منهم: [7]الإمام مجد الدين الفيروزآبادي صاحب "القاموس المحيط"، والأئمة: سراج الدين المخزومي، وكمال الدين ابن الزملكاني، وقطب الدين الحموي، وصلاح الدين الصفدي، وشهاب الدين عمر السهروردي، وقطب الدين الشيرازي، ومؤيد الدين الخجندي، والإمام النووي، والإمام فخر الدين الرازي، واليافعي، وبدر الدين بن جماعة، وسراج الدين البلقيني، وتقي الدين السبكي، والحافظ السيوطي، وابن كمال باشا، وغيرهم كثير.

وقد كان الإمام المجتهد شيخ الإسلام العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى (ت ٦٦٠هـ) ينكر على الشيخ ابن عربي في أول أمره، فلما عرف مقامه شهد له ورجع عن إنكاره، وقرر أن الإمام محيي الدين قطب زمانه.

من قصائده رضي الله عنه:

ما رحّلوا يوم بانوا البزّلَ العيسا [8]

ألا وقد حملوا فيها الطواويسا

من كل فاتحة الألحاظ مالكة

تخالها فوق عرش الدر بلقيسا

إذا تمشت على صرح الزجاج ترى

شمسًا على فلكٍ في حجرِ إدريسا

تُحيي إذا قَتَلت باللحظِ مَنطِقَها

كأنها عندما تُحيي بهِ عِيسَىٰ

تَوراتُها لَوحُ ساقيها سنًا، وأنا

---

[7] دار الإفتاء المصرية، محي الدين بن عربي، سبق الإشارة إليه

[8] ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق، محي الدين بن عربي، المطبعة الأمسية ببيروت

أتلو وأدرُسُها كأنّني مُوسـىٰ

أُسْـقُفَةٌ من بناتِ الرّومِ عاطِلةٌ

تَرى عليها من الأنوار ناموسَـا

وحشيَّةٌ ما بِها أُنْسٌ قد اتَّخَذَتْ

في بيتِ خَلوتِها للذّكر نَاوُوسـا

قد أعجَزَتْ كلَّ علاّمٍ بِملّتِنَا

وداوُديًّا، وحبرًا ثمَّ قِسـّيسـا

إن أوْمأتْ تطلبُ الإنجيلَ تحسبُهَا

أقِسّةً، أوْ بطاريقًا شمامِيسـا

ناديتُ إذ رحلتْ للبينِ ناقتُها

يا حادي العيسِ لا تحدو بها العيسا

عبيّتُ أجيادَ صبري بينهم

على الطريق كراديسًا كراديسا

سألتُ إذ بلغتْ نفسي تراقيها

ذاك الجمال وذاك اللطف تنفيسا

فأسلمتْ ووقانا الله شِرّتها

وزحزح الملك المنصور إبليسا

المعنى العام للقصيدة أن الشيخ ابن عربي يصف القوافل الذاهبة للحجاز لزيارة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحالته واشتياقه لتلك الرحلة، وتذكر رحلة الإسراء والمعراج العظيمة ومثلها المعراج الروحي الذي يحدث لنفس العبد الصالح. معراج النبي يكون معراجًا حقيقيًّا بالروح والجسد وهذه خاصة له كما أوضح ابن عربي في كتابه النبي والولي. فرحلة المعراج النبوية اجتاز فيها النبي كل المراتب العليا السماوية حتى وصل إلى الحضرة

الإلهية كما جمع له الله تعالى الأنبياء ليؤمهم في الصلاة، فبركات وكرامات الولي الصالح إنما هي من معجزات النبي ومن ذلك يعلم الله عز وجل بعض الأولياء والصالحين ويمن عليهم بمكاشفات تسمى العلم اللدني مثل قصة موسى والخضر، وهذه التجليات الإلهية أو الرؤى أو الحكمة يراها ويشعر بها العبد الصالح رؤية روحانية وليس بالروح والجسد مثل النبي. لكل حكمة من تلك الحكم روحانية مميزة وقد جمع بعضها ابن عربي في كتابه (فصوص الحكم) وكل حكمة مرتبطة بروحانية من أحد الأنبياء فإن نفس العبد الصالح كلما تخلت عن الرذائل وتحلت بالفضائل يسكن نور الله في قلبه ويتحلى بالصفات الإلهية والأخلاق النبوية كقول عمر رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب عليه السلام (يا علي إنها القلوب إذا صفت رأت) وكان بعض الصالحين لشدة خشوعه في الصلاة يرى الجنة والنار والصراط وكان الصحابة يشعرون بالملائكة تقاتل معهم. وهذه القصيدة مجموعة من تجليات وصور لهذه الحكم الروحانية المتعددة مأخوذة من روحانيات الأنبياء مثل إدريس وعيسى وموسى وداود حتى محمد صلى الله عليه وسلم.

9 رحّلوا تعني جعلوا رحالها عليها، بانوا من البين وهو الفراق والرحيل، والبزل العيسا: تعني الإبل السمينة حيث كانت القوافل تغادر من المغرب العربي حيث إقامة الشيخ الأكبر إلى الحج، والطواويس كناية عن أحبته لحسن منظرهم.

المقصود: البزل الأعمال الباطنة والظاهرة فإنها التي ترفع الكلم الطيب لقوله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)، والعمل الصالح لا يكون مقبولًا إلا إذا كان صالحًا وحسنًا مثل الطواويس، فالعمل الصالح لا بد له من الإخلاص والمتابعة ومثل ذلك الطواويس لتنوع اختلافها في الحسن والجمال.

الفتك: يعني القتل، تخالها: يعني تحسبها، ومالكة: تعني حاكمة، وبلقيس: الملكة في قصة النبي سليمان.

المقصود: كل حكمة إلهية حصلت للعبد الصالح في خلوته فقتلته ومنعته عن مشاهدة ذاته والإحساس بها، قوله فوق عرش الدر إشارة إلى بعض ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام في رحلة الإسراء والمعراج وهو ما يطلق عليه رفرف الدر والياقوت عندما قال جبريل للنبي: لو تقدمت لاحترقت، ولهذا فإن تلك الحكمة الإلهية الروحانية أفضل وأجمل من الملكة بلقيس رمز الجمال كما ورد في قصة سيدنا سليمان عليه السلام.

---

[9] نفس المصدر السابق

صرح الزجاج لذكره قصة بلقيس حيث سارت على صرح من الزجاج، وشبه الصرح بألفاظ، وقوله إدريس كناية عن مقام الرفعة والعلو التي للنبي إدريس لقوله تعالى (ورفعناه مكانًا عليا) فقد قبضت روحه في السماء الرابعة، وقابله النبي في رحلة المعراج.

نبه على مقام الفناء في المشاهدة كقوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) فالمقصود ذهاب الحس والوعي، وانعدام الشعور بالنفس والعالم الخارجي وانمحاء العبد في جلال الرب. بحيث تسقط وتزول الأوصاف المذمومة وتبقى وتدوم الأوصاف المحمودة. وربط بين الإحياء والنطق لتنام التسوية بنفخ الروح، ووقع التشبيه بعيسى عليه السلام لأنه مخلوق بالنفخ من روح الله وكان من معجزاته إحياء الموتى بإذن الله.

والتوراة: تعني القانون أو التعاليم وفي لغة العرب أقرب إلى ورى وتعني توهج وأضاء، ولذلك قال سنا وهو النور.

الساق هنا جيء بها لما كنى عنه ببلقيس والصرح وكانت قد كشفت عن ساقيها أي بينت أمرها ومنه قوله تعالى (التفت الساق بالساق) أي التفت أمر الدنيا بأمر الآخرة، وألواح التوراة إشارة إلى قوله تعالى (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا)، (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة) ، فكأنه يقول إن أمر هذه الحكمة قام على النور، وورد في الأثر أن التوراة كتبت بحروف من النور على لوح من الياقوت في السماء قبل أن ينزلها الله على موسى في الألواح الحجرية، ولأنها حكمة ذات روحانية موسوية قال أتلو وأدرسها كأنني موسى، ولما كنّى عن ساقيها بالتوراة احتاج ما يناسب ما وقع به التشبيه من التلاوة والدرس والمقصود أطأ أثرها وأتتبع خطواتها بتنفيذ الأوامر والنواهي التي وردت فيها لأن التوراة كانت فيها وصايا سلوكية وأخلاقية عظيمة.

الأسقف عظيم الروم، والعاطلة الخالية من الحُليّ والناموس يعني الخير.

المقصود أن هذه حكمة لها روحانية عيسوية مسيحية ولهذا نسبها إلى الروم، وقوله عاطلة هي من عين التوحيد ليس عليها من زينة الأسماء الإلهية أثر، كأنه جعلها حكمة ذاتية لا أسمائية ولا صفاتية، فهذه الحكمة مستقاة ومستمدة من الحضرة القدسية للذات الإلهية وهي تفوق في قوتها وصفائها وتأثر الروح بها الحكمة المستمدة من أسماء الله عز وجل أو من صفاته كما ورد في الحديث عن الله عز وجل (احتجب عن الخلق بأربعة أشياء بنار وظلمة ونور وظلمة) وأن الله له سبعين ألف حجاب بين العبد وربه، هذه الحجب يطلق عليها العلماء حجب الأسماء

والصفات فهي مراتب يجتازها المؤمن حتى يصل إلى حضرة الذات مثلما حدث في الإسراء والمعراج عندما رأى النبي ربه بنور قلبه. وهذه الحكمة يظهر عليها من الخير المحض ما يكنى عنه بالأنوار وهي السُبُحات المحرقة التي لو رفع سبحانه وتعالى الحجب النورانية والظلمانية (لأحرقت ما انتهى إليه بصره من خلقه) كما ورد في الحديث، ولم يتحملها الجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا.

الناووس قبر من الرخام كان يُدفن فيه ملوك الروم.

المقصود أن هذه الحكمة العيسوية لا يقع بها بشر قط لأنها تدل على مرتبة الفناء والحرمان من مقام المشاهدة لأنوار وجه الله عز وجل، وقوله وحشية إشارة إلى وحشة النفس وعدم اللذة لأن النفس تشتاق إلى المشاهدة وليس الفناء ولذلك جعل الله رؤية وجهه من أكبر نعم الآخرة لقوله (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)، (لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد)، (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى، قوله بيت خلوتها كناية عن قلبه وفيه إشارة إلى الحديث القدسي (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)، ولما كان هذا القلب الذي وسع هذه الحكمة الذاتية العيسوية في مقام التجريد والتنزيه كان كالفلاة وكانت كالوحش فلهذا قال وحشية، وذكره مدفن ملوك الروم لكي يتذكر الموت وفراق الأحبة وهو ما يدفع الإنسان للخلوة واعتزال الناس للعبادة.

لما كانت هذه الحكمة ذاتية فإنها تتفوق على إدراك العلماء من أصحاب الرسائل والكتب المختلفة مثل القرآن والزبور والتوراة والإنجيل، لأن الكتب الأربعة لا تدل إلا على الأسماء الإلهية.

أقسة تعني قساوسة، بطاريقًا جمع بطريرك، شمامِيسا مفردها شماس وهو خادم الكنيسة.

المقصود أن كان من هذه الروحانية إشارة من كونها عيسوية إلى الإنجيل بطريق التأييد له فيما وضع له بحسب الخواطر هنا كنا لديها بمنزلة رجال الدين المسيحي وقيادات الكنيسة.

حادي العيس يعني قائد القافلة، تحدو يعني تسير، المقصود بالقافلة الخواطر والواردات القلبية.

المقصود لما أحس بانتهاء زمان الوصل وانقضاء وقت الحكمة الروحانية عن قلبه تمنى عدم حدوث ذلك وأنها لو كانت قافلة لطلب من قائدها أن يتوقف ولا يرحل.

الطريق هو المعراج الروحي، كراديس جمع كردوس ومعناها جماعات، بينهم يعني الفراق.

هنا يشبه صبره بالخيل التي حشدها على الطريق في جماعات.

التراقي عظم في أعلى الصدر، بلوغ التراقي يعني خروج الروح.

الجمال واللطف صفات من الله عز وجل، كذلك التنفيس من نَفس الرحمن ومعناه الرحمة، ويقصد هذه الرحمات الربانية التي تأتيه وتحمل إليه الأحوال والواردات والخواطر القلبية والروحانية كتسلية وتصبرة له على الفراق.

شرتها: تعني شدتها في الشر، الملك المنصور يقصد الشيخ نفسه أو قرينه من الملائكة.

البيت إشارة إلى الحديث النبوي (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا :وإياك؟ قال وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ فلا يأمرني إلا بخير)، ويستعيذ الشيخ من أن يضله الشيطان ويزين له الاعتقاد الخاطئ وهو القول بالحلول والاتحاد وهي عقيدة الزنادقة الذين يقولون إن الله يحل في مخلوقاته ويتحد الخالق بالمخلوق اتحادًا حقيقيًّا عضويًّا وهي تنافي وتضاد اعتقاد الشيخ في التنزيه والتوحيد، فلما تجاوز الشيخ بفضل الله محاولات الشيطان لإضلاله كما أضل كثيرين من العباد والصالحين وأوقعهم في الرياء وحب الدنيا والقول على الله بغير علم أوصله الله إلى مقام رفيع وصار عبدًا ربانيًّا ووليًّا تقيًّا صالحًا كما ورد في الحديث القدسي (من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب..... حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه).

لقد صار قلبي قابلاً لكل صورة [10]

فمرعى لغزلانٍ ودير لرهبانِ

وبيت لأوثانٍ وكعبة طائفٍ

وألواح توراةٍ ومصحف قرآنِ

أدينُ بدينِ الحبِ أنى توجهتْ

ركائبهُ فالحب ديني وإيماني

[10] نفس المصدر السابق

إنما سمي القلب من تقلبه لتنوع التجليات والواردات وخواطر الخير والشر عليه، ويقول الشيخ ابن عربي وغيره كثير من العلماء والفقهاء والفلاسفة بمبدأ وحدة الوجود، وهو مفهوم فلسفي وجودي يبحث العلاقة بين الإنسان وبين الله عز وجل وبين الكون، وله تفسيرات متعددة منها ما يمتد لفلسفة اليونان والهند القديمة، كالذين يقولون بقِدم العَالم وهو مخالف للشرع الحنيف ويطلق عليهم الدهريين أو الملاحدة الذين لا يرون أن للكون خالق ويعتقدون أن الكون نشأ من تلقاء نفسه لا من قوة إلهية من خارجه، وذهب بعضهم إلى القول بأن الله والعالم وحدة واحدة وأن الله يظهر في العالم والمخلوقات، وقال بعضهم إن الله والإنسان والكون وحدة واحدة ولذلك فإن الله قد يظهر في أي صورة كالنبي أو الإنسان أو الحيوان أو النبات، وكل تلك الآراء الباطلة تنشأ من الاعتقاد الباطل في الحلول والاتحاد وذلك ينافي العقل والمنطق ويتعارض مع صريح نصوص الشرع الحنيف، وأطلق عليها كثير من الباحثين مصطلح وحدة الوجود العضوية مثل د عبد المسيري في كتابه اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، أما مذهب وحدة الوجود عند ابن عربي وغيره من العلماء والفلاسفة المسلمين أن الكون ليس سوى الجزء المرئي من الله ووظيفة البشر هي إحلال الكمال الروحي على الصعيد المادي ويمكننا القول إن اعتقاد ابن عربي أن الأشياء كلها ليست سوى تجليات لمظهر واحد أوحد، فالكون مثل المرآة وكل المخلوقات هي صور للحقيقة الثابتة الوحيدة وهي الخالق عز وجل. إن الله عز وجل وصف نفسه بقوله (الله نور السماوات والأرض)، وقال أيضًا (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) وبقياس الظل إلى النور فيكون الظل رمزًا إلى السوى أو كل ما دون الله عز وجل وسواه من الكون والمخلوقات ويدل على ذلك قوله (ولو شاء لجعله ساكنا) فإن الوجود كله وحدة واحدة وليس يعني هذا أن عين الخالق هو عين المخلوق فذلك كفر لا ريب فيه، بل يعني أن المخلوق يستمد وجوده من الله ولا وجود مستقل منفصل لذاته بل وجوده ممنوح له من وجود الله الذي تجلى على المخلوقات بصفاته ومنها صفة الحياة لقوله تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت). من الصور العجيبة المحببة للإنسان مرعى الغزلان لأن فيها رمزًا للسارحين السائحين مثل الدراويش والنُسّاك قديمًا يجوبون ويرتحلون في البلاد بحثًا عن المعرفة والتأمل ومثال على ذلك الرهبان في أديرتهم.

وبرغم تعدد الصور أو المخلوقات فإن التعلق بها إشراك بالله وعين التوحيد والتنزيه المطلق لله عز وجل هو التعلق به وحده فكل ما في الكون يؤدي إلى معرفة الله، وحتى الأديان المخالفة للإسلام تدل عليه لأن الأشياء تتعين وتعرف بضدها.

11 دين الحب هو الإسلام وهو دعوى التوحيد لأن دين الأنبياء جميعهم واحد مع تنوع الرسالات التي ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم وفيها إشارة لقوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)، وقوله الحب ديني وإيماني لأنه أعظم شعور وإحساس وبهذا يستقبل الأوامر والتكاليف الإلهية وإن كانت شاقة على النفس الأمارة بالسوء والهوى، ولهذا اختص الله عز وجل حبيبه محمد بمقام المحبة وكان هذا لأمته من بعده كما ورد في الحديث (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به)

..

[11] نفس المصدر السابق

جلال الدين الرومي

حضرة مولانا جلال الدين الرومي12 قدس الله سره فكان محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي المولود في خرسان (أفغانستان حاليًا)عام ٦٠٤ هجريًا المدفون في قونيا في تركيا ومؤسس المولوية .المولوية نقلة نوعية في الفكر الإنساني ككل وفي الفلسفة بشكل عام وما استتبع ذلك من آثار ونتائج على الفلسفة الإسلامية وعلوم التصوف والفقه الإسلامي فالمولوية قائمة لغة راقية جدًا من الرمزية والتعبيرية فهي ليست مجرد طريقة صوفية بل قد تصنف المولوية على أنها شكل من أشكال التصوف .ساعد على انتشار المولوية أنها انتشرت في تركيا فلما قامت الإمبراطورية العثمانية انتشرت معها المولوية كما أن جلال الدين الرومي كان فقيهًا حنفيًا وشاعرًا كتب بالفارسية التي خرجت من النطاق الصوفي إلى النطاق الأدبي والفني والفلكلوري فهي أخذت شكلًا كأشعار وكحكم وكقصائد تمت ترجمتها وغناؤها بلغات متعددة فالحضرة عندهم عبارة عن دائرة ترمز للكون يجلس في وسطها الشيخ كرمز لمركز الكون المادي وهي الكعبة ولمركزه المعنوي وهو النبي صلى الله عليه وآله وما يمثله من علم ونور إلهي والشيخ يستقي علمه من النبي إما تلقيًا (إلهامًا من الله) وإما عن طريق الأوراد والأذكار التي يتوارثها المشايخ عن جيل الصحابة والتابعين، ويرتدي المريدون قبعة طويلة بنية اللون كرمز لشاهد القبر ويرتدون رداءً أبيض رمزًا للكفن ومن مثل ذلك التنورة التي بدأت كطقوس روحية، ثم صارت رقصات شعبية وترمز لدوران الأرض وتعاقب الليل والنهار واستمرار الدوران يعطي المريد مستويات عليا من التركيز والصفاء الروحي والبعد عن العالم المادي فتتوارد على ذهنه خواطر عن حقائق الكون وعجائبه وهي مراحل متقدمة في التأمل والروحية والصفاء الذهني ومثل ذلك الشطح (أن يقف الرجل ويحرك وجهه يمينًا ثم يسارًا في حركات متتابعة) الموجود بكثرة في الموالد والاحتفالات والحلقات وهو إن لم يكن له أي أساس شرعي فإنه ممارسة ذهنية بحتة ومعقدة جدًا تعتمد على إهلاك الجسد وإتعابه بشدة فتعلو روحانية المريد (على اعتبار أن الإنسان مكون جسدي بشري ومكون معنوي نوراني وهو الروح فكلما زاد المكون الجسدي قل الروحي والعكس صحيح) يرمز الشطح الحركي إلى البندول الذي له مركز ونقطتان في اليمين واليسار وهكذا الأرض تدور حول مركزها ويتعاقب عليها الليل والنهار ومعنى ذلك أن الإنسان لا ينشغل بالدنيا عن الآخرة لأن الموت قريب يأتي في أي وقت فالدنيا متغيرة والإيمان ثابت

---

[12] ظل الإله وهراوة الرب ،كريم الجمال،ص٩٥

وأحوال الناس تتبدل أما التعلق بالله ورسوله فهو ثابت مثل المركز الثابت وهذا تشبيه لحال الدنيا الفانية عندهم. وأشهر أعماله: مثنوية المعاني والرباعيات والديوان الكبير والذي كتبه رثاءً لشيخه العلامة شمس الدين التبريزي رحمه الله وقصيدته الرائعة أنين الناي كانت تحمل فلسفة راقية جدًّا عن الناي وما يمثله للمتصوفين من رمزية عن الموت والحياة والخلود في الجنة وحلاوة القرب من الله عز وجل وما زالت حتى الآن قونيا تحتضن احتفالًا دينيًّا ضخمًا سنويًّا يضم علماء المسلمين من كل بلاد الدنيا إحياءً لذكراه وللتشاور في أمور الدعوة.

نماذج من أشعاره رضي الله عنه:13

أنصت إلى الناي يحكي حكايته

ومن ألم الفراق يبث شكايته

مذ قطعت من الغاب، والرجال والنساء لأنيني يبكون

أريد صدرًا مِزَقًا مِزَقًا برَّحه الفراق

لأبوح له بألم الاشتياق

فكل من قطع عن أصله

دائمًا يحن إلى زمان وصله

---

[13] موقع الميادين ،رباعيات جلال الدين الرومي

http://m.almayadeen.net/books/862149/%D9%85%D8%AE%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D9%86-%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%AC%D9%84%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D9%85%D9%8A

وهكذا غدوت مطربًا في المحافل

أشدو للسعداء، وأنوح للبائسين

وكلٌ يظن أنني له رفيق

ولكن أيًا منهم (السعداء والبائسين)

لم يدرك حقيقة ما أنا فيه

لم يكن سري بعيدًا عن نواحي، ولكن

أين هي الأذن الواعية، والعين المبصرة؟

فالجسم مشتبك بالروح،

والروح متغلغلة في الجسم

ولكن أنى لإنسان أن يبصر تلك الروح؟

أنين الناي نار لا هواء

فلا كان من لم تضطرب في قلبه النار

نار الناي هي سورة الخمر، وحميا العشق

وهكذا كان الناي صديق من بان

وهكذا مزقت ألحانه الحجب عن أعيننا

فمن رأى مثل الناي سمًّا وترياقًا؟

ومن رأى مثل الناي خليلًا مشتاقًا؟

إنه يقص علينا حكايات الطريق التي خضبتها الدماء

ويروي لنا أحاديث عشق المجنون

الحكمة التي يرويها، محرمة على الذين لا يعقلون،

إذ لا يشتري عذب الحديث غير الأذن الواعية

..

الرومي والعشق الإلهي:

لقد أوحى الله لمحمد: "أيها النبي

لا تجالس إلا العشاق، وابتعد عن غيرهم".

مهما أضاءت شعلتك العالم.

فالنار تموت بمرافقة الرماد.

ينعم المؤمنون والعادلون بالحياة الأبدية

الروح النقية تتقبل الموت

ليست عقابًا أو ظلمًا تلك الموت، بل تجلٍ،

قبل الموت، كانت الروح تحتضر، تلك كانت آلامها.

اذهبوا بي عند موتي،

سلموا معشوقي جسدي.

إن قبّل شفتي الجافة،

ثم رد إليَّ الحياة، لا تتعجبوا!

قلبك من سيقودك

قلبك من سيقودك نحو عشق قلبك

روحك من سيحملك إلى عشق روحك

لا تتخلّ عن ذيل ثوب غمك

فهذا الألم سيأخذك نحو الدواء.

وحيد أنت، إن كنت مع العالم بدوني

إن لم ترافق أحدًا وكنت معي، فأنت مع العالم.

لا تتعلق بالعالم، كن أنت العالم.

تصير عبدًا إن ارتبطت به للحظة.

إن أذعنت للشهوة والرغبة

متَّ شقيًّا بائسًا، فاعلم هذا.

تنازل عن كل ذلك لترى جيدًا

لماذا أتيت، وإلى أين تذهب.

أيها البشر الأتقياء التائهون

لقد جاء النبأ: (وهو معكم أين ما كنتم) (سورة الحديد الآية ٤)

من هذا الخبر، تدفقت الحرائق بالقلب

لست سعيدًا لأنك لا تعرف نفسك

لو كنت تعرفها، ماذا يتبقى لك أن تعرف؟

أيها البشر الأتقياء التائهون في هذا العالم

لم هذا التيه من أجل معشوق واحد؟

ما تبحثون عنه في هذا العالم

ابحثوا في دخائلكم فما أنتم سوى ذلك المعشوق

لا تحاول الاختباء في داخل غضب..

الجلاء لا يمكن أن يختبئ

ما لهذا النهار بشمسين في السماء؟

ليس كمثله نهار

إن تكن تبحث عن مسكن الروح فأنت روح

وإن تكن تفتش عن قطعة خبز فأنت الخبز

وإن تستطع إدراك هذه الفكرة الدقيقة فسوف تفهم

أن كل ما تبحث عنه هو أنت.

كل نفس تذوق الموت وليست كل نفس تذوق الحياة.

..

الحلاج

أبو المغيث الحسين بن منصور البيضاوي،[14] ولد في قرية صغيرة في الشمال الشرقي لمدينة البيضاء نسبةً إلى بيضاء فارس عام ٢٤٤هـ/٨٥٧ م، وكانت حرفة والده هي حلج القطن ونُسبَ إليها، وفي رواية أخرى أنه كان حلاج الأسرار يعني الذي يصل لأسرار الحكمة الإلهية ويكشفها. تم سجنه في سنة ٣٠١ هجرية. من الروايات أيضًا أنه استيقظ في سجنه يوم الإعدام وهو يعرف أن موعده مع الموت قد جاء، ففي مساء ٢٣ ذي الحجة من عام ٣٠٩ تم جلده ١٠٠٠ جلدة، وفي صبيحة اليوم التالي قطعت أطرافه وصلب على جذع شجرة، أما في صباح ٢٥ ذي الحجة فقد قطع رأسه وصب النفط على بدنه وأحرق ثم حُمل رماده إلى رأس المنارة وأُلقي في نهر دجلة.

بدأ الحلاج طلب العلم في الكتاتيب، وعاصر في طفولته وشبابه فترة ثورات واضطرابات وعدم استقرار في الدولة العباسية وأغلبها ذات طابع علوي مؤيد لآل البيت وحقهم في الخلافة وبالأخص الشيعة الإسماعيلية ومنهم حركة الزنج التي استولت على مناطق عديدة، منها الأهواز وخوزستان، والقرامطة وغير ذلك وكان مؤيدًا لهذا الخط السياسي المعارض مما أثر على علاقته بالسلطتين الدينية والسياسية. في شبابه تتلمذ على يد "سهل بن عبد الله التستري" صاحب التفسير الصوفي، وكان أحد الصوفيين الكبار، ولازمه سنتين، ثم انتقل للبصرة، وصاحب "عمرو بن عثمان المكي الصوفي" لمدة عام ونصف العام، حتى بلغ مكانة مرموقة، وترك المدينة وذهب لأداء فريضة الحج في مكة المكرمة، وقضى هناك سنة كاملة متجردًا زاهدًا يجلس في جبال مكة الجرداء تحت أشعة الشمس الحارقة، يقتصر زاده على الماء والخبز فقط، وهي أشق أنواع الرياضات الروحية التي تعتبر من ركائز الصوفية، ثم عاد إلى البصرة مرة أخرى، مستقلًا عن مصاحبة الشيوخ الصوفيين، زاهدًا في أي منصب صوفي، ثم انتقل إلى خراسان التي تعج بالشيعة، فنبذه الناس وعاد مرة أخرى للأهواز ثم لبغداد ثم لمكة، ومنها لتركستان والهند، ثم عاد إلى بغداد بمنهج جديد تغلب فيه الروح على الجسد.

[14] شرح ديوان الحلاج ، د. كامل مصطفي الشيبي

وكان الحلاج15 حالة فريدة من العشق الإلهي وترك الدنيا والانشغال بنور الله فطغا عنده الجانب الروحي على كل شيء حتى على النواحي التعبدية والاعتقادية مما سبب له مشاكل كبيرة فلم يفهمه علماء عصره من التقليديين واتهم بالكفر والزندقة وصلب وحرق، وكانت عنده مشكلة أكبر أن طريق العارفين من أهل الحقيقة يختلف عن طريق أهل الفقه فيتفوق عليهم بكثير فمثلًا العبادات مثل الصلاة أو الحج يراها أهل الفقه من ناحية الأداء الحركي المحكم وترتيبه وأركانه للحديث (صلوا كما رأيتموني أصلي)،(خذوا عني مناسككم) أما أهل الحقيقة والطريق (فهي حقيقة العبادة والطريق إلى الله) فيهتمون بجانب الخشوع والروحانية ويهتمون بالحكمة من أداء العبادة وليس مجرد أدائها وإن كان أداءً تامًّا محكمًا وحتى في حالة التركيز الشديد وصفاء الذهن فإنه ليس كأهل التصوف الذين يرون الأمور من جوهرها وباطنها ولا يخدعهم الظاهر كغالبية الناس وكان الحلاج مثل راهب مصري قديم هرب من بطش الرومان أو كاهن بوذي هام في الجبال متأملًا فالحلاج كان كالصارخ في البرية تمزقه آلام العشق الإلهي ولا تحتمل طبيعة جسده البشري تلقي النور السماوي وإلا ما كان الله منعها موسى عندما لم ير الله، فالتجليات والمكاشفات وكشف الحجب للمخلوق هي متعة لا يعادلها متعة ورؤية قلبية لا يشعر بها إلا صاحبها، وهذه الحالة الروحية العالية كان المتصوفون الأوائل يضعونها في سياقها الشرعي مقتدين بالصحابة الذين بلغوا من المقام في الجانبين الشرعي والروحي نفس المستوى، فهم أنقى القلوب وأطهرها وأكثر الناس التزامًا بالشريعة والأحكام .كان المتصوفة قبل الحلاج يستخدمون رموزًا لمقاصدهم لسببين: خوفهم من بطش الحكام وعلماء المؤسسات غير القابلين للتجديد ومناقشة الفكر؛ لأن ما يطرحه التصوف مسائل جديدة عليهم لا يفهمها إلا خواص الخواص، وأيضًا لميل المتصوفة إلى السعي إلى ما وراء الأشياء، ولكن فضل الحلاج وريادته كانت في قيامه بالتصريح والإعلان عن المضامين والفكر الصوفي بشكل علني، وخطؤه أنه فعل ذلك لأن العوام لن يفهموها وظنوا أنها كفر وزندقة وإلحاد .فالشعر الصوفي أو حتى المؤلفات كلها تحتمل معانٍ أخرى غير المتعارف عليها عند العامة وحتى علماء الشيعة كفروه ولعنوه وهو عندهم زنديق مما جعله شهيدًا.

للكلمة كلمة أراد بها الحلاج وجه الله ولم يفهمها أهل زمانه وأهدر عمره بسببها فقد أراد أن يخرج اللغة إلى آفاق جديدة تستوعب المعاني التي يقصدها وربما كان أول متصوف يؤسس لقاموس أو معجم للمصطلحات والرموز الصوفية فعاد إلى أصل اللغة وهو القرآن كلام

15 ظل الإله وهراوة الرب، كريم الجمال

الله واللغة مكونة من حروف والقرآن ورد به حروف مقطعة مثل (ص و ق والم وكهيعص وحم) فألف كتاب الطواسين يعني (طس) وسار المتصوفة بعده على ما وضعه من مصطلحات وألفاظ ورموز، وعندما أراد أن يعلن مذهبه الفكري للعوام نهره بشدة أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه (أية خشبة سوف تفسدها) كناية عن صلبه المتوقع فكان بمثابة التضحية الكبرى للصوفيين حتى يعيش المذهب والفكر حتى الآن وهو تجسيد للأزمة التعبيرية التي عاشها المتصوفة منذ زمن البسطامي وكانت توجد في كتبهم وكلامهم صعوبة لغوية وتعقيدات واشتقاقات جديدة فكانت لزامًا هذه الثورة اللغوية التي أحدثها الحلاج، وقال الحلاج قبل إعدامه (ظهري حمى ودمي حرام وما يحل لكم أن تتأولوا علي واعتقادي الإسلام ومذهبي السنة) ومن شعره مخاطبًا المولى عز وجل: أنت بين الشغاف والقلب تجري مثل جري الدموع من أجفاني وتحل الضمير جوف فؤادي كحلول الأرواح في الأبدان)، وله أيضًا (مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلالِ) وفي قول آخر له يشرح الأبيات (من ظن أن الألوهية تمتزج بالبشرية فقد كفر)،(وأن معرفة الله هي توحيده وتوحيده تميزه عن خلقه وكل ما تصور في الأوهام فالله تعالى بخلافه كيف يحل به ما منه بدا)،16وبذلك نسف الاعتقاد بالمزج والحلول وهي اعتقادات باطلة ألصقت به لعقود طويلة وإنما المقصد من المزج هو أن كل إنسان له مكونان لاهوتي نوراني وهي الروح وبشري ناسوتي المتعلق بالغرائز والرغبات وكلما تعلق الإنسان بالله وترك المعاصي والشهوات قل المكنون الناسوتي وزاد المكنون النوراني فارتقى عن حيوانيته وغرائزه إلى إنسانيته وملائكيته فكان عبدًا ربانيًّا ترى نور الله وهداه فيه. وقام الحلاج بدور رائد في مجال آخر فكان تصوفه جهادًا ضد الظلم فاكتسب طابعًا سياسيًّا وإصلاحًا اجتماعيًا .واهتم بالرموز فقال (من الحروف تتألف الأسماء التي هو الظهور الخاص لمعاني الأشياء) وقسم كتابه الطواسين إلى فصول مثل طاسين النقطة وطاسين الدائرة وطاسين السراج (وهو النبي محمد الذي اقتبس منه كل الأنبياء نورهم من نوره القديم الذي يتلألأ منذ كان آدم بين الطين والماء)، ثم طاسين القرآن وقال: (كل ما يقع عليه بصر أحد فهو دليل على تجلي الله سبحانه وتعالى من كل ما يشاهد وترائيه عن كل ما يعاين)،ومن كفَّره فسر التجلي بـ (الاتحاد والحلول) والحلاج قصد تجلي الصفات (ظهور عظمة الله في خلقه)، ويدل على ذلك قوله (ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله فيه).

---

[16] نفس المصدر السابق،ص ٨٩

من الممكن تلخيص المشهد الفكري والتراثي الإسلامي من خلال وجهتي نظر كلتيهما يدافع عن الإسلام من وجهة نظره هما مدرستا الفقه والتصوف في مشهد واحد عندما قال الحلاج: (أيها الناس اعلموا أن الله قد أباح لكم دمي فاقتلوني.. اقتلوني تؤجروا وأسترح، اقتلوني تكتبوا عند الله مجاهدين وأكتب أنا شهيدًا) فالحلاج لم يصلب ولم يقتل من فراغ وإنما كان وراء ذلك عقليات أصولية وعلماء أصوليون ارتبطوا مع اتجاه الحكم.

فلما كانت الليلة التي أخرج من صبيحتها، قام فصلى ركعات، وأخذ في المناجاة يقول: نحن شواهدك نلوذ بسنا عزتك لتبدي ما شئت من مشيئتك، أنت الذي في السماء إله وفي الأرض إله، يا مدهِّر الدهور، ومصور الصور، يا من ذلت له الجواهر، وسجدت له الأعراض، وانعقدت بأمره الأجسام، وتصورت عنده الأحكام، يا من تجلى لما شاء كما شاء كيف شاء، مثل التجلي في المشيئة لأحسن الصورة، ثم أنشد معبرًا عن نفس المعنى بقوله :[17]

فيما وراء الحيثِ يَلْقَى شاهد القِدَم أَنْعَي إليك نفوسًا طاح شاهدها

سحائبُ الوحي فيها أبْحُر الحكم أنْعي إليك قلوبًا طالما هَطَلَتْ

أودى وتذكاره في الوهم كالعدم أنعي إليك لسان الحق مُذ زمن

أقوال كل فصيحٍ مِقْوَل فهم أنعي إليك بيانًا تستكين له

لم يبق منهنّ إلا دارس الرمم أنعي إليك إشارات العقول معًا

كانت مطاياهم من مكمد الكظم أنعي و حُبك أخلاقًا لِطائفةٍ

مُضِيَّ عادٍ وفُقْدانَ الأُلى إرَم مَضَى الجميع فلا عين ولا أثُر

أعْمى من البهم بلْ أعمى من النعم و خَلّفوا معشرًا يجرون لبستهم

17 شرح ديوان الحلاج، د. كامل مصطفي الشيبي

ثم رأيت الشبلي 18وقد تقدم تحت الجذع وصاح بأعلى صوته يقول: أولم ننهك عن العالمين؟ ثم قال له: ما التصوف؟ قال: أهون مرقاة فيه ما ترى. قال: ما أعلاه؟ قال: ليس لك إليه سبيل، ولكن سترى غدًا ما يجري؛ فإن في الغيب ما شهدته وغاب عنك.

فلما كان العشي جاء الإذن من الخليفة أن تضرب رقبته، فقالوا: قد أمسينا ويؤخر إلى الغداة. فلما أصبحنا أنزل، وقدم لتضرب عنقه، فسمعته يصيح بأعلى صوته: حسب الواحد إفراد الواحد له. ثم تلا: يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها.

وقال عنه عبد القادر الجيلاني رحمه الله (لو أدركته لأخذت بيده) يعني لأخذت بيده إلى الطريق الصحيح حتى لا يشطح بآرائه وأقواله بعيدًا، وهذه ضرورة وقيمة الشيخ المُربّي الذي يأخذ بأيدي المرقد والسالك إلى طريق الملك عز وجل.

ومن آرائه:19

التوحيد هو إفراد القدم عن الحدث، نفي الحدث وإقامة الأزل وتنزيه الله عز وجل عن الحدث، ولذلك نجده يصف علاقته وتصوره عن الذات الإلهية:

(أفهامُ الخلائقِ لا تتعلَّق بالحقيقة والحقيقة لا تتعلق بالخليقة. الخواطرُ علائقُ، وعلائقُ الخلائقِ لا تصل إلى الحقائق. والإدراك إلى علم الحقيقة صعبٌ، فكيف إلى حَقِّ الحقيقة)

حق الحقيقة هو ذات الله عزوجل.

المقصود بالحب حب الله عز وجل ومعرفته، موتى يقصد غافلين غير مدركين للحقيقة وهي عندهم معرفة الذات الإلهية.

[18] مأساة الحلاج ، مسرحية ، صلاح عبد الصبور

[19] شرح ديوان الحلاج ، د كامل مصطفي الشيبي

كتبتُ ولم أكتب إليكَ وإنما أكتب على روحي بغير كتاب[20]

وذلك أن الروح لا فرق بينها وبين محبيها بفصل خطاب

يا أهل الإسلام أغيثوني، فإنه ليس يتركني ونفسي، فآنس بها وليس يأخذني من نفسي فأستريح منها وهذا دلال أطيقه.

معنى أطيقه لا أقدر عليه.

وأي أرض تخلو منك حتى تعالوا يطلبونك في السماء

تراهم ينظرون إليك جهرًا وهم لا يبصرون من العماء

يقصد أن الله متجلٍ في كل المخلوقات، ولكن الناس لا يدركون ذلك فكأنهم عميان لا يرونه ظاهرًا، من أسماء الله الحسنى الظاهر والباطن.

من أروع ما كتب الصوفية بل من أروع ما كتب المسلمون، وتلك القصيدة من أروع قصائد الشعر العربي قاطبة، وأعتقد أن تضارب الأدلة التاريخية والآراء الفقهية حوله وتلك الحالة الجدلية تحسمها تلك القصيدة فلا أظن من يقول ذلك الكلام إلا وليًّا تقيًّا صالحًا امتلأ بنور الله وبحبه:

واللهِ ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحبكَ مقرون بأنفاسي

ولا خلوتُ إلى قوم أحدّثهم إلا وأنت حديثي بين جُلاسّي

ولا ذَكرتكَ محزونًا ولا فَرِحًا إلا وأنتَ بقلبي بين وسواسي

ولا هممتُ بشرب الماء من عطش إلا رأيتُ خيالًا منكَ في الكاسِ

[20] نفس المصدر السابق

ولو قدرتُ على الإتيانِ جئتُكم سعيًا على الوجه أو مشيًا على الراسِ

ويا فتى الحيّ إن غنيت لي طربًا فغنني وأسفًا من قلبكَ القاسي

ما لي وللناس كم يلحونني سفهًا ديني لنفسي ودين الناسِ للناسِ

سكوتٌ ثم صمتٌ ثم خرس وعلمٌ ثم وجدٌ ثم رمس[21]

وطينٌ ثم نارٌ ثم نورٌ وبردٌ ثم ظلٌ ثم شمس

وحَزنٌ ثم سهلٌ ثم قفر ونهرٌ ثم بحرٌ ثم يَبْس

وسُكرٌ ثم صَحوٌ ثم شوقٌ وقربٌ ثم وصلٌ ثم أُنس

وقبضٌ ثم بسطٌ ثم محو وفَرقٌ ثم جمعٌ ثم طَمس

وأخذٌ ثم ردٌ ثم جذبٌ ووصفٌ ثم كشفٌ ثم لَبس

عباراتٌ لأقوام تساوت لديهم هذه الدنيا وفِلس

وأصوات وراء الباب لكن عبارات الورى في القرب همس

وآخر ما يؤول إليه عبدٌ إذا بلغ المدى حظٌ ونفس

لأن الخلق خُدّام الأماني وحق الحق في التقديس قُدس

الرمس : القبر، القفر :الصحراء، العلم :مرتبة عند الصوفية وهو ما قام بدليل ورفع جهل وله ثلاث مراتب علم جلي، خفي، لدني. السكر: مرتبة عند الصوفية والمراد بها ذهاب العقل والذهول، الصحو: هو مرتبة فوق السكر وهو يناسب مقام البسط، الفَرق: شهود حِس الكائنات وعكسه الجمع وهو شهود المعنى القائم بالأشياء، الفلس: مال قليل والمقصد لا تساوي شيئًا، القرب هو القرب من الحضرة الإلهية.

[21] موقع أدب ،الموسوعة العالمية للشعر العربي ،الحسين بن منصور الحلاج

http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=lsq&shid=141&start=0

المعنى العام للأبيات: عرض عام لأحوال الصوفية ومواجيدهم وغاياتهم يبين تنقل الصوفي بين الحالات النفسية المضادة، يريد الحلاج أن يوضح السلوك الصوفي في مراحله المختلفة بين الشوق ثم الأنس ثم المحو ثم الطمس ثم الجذب ويختم باللبس أو الحيرة، وكلها درجات ومنازل يترقى فيها الصوفي ترقٍ روحي

رأيتُ ربّي بعين قلبي فقلتُ من أنتَ قال أنتَ

فليس للأين منك أين وليس أين بحيث أنت

وليس للوهم منكَ وهم فيعلم الوهم أين أنتَ

أنتَ الذي حُزتَ كل أين بنحو لا أين فأين أنتَ

وفي فنائي فنا فنائي وفي فنائي وُجدتَ أنتَ

الله عز وجل منزه عن الزمان والمكان فهو خالق الزمان والمكان، وفي الحديث القدسي (ما وسعتني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)، فناء الفناء مرتبة ومقام عالي جدًّا وهو الفناء عن شهود الفناء وهي درجة خواص الخواص وهو ما اضمحلال ما دون الحق ويسمى فناء الطلب في الوجود وهو مثل حالة الخلق الأولى والأخيرة قبل أن يخلق الله المخلوقات 22 وبعدها قبل قيام الساعة.

لي حبيبٌ أزوره في الخَلوات حاضرٌ غائبٌ عن اللحظات

ما تراني أُصغي إليه بسمعٍ كي أعي ما يقولُ من كلمات

كلمات من غير شكلٍ ولا نطقٍ ولا مثل نغمة الأصوات

فكأني مخاطبٌ كنتُ إيّاه على خاطري بذاتي لذاتي

---

[22] نفس المصدر السابق

حاضرٌ غائب قريبٌ بعيد وهو لم تحوه رسوم الصفات

هو أدل من الضمير إلى الوهم وأخفى من لائح الخطرات

كلام الله عز وجل كلام نفسي يوحي بمعانيه إلى الملائكة يكلمهم بالقوة الإلهية وليس بالحرف والصوت مثل البشر فذلك تشبيه والله منزه عن ذلك، رسوم الصفات يعني أجسام البشر وهو تنزيه عن التشبيه والتجسيد.

ما زلتُ أطفو في بِحار الهوى يرفعني الهوى وأنحطُّ

فتارةً يرفعني مَوجُها وتارة أهوي وأنغطُّ

حتى إذا صيَّرني الهوى إلى مكانٍ ما له شَطُّ

ناديتُ يا من لم أبُح باسمه ولم أخُنه في الهوى قَطُّ

تقيكَ نفسي السوء من حاكم ما كان هذا بيننا شرطُ

بحار الهوى هي بحار العشق الإلهي، الخيانة في الهوى هي التفكير في غير الله وعدم استحضار الأنس به وهو حالة البشر. لم أبح باسمه، تقيك نفسي فسرهما البعض بأنه كان إسماعيليًّا وهذه دعوة الإمام وكانت سرية وهو عكس سياق الأبيات، أو أنها محبة عُذرية لامرأة ما وهو أيضًا عكس السياق، وإن كان الأقرب أنه من المواجيد الصوفية حيث عدم إعلان اسم المحبوب من شدة كتم الهوى.

<u>من روائعه قصيدة التلبية التي أدخل فيها قافية جديدة هي مزج الهمزة بالياء:</u>

لبّيكَ لبّيكَ يا سرّي ونجوائي

لبّيك لبّيك يا قصدي ومعنائي

أدعوك بلْ أنت تدعوني إليك فهلْ

ناديتُ إيّاك أم ناجيتَ إيّائي

يا عين عين وجودي يا مدى همي

يا منطقي وعباراتي وإيمائي

يا كلّ كلّي يا سمعي ويا بصري

يا جملتي وتباعيضي وأجزائي

يا كلّ كلّى وكلّ الكلّ ملتبس

وكل كلّك ملبوس بمعنائي

يا من به عُلقَتْ روحي فقد تلفت

وجدًا فصرتَ رهينًا تحت أهوائي

أبكي على شجني من فرقتي وطني

طوعًا ويسعدني بالنوح أعدائي

أدنو فيبعدني خوف فيقلقني

شوق تمكّن في مكنون أحشائي

فكيف أصنع في حبّ كَلِفْتُ به

مولاي قد ملّ من سقمي أطبّائي

قالوا تداوَ به منه فقلت لهم

يا قوم هل يتداوى الداء بالدائي

حبّي لمولاي أضناني وأسقمني

فكيف أشكو إلى مولاي مولائي

إني لأرمقه والقلب يعرفه

فما يترجم عنه غير إيمائي

يا ويحَ روحي من روحي فوا أسفي

على منّي فإنّي أصل بلوائي

كأنّني غَرق تبدو أناملـه

تَغوثًا وهو في بحر من الماء

وليس يَعْلَم ما لاقيت من أحدٍ

إلا الذي حلَّ منّي في سويدائي

ذاك العليم بما لاقيت من دنفٍ

وفي مشيئِتِه موتى وإحيائي

يا غاية السؤل والمأمول يا سكني

يا عيش روحي يا ديني ودنيائي

قُلْ لي فَدَيْتُكَ يا سمعي ويا بصري

لِمْ ذا اللجاجة في بُعدي وإقصائي

إن كنتَ بالغيب عن عيني مُحْتَجِبًا

فالقلب يرعاك في الإبعاد والنائي

من خير ما قال لبيان معتقده بالتوحيد والسنة وعدم القول بالحلول والاتحاد، وذلك لكثرة الهجوم والنقطة عليه :

لا يعرف الحقَّ إلا من يَعرّفهُ لا يعرفُ القِدَميَّ المُحدَثُ الفاني

لا يُستَدلُّ على الباري بصنعته رأيتم حَدَثًا يُبنى عنِ أزْمانِ؟

كان الدليلُ له عنه إليه به من شاهدِ الحقِّ في تنزيلِ فرقانِ

كان الدليل له منه إليه بـه مِن شاهدِ الحقّ بل عِلمًا بِتِبْيان

هذا وجودي وتصريحي ومعتَقَدي هذا توحُّدُ توحيدي وإيماني

مما ينسب إليه لتوضيح التجليات والخواطر وما يطرأ عليه من أحوال حتى يفهم ذلك الناس:

قلوب العاشقين لها عيون ... ترى ما لا يراه الناظرون

وألسنة بأسرار تناجي .... تغيب عن الكرام الكاتبينا

وأجنحة تطير بغير ريش .... إلى ملكوت رب العالمينا

وترتع في رياض القدس ... طورًا وتشرب من بحار العارفينا

فأورثنا الشراب علوم غيب ..... تشف على علوم الأقدمينا

شواهدها عليها ناطقات ..... تبطل كل دعوى المدعينا

عباد أخلصوا في السر حتى ... دنوا منه وصاروا واصلينا

ونسب له من الشعر الكثير وفيه مدسوس ولكن من أجمل ما اشتهر على ألسنة المادحين ونسب إليه ولا يوجد إجماع من الباحثين والمؤرخين والشعراء أنها من شعره:

أكادُ من فرط الجمال أذوب هل يا حبيبي في رضاك نصيبُ

جعلتَ قلبي يهفو دومًا للُقاء وإذا ذَكرتكَ يا حبيبي أطيبُ

بمجرد الأذكار قلبي هائمٌ هل فؤادي عنكَ قط يغيبُ

إني الفقير بحبي في شَرع الهوى فارحم قلوبًا نال منها شحوبُ

من يغفرُ الذلّات غيركَ سيدي إني السعيد إذا أتيت أتوبُ

شاقني وجدي وحبك مطلبي من شاقَه حب الجمال يصيبُ

أسلمتُ أمري للذي أنا ملكه فاملك فحسبي أن أنت قريب

إني الفقير عبد رضاكم عطفاً علي فإنني المجذوب

أوكلما هتف الأحبة باسمه رق الفؤاد وشاقني المحبوب

أهيم في لقياه كيف وصاله هل يا ترى يرضى وكلي عيوب

متطاول أنا في ادعائي بحبه. والحب يأتي يسوقه المطلوب

***

ابن الفارض

عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين ابن الفارض وُلد في عام ٥٧٦ هجريًّا ، أشعر المتصوفين. يلقب بسلطان العاشقين. في شعره فلسفة تتصل بما يسمى (وحدة الوجود) قدم أبوه من حماة (بسورية) إلى مصر، فسكنها، وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام، ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض. وولد له (عمر) فنشأ بمصر في بيت علم وورع. ولما شبّ اشتغل بفقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره. ثم حبب إليه سلوك طريق الصوفية، فتزهد وتجرد، وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة في خرابات القرافة (بالقاهرة) وأطراف جبل المقطم. وذهب إلى مكة في غير أشهر الحج، فكان يصلي بالحرم، ويكثر العزلة في واد بعيد عن مكة، وفي تلك الحال نظم أكثر شعره. وعاد إلى مصر بعد خمسة عشر عامًا، فأقام بقاعة الخطابة بالأزهر، وقصده الناس بالزيارة، حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته. وكان جميلًا نبيلًا، حسن الهيئة والملبس، حسن الصحبة والعشرة، رقيق الطبع، فصيح العبارة، سلس القياد، سخيًّا جوادًا. وكان أيام ارتفاع النيل يتردد إلى مسجد في (الروضة) يعرف بالمشتهى، ويحب مشاهدة البحر في المساء. وكان يعشق مطلق الجمال.

صاحب واحدة من أطول وأروع وأشهر القصائد في التاريخ الإسلامي، يروي المؤرخون عن ابن الفارض قوله بعد انتهائي من كتابتها جاءني الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له أطلق عليها تائية نظم السلوك أو ما اشتهرت به تائية نظم السلوك إلى رب العالمين، ويرى كثير من الباحثين والشعراء والعلماء أنها أفضل قصيدة في العشق الإلهي ولم يُكتب أفضل منها قبلها أو بعدها لما تحتويه من معانٍ روحية عالية وتجارب شعورية تسمو بالنفس ولبلاغتها الشعرية وتفرد الصور البيانية فيها ،حيث تحتوي على طريقة السلوك للسائرين إلى الله عز وجل، ويمكن تقسيمها إلى أربعة مراتب :مراتب الذات، مراتب الأرواح، عالم المثال، نشأة الإنسان.

سقتني حُمَيَّا الحُب رَاحة مُقلتي وكأسي مُحيَّا مَنْ عَن الحُسنِ جَلَّتِ[23]

فأوهمتُ صَحْبِي أن شُربَ شَرَابهم به سُرَّ سِرّي في انتشائي بنظرةِ

وبالحَدقِ استغنيتُ عن قَدَحِي ومن شمائلها لا من شَمولي نشوتي

ففي حانِ سُكْري حانَ شُكري لفتيةٍ بهم تَم لي كتمُ الهوى مع شُهرتي

ولما انقضى صحوي تقاضيتُ وصلَها ولم يغشني في بَسطها قبضُ خشيتي

وأبثثتها ما كان بي ولم يكُ حاضري رقيبٌ لها حاظٍ بخَلوةِ جَلوتي

وقلتُ وحالي بالصبابة شاهدٌ ووجدي بها ماحيَّ والفقدُ مُثبِتي

الحميا: اسم للخمر والمقصود شدتها، راحة: كف اليد والمراد التناول، المقلة: باطن العين، المحيا: الوجه، جلت: كَبُرت وعَظُمت.

الخمر في مصطلح الصوفية هي العشق الإلهي، الساقي هو الله عز وجل بطريق غير مباشر وشيخ الطريقة أو الولي الصالح لأتباعه وتلاميذه ومريديه بشكل مباشر، وعاء تلك الخمر هو القلب حيث محل المحبة الإلهية والتنزلات النورانية والتجليات، المحبوب هو الله عز وجل أو النبي صلى الله عليه وسلم. خطاب التأنيث في الأبيات سيرًا على درب العرب العرباء القدماء فيعبرون عن المحبوب بالتأنيث خصوصًا إن كان محتجبًا عن الرؤية، أو لوصف صورة من صور تجليات الحضرة الإلهية وهي رؤى وواردات وخواطر يريها الله عز وجل للصالحين من عباده.

المقصود: يصف ابن الفارض رحمه الله حالته عند رؤية صورة جمالية لتجلي الحضرة الإلهية بأنها أجمل وأجل من الحب الحسي فهو يرى الجمال الإلهي المطلق في كل المخلوقات، شبه عينه بامرأة جميلة لها يد تسقيه خمرًا شديدة، ووجهها بالكأس الذي يحوي تلك الخمر، وتلك اليد تناول كأس الخمر الممتلئة بالمحبة الإلهية، ولكن التشبيه بالمرأة مجرد رمز للصورة الجمالية لتجلي الحضرة الإلهية ولذلك قال عن الحُسن جلت أي تعاظمت فحسنها ليس شعوريًّا حسيًّا

[23] منتهي المدارك في شرح تائية ابن الفارض،عبد الله الفرغاني

وإنما هو شعور معنوي ناتج عن العشق الإلهي الذي يرمز له بالخمر، والحُسن عند الصوفية هو تجلي صفات الجمال، وصفات الجمال والجلال والكمال لا تُصرف ولا يُقصد بها إلا الذات الإلهية. لأنه عندما شاهد تلك الصورة الجمالية لتجلي الحضرة الإلهية امتلأ بالعشق الإلهي والجمال المطلق الذي يفوق كل الجمال الحسي الأرضي.

أوهمت: من الوهم ويعني غالطت، صحبي: الأصحاب والجلساء الملازمين، الشراب: الخمر، سر: فرح، سري: الأمر المحجوب والمتستر عليه والمراد باطني، انتشائي: النشوة شدة المتعة والسُكر والخمر من أهم أسبابها.

المقصود: لما رأيت أنا وأصحابي وجلسائي منظرًا جميلًا، ورأوا حالتي من السعادة والفرح والسرور ووجدوني مثل السكران لم يكن ذلك بسبب الشراب المُسكِر وإنما من شدة الواردات الإلهية على قلبي من صورة ذلك التجلي، وتوهموا وظنوا بالخطأ أن حالتي تلك بسبب جمال المنظر الجميل الظاهر لنا ولكن سبب نشوتي وسعادتي البالغة أنني رأيت الجمال المستتر خلف هذا المنظر، نظرة تعبير صوفي يعني رؤية أو خاطرة يريها الله للخواص من عباده. كان الصوفية يلجأون لمثل تلك الصور عن الخمر أو المرأة أو الجلساء تمويهًا خوفًا من المتعصبين والمتشددين لأن فقه الظاهر أو التمسك بظاهر النص الديني ولا يتجاوز لفهم المعاني الباطنة يتصادم مع الصوفية فيتهمهم بالكفر والشرك والإلحاد وقد قُتل كثير منهم بسيف عدم الفهم المؤدي إلى التشدد والتعصب في حين أن (القرآن حمال أوجه) كما قال الإمام علي عليه السلام، وكما ورد في الأثر أن القرآن له وجه ظاهر وسبعة أوجه باطنة.

الحدق: سواد العين، استغنيت: استكفيت، القدح: إناء يُشرب به، الشمائل: الصفات الحميدة الجيدة، الشَمول :معناها اسم للخمر البارد حيث كان العرب يبردونها بوضعها في اتجاه ريح الشمال.

المقصود: شبه عينه بالوعاء الذي توضع فيه الخمر، ولكنه ليس في حاجة له لأن عينه امتلأت من خمر الحب الإلهي عند مشاهدة التجلي، وهذا سبب نشوته وسعادته، وليس كما توهم البعض أن السعادة في خمر الدنيا وملذاتها بل السعادة الحقيقة في القرب من الله ويكافئ الله

المؤمن في جنته بالخمر التي لا تذهب العقل إشارة لقوله تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون)، (كأسًا لا لغو فيها ولا تأثيم).

حانِ الأولى: هي مكان بيع الخمر مثل لفظ حانة، حانَ الثانية :بلغ الوقت حينه وأوانه

المقصود: يصف مقام هذه المحبة الفعلية الموجبة للسُكر من خمر العشق الإلهي وفيه إشارة لمقام الغيبة وهو من أرقى الدرجات عند الصوفية حيث حب الله وحضوره في قلب العبد يجعله مُغيبًا عن الناس والعالم، ولأن هذا المقام وتلك الدرجة العالية تحتاج قوة إيمانية وروحية كبيرة استعمل تعبير فتية لأن الفتوة تدل على القوة مثل قوله تعالى عن أصحاب الكهف (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى). الشكر للفتية فهم رفاقه الذين عرفوا أمره وشدة تأثره ووجده بصورة التجليات الإلهية وفهموا حالة سعادته ونشوته على حقيقتها وكتموا ذلك ولم يعلنوه حتى لا يصل الأمر للمتعصبين والمتشددين والمتربصين من أصحاب الفهم السيئ ويحدث صدام معتاد لأغلب الأولياء وأهل الله، وكذلك تخليصه من خطر الشهرة بالولاية لأنها قد تؤدي إلى الرياء من إقبال الناس عليه.

انقضى: انتهى، الصحو: اليقظة وهي عكس السُكر، الغشيان: الإتيان، البسط عكس القبض وهو التوسيع

الصحو، الوصل، القبض، البسط مصطلحات صوفية ترتبط بمراحل الطريق إلى الله عز وجل.

البسط في مقام القلب بمثابة الرجاء في مقام النفس وهو وارد يقتضيه إشارة إلى قبول ورحمة ولطف وأنس، القبض يقابل البسط وهو كالخوف في مقابلة الرجاء في مقام النفس، حيث يقبض الله العبد إليه باطنًا ويبسطه للخلق ظاهرًا حيث يجذب الله العبد الصالح ويقربه إليه ويبعده عن الناس ويبعد الناس عنه مثلما استدعى موسى ليكلمه حتى يمتلئ الولي بالمعارف والحقائق والأنوار الإلهية ثم يبسطه الله وينشره إلى الناس ليعلمهم الحكم الإلهية من رحمته بعباده.

المقصود: لما قوي أثر شراب العشق الإلهي بحيث انفصل عني التمييز والعلم بانفصال الصحو حتى إنه لا يأتيني انقباض من دهشة عظمة حضرة المحبوب بسبب مغلوبية العلم والفهم من سُكر شراب الحب الإلهي، ولا يعتريني عدم انبساط حاصل من خشية منبئة عن الإحساس بعظمة تلك الحضرة وبقصور قابليني عن احتمال هيبة جلال جمالها عند الوصال إذا بدا مجردًا عن المظاهر يمنعني ذلك عن بسطي مع تلك الحضرة بطلب وصلها تقاضيتُ في هذه الحالة حقيقة وصلها.

أبثثتها: أطلعتها على سري أو شاركتها أحزاني، الرقيب: الحافظ المراقب، الخلوة: قد تكون مكان الاختلاء بالنفس أو المصدر نفسه بمعنى الاختلاء، الجلوة: الكشف والوضوح.

المقصود: لما تمكنت حالة الحب من نفسي وغيبتني عن حسي وأغفلتني عني وعن إدراكي بالموجودات الحسية بحيث صار قلبي خلوة خالية من الحظوظ للأغيار معدة لتلقي جمال حضرة المحبوب، فلم أحس لمكان تلك الغيبة وذلك السكر بحضور رقيب من بقاء حظ دنيوي فقلبه لا يوجد فيه مكان لأي شيء سوى النور الإلهي، وفي هذه الحالة الصعبة من انتظار الواردات من الأنوار الإلهية يعاني من عناء الغناء ومحنة المحبة.

الصبابة: الحب والشوق الشديد، الشهود والشهادة هو الحضور مع المشهود بالبصر أو البصيرة، الوجد: من درجات الحب، المحو هو إزالة الأوصاف البشرية، الحال: الصفة وفي اصطلاح الصوفية ما يطرأ على النفس من تغيرات.

المقصود: حالي لا يخفى على أحد من الاستعداد والتهيؤ لاستقبال نور التجلي الإلهي، وظاهر أمري من أحوال مثل التحول والحرقة والبكاء والأنين والسكر والغيبة مخبر صادق وشاهد بما في باطن نفسي من الصبابة، وأن وجدي ويقصد هنا مصادفة باطن النفس نور التجلي يمحو ويزيل ويُفني وجودي وكلما لاحت لي صورة من تجلي وصل الحضرة الإلهية أشعر بهذا الفناء والمحو لفهمي وإدراكي حتى بنفسي، وفقدي لتلك الحالة مثبتي أي يردني لشهادتي لحالي، ففي الحالتين أعاني الحرمان من شهادة حالي ووصفي بالصبابة ومحو الوجد وإثبات الفقد إياي.

أبيات مختارة من التائية:

تميز شعر ابن الفارض بالمبالغة الشديدة في التعبير عن تأثره بجمال وجلال تجليات الذات الإلهية مثل قوله :24

فطوفان نوحٍ عندَ نوحي كأدمعي وإيقادُ نيران الخليل كلوعتي

ولولا زفيري أغرقتني أدمعي ولو دموعي أحرقتني زفرتي

وفي قول آخر واصفًا حالته وظهور آثار الحب الإلهي والمواجيد وشدة تأثره وملاحظة الناس لذلك برغم محاولاته الشديدة لكتمان ذلك وعدم إظهاره إلا أن شعوره في باطنه ظهرت عليه مثل قول ابن عطاء الله (ما استُودعَ في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر):

كأن الكِرام الكاتبين تنزّلوا علي قلبه وحياً بما في صحيفتي

ومن أقواله واصفاً أحوال ومقامات العاشقين مع محبوبهم الأعلى سبحانه وتعالى :

وما بين شوقٍ واشتياقٍ فَنيتُ في تولٍ بحظرٍ أو تَجلٍ بحضرةِ

ومنذ عَفَا رسمي وَهِمتُ وهِمتُ في وجودي فلم تظفر بكوني فكرتي

وبالِيَ أبلي من ثيابِ تجلّدي به الذاتُ في الإعدامِ نيطَت بلذةِ

وكل أذي في الحب منكِ إذا بدا جعلت له شُكري مكانَ شَكيَّتي

أخالف ذا في لومِهِ عن تُقَيً كما أخالفُ ذا في لؤمهِ عن تَقيَّةِ

وأخذكِ ميثاق الولا حيث لم أَبِن بمظهرٍ لَبسِ النَفسِ في فيء طينتي

ونَعتِ جَلالٍ منكِ يعذُبُ دونَهُ عذابي وتحلو عِنده لي قتلتي

---

[24] نفس المصدر السابق

وعن مذهبي في الحب ما لي مذهب وإن مِلتُ يوماً عنه فارقتُ مِلّتي

ولو خَطَرت لي في سواكِ إرادةً علي خاطري سهواً قضيتُ برِدَّتي

وإن فتنَ النسّاك بعض محاسن لديكِ فكلٌ منكِ موضعُ فِتنتي

وأين الصفا هيهات من عيش عاشق وجنة عدن بالمكاره حُفّتِ

المقصود :صرت فانياً في حالة هي بين شوق حال التولي والإعراض عني بالمنع عن تجلي الحضرة، وبين اشتياق حال التجلي بالحضرة والوصل منها، إشارة إلي مقام الفناء بين حالتي الغيبة والحضور.

المقصود : عفا من العفو وهو المحو والطمس وإزالة الآثار، الرسم :ما بقي من أثر الشيء والمراد النفس التي هي أثر الروح، همت الأولي معطوفة علي عفا ومنها الهيام والهيمان وهو الدهش الشديد، وهمت الثانية من الوهم وهو الخيال أو الظن الخاطئ، الفكرة هي القوة الروحانية.

المقصود :البال يعني الخاطر والمقصود الحال أو القلب، أبلي : أقدم والبلي هو الرثاثة، التجلد الصبر والتحمل، الإعدام :الإنهاء والإفناء، نيطت :علقت به، أي وحالي في الرثاثة أخلق من لباس صبري، بل نفسي في وجدانها معدومة منوطة بلذتي، إشارة إلي مقام الفناء حيث أضرب عن إلحاق حاله في الرثاثة بالتجلد، وعلق ذاته في الفناء بلذته، وذلك لأن الروح باقية والنفس فانية.

المقصود : بدا يعني ظهر، شكيتي هي الشكوي، فكل أذي يصيب نفسه في هذا الحب الإلهي يجعل محله وبدلا منه شكر الله علي نعمه لأن الابتلاء يعني مزيد من الترقي في الدرجات والمقامات.

المقصود :اللوم يعني العتاب والملامة، اللؤم :الخسة والدناءة ،التقي :التقوي وهي الحذر من مخالفة أمر الله، التقية :الاستتار والتخفي وإيهام الآخرين بإظهار أمر وكمان عكسه خوفاً من شيء ما، مخالفة التقي في اللوم إشارة إلي النفس اللوامة أو القرين من الملائكة أو وارد الخير

فيتهم نفسه بالتقصير ليزيد من العمل الصالح ويترقي في درجات ومقامات الحب الإلهي، مخالفة اللئيم هي الاستعاذة من الشيطان لأن يصد عن عمل الخير وقوله التقية ليحافظ علي إخلاص العمل لله فلا يخالطه رياء، لأن ذيوع وانتشار أحوال أهل الله تزيد لوم الصالحين عليهم ممن لا يفهمون كلامهم ورموزهم، وتثير الأشرار عليهم فيتهمونهم بالكفر.

المقصود :ميثاق الولا :يعني عهد الولاء ويسمي ميثاق الذر الأول حيث قال الله تعالى (ألست بربكم) قبل خلق البشر، أبن :أظهر، الفيء :الرجوع، الطينة هي التي خلق الله منها آدم، أي أنه علي عهده الأول مع الله بالتوحيد وإخلاص العبادة حتي من قبل أن يخلق منذ أن كان روحاً ولهذا فإنه يعتبر لبس النفس وهي عوارض الدنيا المتبدلة لا تلهيه عن حقيقته وأصله فجسده مخلوق من الطين سيفني ولكن الروح النورانية لا تفني فالجنة التي نزل منها آدم هي موطن الإنسان الأصلي وليس الأرض.

المقصود :نعت جلال هو تجلي صفات الجلال الإلهية، يعذب :يحلو، عذوبة وعذاب من أصل لغوي واحد وهو عذب فما أحلي العذاب والابتلاء من عند الله ولأن الله هو المحبوب الأعلي فكل ما يقضي به يرضي به المؤمن، أي أن هذا العذاب المتولد عن العشق الإلهي يسبب لي سعادة وسرور وأجد به حلاوة وراحة بعكس العذاب المتعلق بأسباب أرضية مثل الخوف والقلق، وحتي الموت في سبيل تلك المعاني الروحانية السامية ليس شيئا سيئا ولا أندم عليه وهذا المعني نجده في الحديث (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر وليس ذلك إلا للمؤمن)

المقصود :الملة هي الدين والاعتقاد، ملت :من الميل وهو الإعراض والحيود، الحب مقصود به الحب الإلهي، أي أن اعتقاده بمحبة الله عز وجل ومذهبه في وحدة الوجود هي عين التوحيد والتنزيه ويسمي الموحد حنيفياً اي يميل عن الشرك وعبادة غير الله.. وهذا البيت مشابه لقول ابن عربي

(أدين بدين الحب أني توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني).

المقصود :خطرت إرادة تعني التفكير أو البال، السهو :النسيان ويقصد بغير قصد، الردة: الارتداد.

أي أن التفكير في ما سوي الله ارتداد عن الدين، وليس المقصود بهذا الخروج عن الإسلام مثل المرتين في عهد أبي بكر الصديق فليس هذا ما يقره الشرع، فالمقصود ليس العوام بل خواص الخواص من العارفين مثلما كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر ربه ولم يفعل ذنب أو يرتكب سيئة فإن المعصية عندهم هي عدم فعل الطاعات. وفي مذهب وحدة الوجود أن التوحيد أن ينظر العبد إلي الحقيقة الإلهية الواحدة في أعماله وأفكاره وأن الشرك هو النظر إلي ما سوي الله من موجودات ومخلوقات والتعلق بها بحيث تمنع تلك الكثرة الزائفة الزائلة العبد عن معرفة الحقيقة الواحدة وهي الذات الإلهية.

المقصود :فتن من الفتنة وتعني الضلال والضياع، النسّاك العابدين السائرين في طريق الله، أي أن تلك المظاهر والتجليات للحضرة الإلهية فتنت وأضلت كثيرين فحادوا عن الطريق إما بتغلب النفس عليهم بشهواتها وشبهاتها والبعد عن السنة أو بمس من الشيطان أو بالياء والسمعة، وهذا الفرق بين العابد والعالم المتحقق كما ورد في الحديث (فضل العالم علي العابد كفضل القمر ليلة البدر علي سائر الكواكب)، ولفظة النسّاك توضح ذلك، فالعالم المتحقق بالحقائق الإلهية يستغرق في الصفات وتملأه وتحتويه وذلك لإخلاصه الشديد لله وتمسكه بالطريق القويم إلي الله عز وجل.

المقصود :النفس التي تطمح لدخول الجنة لابد لها من جهد واجتهاد ومثابرة فإنها لا تستريح وتسترخي للدنيا وشهواتها بل تجاهد بالعمل الصالح، كما ورد في الأثر (حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره).

اتهم بعض الناس بسوء نية أو بسوء فهم ابن الفارض رحمه الله بالحلول والاتحاد وهو اعتقاد باطل يعتقد به الزنادقة أن الرب جل وعلا يحل في مخلوقاته ويتحد بهم وقد فنّد ابن الفارض هذا الزعم الباطل عندما تحدث عن الصحابي دحية الكلبي رضي الله عنه حيث كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بقوله :

وكيف وباسم الحق ظل تخلّقي تكون أراجيف الضلال مخيفتي

وها دحية وافي الأمين نبينا بصورته في بدء وحي النبوةِ

أجبريل قل لي كان دحية إذ بدا لمهدي الهدي في صورة بشريةِ

وفي علمه عن حاضريه مِزية بماهيّة المرئي عن غير مريةِ

يري مَلكاً يوحَي إليه وغيره يري رجلاً يدعي إليه بصحبةِ

ولي مِن أتمّ الرؤيتين إشارة تُنزّه عن رأي الحلول قصيدتي

وفي الذكر ذكر اللُبس ليس بمنكَر ولم أعدُ عن حكمي كتاب وسنةِ

قصائد اخري لابن الفارض25

أدِرْ ذكرَ مَن أهوي ولو بمَلامِي فإن أحاديث الحبيب مُدامِي

ليشهد سمعي مَن أُحبّ وإن نأي بطيف مَلامٍ لا بطيف منامِ

فلي ذكرها يحلو على كل صيغة وإن مزجوه عُذلي بخصامِ

كأن عذولي بالوصال مُبشّري وإن كنتُ لم أطمع بردِ سلامِ

بروحي مَن أتلفتُ روحي بحبها فحان حِمامِي قبل يوم حِمامِي

المقصود: أدر أمر من الإدارة، ملامي: لومي وعتابي، مدامي:الخمر والمقصود العشق الإلهي.

من عادات الشعراء بداية القصيدة بنوع من براعة الاستهلال لجذب الانتباه والتشويق وتنشيط الذهن، ومن ذلك مخاطبة شخص وهمي تخيلي أو اثنين أو أكثر كنوع من الحوار، والغزل والمقدمة الخمرية، واستهل ابن الفارض رحمه الله هذه القصيدة بهذا المطلع لهذا السبب،

[25] شرح ديوان ابن الفارض،عبد الغني النابلسي،دار الكتب العلمية بيروت

والمراد منها أريد سماع ذكر المحبوب والمقصود هنا حالة الحضرة الإلهية حتى لو بلومي وعتابي وتقريعي، فذلك الحديث يؤثر فيّ ويجعلني أطرب وأنتشي من أثر خمر العشق الإلهي عند سماع الذكر.

المقصود: إعادة ذكر المحبوب يجعل سمعي يشهده ولو على هيئة طيف خيالي فأشاهده بنور البصيرة وعين القلب لأنه بعيد غير قريب حتى لو باللوم والعتاب.

المقصود: العذل هو العواذل الكارهون الحاسدون فهم لا يفهمون هذا العشق الإلهي والحالات المتولدة عنه، فحتى ذكر المحبوب عز وجل على لسان العواذل يسعد نفسه لأن أولئك اللائمين عليه في موقفه وحاله من الحضرة الإلهية في كل أحواله حتى الخصام والمفارقة وهو حال البعد والحرمان من التجليات والواردات الإلهية.

المقصود :كأن عذولي على محبتي الإلهية يبشرني بالوصال مع الحضرة الإلهية دون أن يدري، وإن كنت لم أطمع من المحبوب برد السلام ولكن فضل الله الكبير لا يترك عبده الصالح في حالة الجفاء والإنكار ولكنه تهذيب للنفس وتهيئة لها لتلقي واردات وخواطر وتجليات جديدة.

المقصود: الباء في بروحي الأولى تسمى باء التفدية ومعناها أفدي بروحي، حمامي :الحمام هو الموت، أي أن حبي الشديد لتلك الصورة الجمالية لتجلي الحضرة الإلهية أتلف روحي فلذلك قرب أجلي وموتي قبل موعده وذلك على سبيل المجاز لشدة الوجد والوله الذي حل به.

تِه ، دلالاً فأنتَ أهل لذاكا وتحكّم فالُحسن قد أعطاكا

ولكَ الأمر فاقضِ ما أنتَ قاضٍ فعليَّ الجمالُ قد ولّاكا

وبما شئتَ في هواكَ اختبرني فاختياري ما كان فيه رضاكا

فعلى كل حالة أنت مِني بي أولى إذ لم أكن لولاكا

بجمالٍ حجبتَهُ بجلالٍ هامَ واستعذبَ العذاب هناكا

المعنى العام للأبيات: ته دلالًا من التيه وهو التكبر، إضافة الدلال إلى التيه لأنه لا يجوز إلا في حق المحبوب الأعلى سبحانه وتعالى لأنه وحده المتفرد بصفات الجلال والجبروت والعزة والقيومية، وقوله أهل لذاك تأكيد على هذا المعنى، وكما انفرد سبحانه وتعالى بالجلال المطلق انفرد بالكمال والجمال المطلق، فكل صورة جميلة في الكون من تجلي ذاته. ولا يكتمل إيمان المؤمن إلا بالابتلاء والاختبار، ثم رضاه بقضاء الله وقدره كما ورد في الحديث (والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به). فالله أعلم بعباده وبخلقهم منهم إذ لولا الله الخالق ما كان هناك خلق، ومع تنزل الرحمات والتجليات الإلهية ولطف الله بعباده أن جعل رحمته سبقت غضبه ورغم أن الجمال الإلهي محجوب بجلاله وجبروته إلا أن المتحققين من أهل الله يرون في ابتلاء الله وعذابه عذوبة وحلاوة لأنهم أهل الباطن والتحقيق، فكل من عند الله خير.

26

قلبي يحدثني بأنكَ مُتلفي روحي فداكَ عرفتَ أمْ لم تعرفِ

لم أقضِ حق هواك إن كنتُ الذي لم أقضِ فيه أسى ومثلي من يفي

ما لي سوى روحي وباذلُ نفسِهِ في حبِ من يهواه ليس بمُسرفِ

فلئن رضيتَ بها فقد أسعفتني يا خيبة المسعى إذا لم تُسعفِ

يا مانعي طيبَ المنام ومانحي ثوبَ السِقامِ به ووجدي المتلَفِ

عطفًا على رمقي وما أبقيت لي من جسمي المضنَي وقلبي المُدنَفِ

واسأل نجومَ الليل هل زار الكرى جفني وكيف يزور من لم يعرفِ

المعنى العام للأبيات: يخاطب ابن الفارض رضي الله عنه المولى تبارك وتعالى خطاب الخائف الوجل، ويدعو ويناجي حبيبه طالبًا الرحمة والمغفرة لأن حب الله عز وجل أتلفه والإتلاف هو الإفناء، روحي فداك كناية عن التواضع لله وطلب الإحسان منه، عرفت أم لم تعرف المقصود بالمعرفة الجزاء وقبول العمل

[26] نفس المصدر السابق

والعبادة مثل قوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) قال المفسرون يعبدون أي يعرفون، فمعرفة الله تعالى هي السبيل لقبول العمل، وهنا يخاف من عدم قبول العمل وفيه إشارة لمعنى عبادة الله عند الأولياء لاستحقاقه العبادة وهي مرحلة تفوق العبادة خوفًا من النار وطمعًا في الجنة مثل قول السيدة رابعة العدوية (أحبكَ حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاكا)، رغم تقصيري في حق جنابك لعدم قدرتي على تحقيق التقوى الكاملة لطبيعتي البشرية الناقصة لا نحصيك ثناء كما أثنيت على نفسك وهذا المعنى نجده في قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته)، (اتقوا الله ما استطعتم). ليس عندي أغلى من الروح في سبيل رضاك يا ربي ومن يقدم روحه في سبيلك ليس بإسراف لأنك الخالق ولولا فضلك وخلقك ما كان البشر ومثال على ذلك قوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة). فإن قبلتني يا ربِ وقبلت عملي فقد فزت برضاك والجنة والخسران الأكبر لمن خرج من رحمة الله. شدة المحبة الإلهية والخوف والرجاء وغيرها من أحوال لا تجعل العبد الصالح يكثر من النوم ويصيبه المرض سواء باطنًا أو ظاهرًا ويبدو عليهم أثر العبادة والتفكر في خلق الله تعالي.

أَرَجُ النسيم سَرى من الزوراء سَحَرًا فأحيا ميتَ الأحياءِ [27]

أهدى لنا أرواحُ نجدٍ عَرْفَهُ فالجو منه معنبَر الأرجاءِ

فسكرتُ من رَيّا حَواشي بُردِهِ وسَرَت حُميّا البُرءِ في أدوائي

صَب متى قفلَ الحجيجُ تصاعدت زفراته بتنفس الصُعداء

كلم السُهاد جفونه فتبادرت عَبراته ممزوجة بدماءِ

المعنى العام للأبيات: صور ورود التجليات الإلهية على المؤمنين بالرياح الطيبة وشدة انتظارهم وتعلقهم بها، وحال حرمانهم منها يؤدي إلى السهر والترقب والبكاء من الحزن.

الأرج هو رائحة الطيب، سرى: جاء ليلًا، الزوراء: بغداد والمقصود هنا جهة المدينة المنورة، السحر: قبل وقت الصبح، الأحياء: عكس الأموات أو القبائل، أي أن وردت رائحة النسيم

[27] نفس المصدر السابق

الطيب من المدينة المنورة من عند النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل الفجر بقليل وهو وقت الصفاء الروحاني والنفسي مما أحيا الأموات وفيه مجاز مثلما يحيي المطر الأرض البور. نجد منطقة بجوار الحجاز العرف هو الريح الطيبة، معنبر: ممتلئ برائحة العنبر الذكية. الريا: الريح الطيبة، الحاشية: الطرف، البرد: الثياب، البرء: الشفاء، الأدواء :الأمراض، أي أنه شعر بطيب الرياح القادمة من عند المدينة النبوية وما تحمله من تجليات إلهية فشعر بالعشق والمحبة للحضرة الإلهية وشُفي من أمراضه الحسية والنفسية، الظاهرة والباطنة. الصب هو العشق الشديد، أي أنه يصف حاله ومعهم أمثاله من أهل الله عند انتهاء هذه الحال من الحضور والوصل مع الله عز وجل بالذي يُعاني ويُقاسي سَكرات الموت والحزن الشديد الناتج عن ذلك حتى تقرحت عيونهم فامتزج الدمع والدم.

شربنا على ذكر الحبيب مُدامةً سكرنا بها، من قبل أن يُخلق الكَرمُ

لها البدرُ كأس وهي شمس يديرها هلال وكم يبدو إذا مُزجَت نجمُ

ولولا شذاها ما اهتديتُ لحانها ولولا سناها ما تصورها الوهم

ولم يبقِ منها الدهر غيرُ حشاشة كأن خفاها في صدور النهي كتم

فإن ذُكرت في الحي أصبح أهله نشاوى ولا عار عليهم ولا إثم

ومن بين أحشاء الدنان تصاعدت ولم يبقَ منها، في الحقيقة إلا اسم

وإن خطرت يومًا على خاطر امرئ أقامت به الأفراح وارتحل الهمُ

ولو نضحوا منها قبر ميت لعادت إليه الروح وانتعش الجسمُ

<u>المعنى العام للأبيات:</u> وصف لحالة الحضرة الإلهية، وربما يكون الحبيب هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم والغالب أن هذا الموقف كان من مجالس الذكر والصلاة علي النبي صلى الله عليه وسلم، المدامة: الخمر، الكرم هو العنب وسكروا بها قبل خلق الكرم إشارة إلى الحديث (كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين) أو إشارة لميثاق الذر الأول. الشمس رمز لتجلي الحضرة الإلهية والهلال رمز للحضرة المحمدية فهو المبلغ عن ربه والمهني يسري على شيخ الطريقة والمبلغ عنه من التلاميذ. الحشاشة هي الأمعاء والمقصود ما تبقى من الروح وهو تعبير عن امتلاء الباطن بالنور

الإلهي، ومن نعمه تعالى على عباده أن علمهم وعرفهم تلك العلوم وأعطاهم تلك التجليات التي لم يكونوا ليدركوها بعقولهم. لا غضاضة ولا حرج في خمر العشق الإلهي فلها تأثير خمر الجنة وليست مثل خمر الدنيا المحرمة. الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تزيل الكدر والحزن ويحل محلها الفرح والسرور. ومثل هذه الأنوار من الحضرة الإلهية أو الحضرة المحمدية تحيي الموتى كما ورد في الأثر (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كالبيت الخرب) فكلام الله وروحه كانت تحيي الموتى بإذن الله مثل قصة المسيح.

زدني بفرطِ الحب فيكَ تحيرّا وارحم حشيً بلظى هواكَ تسعّرا [28]

وإذا سألتُكَ أن أراكَ حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

يا قلبُ أنتَ وعدتني في حبهم صبرًا فحاذرْ أن تضيقَ وتضجرا

إن الغرام هو الحياة فمُتْ به صبًّا فحقك أن تموت وتُعذرا

ولقد خلوتُ مع الحبيب وبيننا سرٌ أرق من النسيم إذا سرى

فدُهشت بين جماله وجلاله وغدا لسان الحال عني مخبِرا

فأدر لحاظكَ في محاسن وجهه تلقى جميع الحُسن فيه مصوَّرا

المعنى العام للأبيات: يخاطب ابن الفارض رحمه الله المحبوب الأعلى سبحانه وتعالى، الحيرة في الله هي عين الهداية، ويدعو الله أن يرحم باطنه بأن يملأ قلبه ونفسه وروحه من نور تجليات العشق الإلهي. والرؤية في الدنيا للذات الإلهية لا تكون بالعين أبدًا وإنما بالقلب مثل قصة موسى والجبل فتكون بالبصيرة لا بالبصر، أما في الآخرة فينظر العبد إلى ربه، والكافر فقط هو المحروم من تلك الرؤية. ويطلب من قلبه الصبر والتحمل على قوة الواردات الإلهية في حالة الوصل وفي حالة الانقطاع أيضًا لأن حياة الإنسان الحقيقية في القرب من الله، والدار الآخرة فيها الخلود وليست الحياة الدنيا. الخلوة مع الله عز وجل لها طعم وذوق ولذة يشعر به أهل الله وانحرم منه كثير غيرهم من الغافلين، ومن أسس الولاية في الله الاستتار وليس الإعلان حتى لا

[28] نفس المصدر السابق

يُفتن الناس ويُفتن الولي بالرياء، ولكن من صفت سريرته ظهر عليه الصلاح والبهاء حتى مع التكتم. المحبوب سبحانه وتعالى له وحده صفات الجلال والكمال والجمال المطلق وتجلياتها الواضحة في الكون في الموجودات فكما أن القرآن كتاب الله المقروء فالكون كتاب الله المصوَر المنظور.

ما بين مُعترَك الأحداقِ والمُهجِ أنا القتيل بلا إثم ولا حرجِ

ودّعتُ قبل الهوى روحي لما نظرتْ عيناي من حُسنِ ذاك المنظر البهجِ

لله أجفان عينٍ فيكَ ساهرة شوقًا إليكَ وقلب بالغرام شَجِ

وأضلع نَحِلت كادت تقومها من الجوى كبِدي الحري من العوج

وأدمع هملت لولا التنفس من نار الهوى، لم أكد أنجو من اللججِ

عذّب بما شئتَ غير البُعد عنكَ تجدْ أوفى مُحبٍ بما يرضيكَ مبتهجِ

محجَب لو سرى في مثل طرتهِ أغنته غُرّته الغرّا عن السُرجِ

وإن ضللتُ بليل من ذوائبه ِ أهدى لعيني الهدى صبح من البلجِ

<u>المعنى العام للأبيات:</u> وصف للصورة الروحانية عن تحلي الحضرة الإلهية وعن أنوارها وأسرارها، والأحوال والمقامات الصوفية بين الوصل والاشتياق والحنين والانقطاع والحرمان، وكيف يرى ابن الفارض رحمه الله الجمال الإلهي المطلق متجليًا في كل الموجودات.

<u>ومن أجمل ما كتب ابن الفارض رحمه الله:</u>

وفي حضرة المحبوب سِرّي وسِرّها معًا ومعانيها علينا لوامعُ

وكل مقام في هواها سلكته وما قطعتني فيه عنها القواطعُ

بوادِي بَوادي الحب أرعى جمالها ألا في سبيل الحب ما أنا صانعُ

صبرتُ على أهواله صبرَ شاكر. وما أنا في شيء سوى البعد جازعُ

إذا ما بدت ليلى فكلي أعين وإن هي نادتني فكلي مسامعُ

تواضعتُ ذُلًا وانخفاضًا لعزها فشرّف قدري في هواها التواضعُ

ولي عندها ذنب برؤية غيرها فهل لي إلى ليلى المليحة شافع

خليليّ إني عصيتُ عواذلي مطيع لأمر العامرية سامعُ

فقولا لها إني مقيم على الهوى وإني لسلطان المحبة ضائعُ

وقولا لها يا قرة العين هل إلى لقاكِ سبيلٌ ليس فيه موانعُ

المعنى العام للأبيات: وصف لتجليات أنوار الحضرة الإلهية والحضرة المحمدية فمعاني وأنوار الحضرة المحمدية مستمدة من أنوار الحضرة الإلهية، ليلى أو غيرها من الأسماء رمز للحضرة أو التجليات، المحبوب هو الله عز وجل وقد يكون النبي صلى الله عليه وسلم، قوله سري وسرها للدلالة على الحضرة الإلهية والحضرة المحمدية. المقامات هي المراحل التي يسلكها العارف بالله. قوله بوادي الأولى جمعها وديان وأودية، والثانية بمعنى الصحاري. اقتران الصبر مع الشكر والصبر على البعد والرضا بقضاء الله وقدره هي صفات المؤمنين من أهل الطريق. وتتغير أحوال العبد الصالح بين وصل وانقطاع مع انتظاره لعودة الواردات والخواطر والتجليات على قلبه.

..

السهروردي

عرف المسلمون أشكالًا متعددة للتدين؛ وذلك لانفتاحهم على حضارات وثقافات متعددة فأضافت عمقًا لإيمان المسلم واعتقاده وصقلت الحكمة والفلسفة والمعرفة التراث الفكري الإسلامي ويظهر ذلك بوضوح أكثر في مدرسة تزكية النفس وعلوم التصوف وأبرز مثال على ذلك الشيخ شهاب الدين أبو الفتوح يحيي السهروردي الشيخ القتيل المولود في ٥٤٩ 29هجريًا والملقب بشيخ الأشراق والمؤيد بالملكوت وبالحكيم مظهر الحقائق ومبدع الدقائق فقد جمع السهروردي رحمه الله بين فلسفة اليونان القديمة وبين الفلسفة الإسلامية الصوفية مما انعكس على حكمه وفلسفته بل ومعتقده أيضًا وكان رحمه الله من أعلام التصوف في عصره وقد تربى على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله ونشأ فقيهًا شافعيًّا وكان من أعلم أهل زمانه بالفلسفة وعلوم الحكمة والتصوف وتعلم السيميا وللسهروردي أسلوب راقٍ في الكتابة يفوق أقرانه من المتصوفة التقليديين الذين يكثر على أسلوبهم الإطناب والإطالة واستخدام لغة معقدة تكثر فيها التراكيب، أما هو فيتسم أسلوبه بالوصول إلى الأفكار سريعًا وتأثر بالفكر الإسماعيلي ودرسه إلا أن مذهبه واعتقاده قائم على السنة ومن مأثوراته30 (ليس العلم وقفًا على قوم لينغلق بعدهم باب الملكوت بل واهب العلم الذي هو بالأفق المبين ما هو على الغيب بضنين وشر القرون ما طوي فيه بساط الاجتهاد وانقطع فيه سير الأفكار وانحسم باب المكاشفات وانسد طريق المشاهدات) (حرام على الأجساد المظلمة أن تلج ملكوت السماوات فوحد إله وأنت بتعظيمه ملان واذكره وأنت من ملابس الأكوان عريان ولو كان في الوجود شمسان لانطمست الأركان وأبى النظام أن يكون على ما كان)،وفي تفسير قوله تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة) (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) قال عنه (مسطور في لوح الذكر المبين أن السائرين وهم الذين يقرعون أبواب غرفات النور مخلصين صابرين تتلقاهم ملائكة الله مشرقين يحيونهم بتحايا الملكوت ويصبون عليهم ماء من ينبوع البهاء ليتطهروا فإن رب الطول يحب طهر الوافدين).وتظهر قيمة السهروردي رحمه الله في أنه وضع فلسفة وحكمة جديدة أضافت للتصوف أبعادًا جديدة لم تكن معهودة من قبل

---

[29] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، شهاب الدين السهروردي

[30] ظل الإله وهراوة الرب، كريم الجمال

فهي ليست مجرد طريقة صوفية وإنما منظومة عرفانية فلسفية متكاملة وسميت حكمة الإشراق أو فلسفة الإشراق وأظهر أفكاره بقوة في كتابه الشهير هياكل النور الذي لاقى قبولًا كبيرًا وفلسفة الإشراق تعني انبثاق النور فالعلم نور يضعه الله في قلب العارف فيشرق فالقلب مثل المرآة المجلوة المصقولة مثل اللوح المحفوظ وما عليه من علوم وحقائق إلهية فلا بد للمرآة أن تكون صافية حتى تظهر فيها الصور والقلب مثلها لا بد أن يصفو من الأحقاد والظنون وحب الدنيا والمعصية فيصفو وينقي بحب الله فيملأه الله نورًا وذكرًا أسسها العلمية في كتابه المطارحات ومنها العقل والاستدلال المنطقي والفلسفي وأنه بدون ذلك لا يمكن فهم كتابه حكمة الإشراق وكذلك الذوق الفطري وصفاء الباطن وتمتاز تلك الفلسفة بإيجاد رابط بين الاستدلال العقلي والتصوف فهي مدرسة مستقلة بكل المقاييس ومن نتائجها المقارنة بين المشاهدة والبرهان فالصانع يغني عن الصناعة أو الله يغني عن المخلوقات .كما أن فلسفة الإشراق تعتمد على ظواهر القرآن والسنة .فهياكل النور تقسم إلى سبعة هياكل أولها هيكل الجسم ويذكر السهروردي رحمه الله أن الله ليس بجسم لأن الجسم هو كل ما يمكن الإشارة إليه بالحس فله طول وعرض وأبعاد ولا يمكن أن يتكون من أجزاء أو من ذرات فالله غير قابل للانقسام والتجزئة أما الهيكل الثاني فهو هيكل النفس ومعانيها ووجودها واختلافها عن الجسم وأن لها طبيعة مجردة لأنها تدرك حقائق مجردة فالنفس الناطقة ذات مجردة عن الجسمية وهو جوهر روحاني ولها ماهية قدسية ولها قوى منها الحواس الخمس الظاهرة والباطنة وهي المخيلة والفكر والذاكرة ومركزها هو المخ وهناك فارق بين الروح الحيواني المحمل بالغرائز والشهوات والروح الإنساني الذي يرتقي عن ذلك ليكون روحًا نورانيًا ويثبت أن الله ليس بنفس كما قال المؤلهة الذين يقولون إن النفوس كلها أصلها واحد وهو الله أو من يقول كذبًا على الله إن نفسه محبوسة في جسم وهو ما ينسف الاتهامات الباطلة التي وجهت للسهروردي مدعية قوله بالحلول والاتحاد أو بوحدة الوجود ويؤكد ذلك قوله إن الذات الإلهية لا يمكن أن تتجزأ لأنفس فالله واحد أحد غير قابل للتجزئة وأن الله يجعل لكل جسد روحًا داخله وفي الهيكل الثالث يتناول بعض المبادئ العقلية والمنطقية ويثبت أن هناك قوة علية سماوية تدير الكون إذ لا مجال للصدفة فوجود العلة معناه وجوب وجود المعلول فالمخلوقات تدل على الخالق وفي الهيكل الرابع ينفي فكرة تعدد الموجود واجب الوجود أي أن الكون يستحيل أن يكون له أكثر من إله واحد .وأن الله ليس بعرض أي غير قابل للحوادث فالله (نور السماوات والأرض) نوره قائم لذاته ظاهر لذاته (يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار)وفي الهيكل الخامس يتحدث عن طبيعة حركة الأفلاك والهيكل السادس والسابع عن الميعاد والنبوة والأحلام وعودة النفس إلى عالم الأرواح الطاهرة بعد الموت وأن كمال النفس يكون في مفارقتها للجسد.

آياتُ نبوةَ الهدي بي ظهرَت قلبي كتَمت وفي زماني اشتَهرت [31]

هذي كبدي إذا السماء انفطرت شوقًا وكواكب الدموع انتثرَت

ومن أروع قصائده:

أبدًا تحنُّ إليكم الأرواحُ ووصالكم ريحانها والراحُ

وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم وإلى لذيذ لقائكم ترتاحُ

وا رحمةً بالعاشقين تكلفوا سِتر المحبة والهوى فضّاحُ

بالسر إن باحوا تُباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تُباح

وإذا هم كتموا تحدث عنهم عند الوشاة المَدمع السفاحُ

صافاهم فصَفوا له فقلوبهم في نورها المشكاة والمصباحُ

ودعاهم داعي الحقائق دعوة غدوا بها مستأنسين وراحوا

رَكبوا على سُفن الوفا ودموعهم بحر وشدة شوقهم ملاّحُ

والله ما طلبوا الوقوف ببابه حتى دعوا فأتاهم المفتاحُ

لا يطربون بغير ذكر حبيبهم أبدًا فكل زمانهم أفراحُ

حضروا وقد غابت شواهد ذاتهم فتهتكوا لما رأوه وصاحوا

أفناهم عنهم وقد كشفت لهم حجُب البقا فتلاشت الأرواحُ

هي خمرة الحب القديم ومنتهى غرض النديم فنعم ذاك الراحُ

[31] موقع الديوان،موسوعة الشعر العربي،شهاب الدين السهروردي

المعنى العام للأبيات: إن الحب للمحبوب الأعلى سبحانه وتعالى قديم، فطرة بشرية سوية لأنها مرتبطة بالروح وهي مخلوق نوراني سماوي والله نور السماوات والأرض، فالفرع يحن للأصل. وهذا الحب ملأ قلب المحبين نورًا فأغناهم عن كل شيء وعن الدنيا وما فيها فتعلقوا بحب الله وحده لا شريك له فلا يشعرون إلا بهذا الحب.

ومن أشهر ما كتب واصفًا الجمال المطلق للذات الإلهية، وشدة التأثر بذلك الجمال :32

يا مليحًا قد تجلّى فيه أهل الحيّ هاموا

سيما لما تحلّى وحلا فيه الغرامُ

قلتُ لما لاح يجلى وانجلى عني الظلامُ

هكذا العيشُ وإلا فعلى الدنيا السلامُ

حبذا لما سقاني صَفو كأس الحب صِرفًا

وحباني بالتداني وانثني جيدًا وعطفًا

***

32 نفس المصدر السابق

أبو مدين الغوث

أبو مدين الغوث أو أبو مدين التلمساني هو شيخ الشيوخ وإمام العباد والزهاد أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري، أشعري مالكي ومؤسس الطريقة المدينية امتدادًا لطريقة القطب عبد القادر الجيلاني، ويعتبر من الأركان والأعمدة الأساسية للتصوف في المغرب العربي وفي الإسلام قاطبة. 33ولد (٥٠٩ هـ -١١٢٦ في قطنيانة بالقرب من أشبيليه، وتوفي عام ٥٩٤ هـ -١١٩٨ في تلمسان) في زمن دولة المرابطين والموحدين. لقبه ابن عربي بمعلم المعلمين. تلقى العلم منذ صغره في إشبيلية وحفظ القرآن، ثم ارتحل إلى بلاد المغرب ومر بمدن كثيرة، ثم توجه لفاس ويقول عن ذلك (سرت إليها ولازمت جامعها ورغبت في من علمني أحكام الوضوء والصلاة ثم سألت عن مجالس العلماء فسرت إليها مجلسًا بعد مجلس).

قرر الشيخ أبو مدين الذهاب إلى الحج والتقى بالقطب عبد القادر الجيلاني، فقرأ عليه في الحرم الأحاديث وألبسه خرقة الصوفية، ثم عاد إلى مدينة بجاية حيث عاش هناك أغلب فترات حياته، هنالك ظهر فضل الشيخ وكثر أتباعه وشاع اسمه وأقام بمسجد بجاية للتدريس وظل يمارس الوعظ، و شرع في نشر طريقته بين الناس في بلدة بجاية أنجب ولده مدين هناك فعرف بأبي مدين، وبنى سلاطين بني مدين بضريحه مسجدًا ومدرسة. ولأبي مدين الغوث مؤلفات كثيرة في التصوف، وديوان في الشعر وكذلك تصانيف من بينها "أنس الوحيد ونزهة المريد في التوحيد".وكان له أكثر من ألف تلميذ كلهم من العلماء والأولياء. استمرت وانتشرت طريقته عن طريق الشيخ عبد السلام بن مشيش وأبي الحسن الشاذلي في المغرب ومن بعدهم أبي العباس المرسي في مصر والمدرسة الصوفية في حضرموت في اليمن متمثلة في طريقة باعلوي، وكتب عنه العلماء قديمًا مثل عبد الوهاب الشعراني وحديثًا مثل الشيخ عبد الحليم محمود.

---

[33] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ،أبو مدين التلمساني https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D8%B9%D9%8A%D8%A8_%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D9%85%D8%AF%D9%8A%D9%86

وكان يقول: 34(طريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى بسنده عن الجنيد عن سري السقطي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عليه السلام، عن ربِّ العالمين جل جلاله). (ليس للقلب إلا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها وكان يقول الغيرة ألا تعرف ولا تعرف وأغنى الأغنياء من أبدى له الحق حقيقة من حقه وأفقر الفقراء من ستر الحق حقه عنه).

وبالنسبة لجهاده في سبيل الله وتحرير بيت المقدس من الصليبيين فقد شارك شخصيًّا في المعارك الطاحنة بعد أن بادر إلى إنشاء رباط من الجنود والموردين بالقدس (فلسطين) للمساهمة في تطهير ثالث الحرمين الشريفين من الاحتلال. وحسب المصادر التاريخية فإن أبا مدين قد أبلى بلاء حسنًا في أرض الوغى إلى جانب البطل صلاح الدين الأيوبي وقد صمد في المعارك إلى أن اجتثت إحدى ذراعيه ودفنت بالأرض المقدسة. واعترافًا له بهذا الجهاد أمر صلاح الدين بإقامة وقف له ولأهله وتلاميذه يتمثل في ملكية تبدأ بـ"باب المغاربة" حتى "باب السلسلة" وهي الأبواب الرئيسية للحائط الغربي للمسجد الأقصى المبارك الذي يدعى حائط البراق ويتضمن مزارع وبيوتًا وأملاكًا نفعية عديدة.

له قصائد رائعة في وصف حاله وحال رفاقه من الأولياء والسالكين والمتصوفة في ترك الدنيا والتعلق بالله عز وجل :35

أهل المحبة بالمحبوب قد شُغلوا وفي محبته أرواحهم بذلوا

وخربوا كل ما يفنى وقد عمروا ما كان يبقي فيا حُسن ما عملوا

لم تلهِهم زينة الدنيا وزخرفها ولا جزاها ولا حلي ولا حُللُ

هاموا على الكون من وُجد ومن طرب وما استقل بهم ربع ولا طللُ

---

[34] نفس المصدر السابق

[35] بوابة الشعراء ،أبو مدين التلمساني

http://www.poetsgate.com/Poet.aspx?id=3049

ومن أروع قصائده بذات المضمون:36

قوم كرام السجايا حيثما جلسوا يبقى المكان على آثارهم عَطِرا

يُهدي التصوف من أخلاقهم طرفًا حُسن التألُّف منهم راقني نظرا

لازال شملي بهم في الله مجتمعًا. وذنبنا فيه مغفورًا ومغتفرا

ثم الصلاة على المختار سيدنا محمد خير من أوفى ومن نذرا

مما اشتهر له في الحضرات وعلى ألسنة المادحين:

تضيقُ بنا الدنيا لو غِبتم عنا وتذهبُ بالأشواق أرواحنا منا

فبُعدكم موت وقربكم حياة. فإن غبتم عنا ولو نَفسًا متنا

نموت ببعدكم ونحيا بقربكم وإن جاءنا عنكم بشير اللقا عشنا

ونحيا بذكراكم إذ لم نراكم ألا إن تذكار الأحبة ينعشنا

من عادة الصوفيين الاستغاثة بالله وتسمى تلك القصائد بالغوثية 37

بسم الإله أبدأ الغوثية. مصليًا مسلمًا بنبيه

على النبي الطاهر المقبول محمد عوني على المأمول

لما رأيت الحق ضاق وافتضح واشتعل الحرب لوجه وانفتح

وافترس العدو قلبي واقترح. وظهر الغَلْب عليَّ واتضح

ناديتُ غوثاً يالَ حزب الله. الغالبين ذي العلا والجاه

---

[36] نفس المصدر السابق

[37] نفس المصدر السابق

يالَ النبيين ويالَ المرسلين ويا أهل بدر حماة السائلين

يا أهل التصرف وذا البرهان. غوثًا ويال بيعة الرضوان

يا خلفًا ويا تمام العشرة يال عيون الخلق يال السَفرَة

يال الإغاثة ويال التابعين يال رجال الله يال المانعين

نفسي وذنبي ثم إبليس الرجيم. مع احتياجي قد رموني في الجحيم

***

أبو الحسن الششتري

أبو الحسن علي بن عبد الله الشُّشتري الأندلسي المغربي الشاذلي.38 وُلد عام ٦١٠ وتُوفي عام ٦٦٨ هجريًّا في قرية طينة قرب دمياط . كان رحمه الله من أبناء الملوك، فأبوه كان أميرًا بقرية شُشتر من عمل وادي آش، فجذبه الحقُّ إليه، فخلع ما كان عليه من لبس الأمراء، وارتدى ملابس الفقراء. يقول عنه ابن الخطيب في الإحاطة (عروس الفقراء، وأمير المتجردين، وبركة الأندلس، لابس الخرقة). حفظ القرآن وتعلم أصول الفقه، وصحب الأستاذ ابن سَبْعين رحمه الله وجاء إليه، وقال له: مُرادي دخولُ الطريق، ومشاهدة أسرار القوم. فقال له: حتى تبيع متاعك، وتخلعَ ثيابك، وتذهب إلى مكناس المدينة المغربية الجميلة، فجعل يُنشد الأشعار في المحبة ويسمعه في الأسواق يقول:

شُوبِّخ من أرضِ مكناس في وسط الأسواق يغني

إيش عليّا أنا من الناس وإيش على الناس مني

كان ينشد أشعارًا باللهجة المغاربية العامية، شويخ تصغير شيخ وذلك التواضع، ايش كلمة عامية تعني ماذا. ومن أشعاره الرائعة لوصف حبه واشتياقه إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم :39

يا سروري بطيبه حين أراها نطيبُ

وأشاهد بعيني لربوع الحبيبُ

وأقول عند قبره يا سامعُ يا مجيبُ

---

[38] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ،أبو الحسن الششتري

[39] الموسوعة العالمية للشعر العربي، أبو الحسن الششتري

http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=lsq&shid=511&start=0

أنا عاشق مليح ونسله عربي

الحال يمشي بخير اصبر يا قلبي

وقال أيضًا:40

أقسمتُ لا ينثني لواء عن صاحب الحوض واللواء

محمدٌ أشرقُ البرايا وقبلة الحق للدعاء

أمناؤه أنبأت بصدق بأنه خير الأنبياء

أشار للبدر بانقسام فانقسم البدر في السماء

من أروع ما كتب عن الشوق والتعلق بالذات الإلهية رغم لوم بعض الناس من الجاهلين بحاله:

سُلُوّي مكروه وحبكَ واجبٌ وشوقي مقيمٌ والتواصلُ غائبُ

وفي لوحِ قلبي ودادكَ أسطرٌ ودمعي مِدادٌ مثل ما الحسن كاتبُ

وقارئ فكري للمحاسن تاليًا على درسِ آيات الجمال يواظبُ

أنزّه قلبي في سماء جمالكم لثاقب ذهني نجمها هو ثاقبُ

حديثُ سواكَ السمع عنه مُحرَم فكلي مسلوبٌ وحُسنك سالبُ

ويعد أبو الحسن الششتري من أشهر الشعراء والمادحين، فهو أميرهم في المغرب وشهرة أشعاره العذبة تجاوزت المغرب والأندلس، فامتلأت بها حلقات الذكر والسماع في العالم كله، ومما أُشتهرَ على ألسنة المادحين:41

---

40 نفس المصدر السابق

يا حياتي وأنتَ في ذاتي حاضر لا تغيب

أنتَ أسكرتني على السُكر من لذيذ الشراب

ثم خاطبتني كما تدري ففهمتُ الخطاب

ثم شاهدتُ وجهكَ البدري عند رفع الحجاب

ثم صيرتني رقيب ذاتي كنتَ أنت الرقيب

المعنى العام للأبيات: أن الله عز وجل بقيوميته وديمومته وعلمه حاضر لا تأخذه سنة ولا نوم حتى وإن ذكره العبد أو غفل عن ذكره، وذلك لأن أصل الإنسان المخلوق من نفخة الروح في آدم أبي البشر فكل إنسان بداخله هذا المكون الإلهي النوراني، تحيا الروح وتسمو بالطاعة وتخفت وتهت بالمعصية، وينعم الله على عباده وخواصه بنعمة المحبة فهو يهديهم إلى طريقه ويأتي بهم إلى حضرته وتلك أكبر نعمة، ينادمهم ويصافيهم بأسراره وحكمته كما يشاء بالقوة الإلهية، ويرفع لهم من الحجب وتكون الرؤية بالقلب فتغيب ذواتهم عن رؤية أنفسهم فيرون عظيم صنع الله في الكون وتجليه على الموجودات وعند انمحاء الوجود الإنساني المُحدث في الوجود الرباني القديم تتحقق مراتب مثل الفناء والبقاء وغير ذلك، وذلك المعنى نجده في الحديث القدسي المشهور عن العباد الربانيين (حتى أحبه فأكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به.....).

أُدخِلِ الحانَ وشاهد المعنى لتنالَ الأمان

كي تراني بين الدِنان عاكفًا شاخصًا للديّان

وسقاني ساقي المُدام دوري قبل دور الزمان

أنتَ تدري من كان ساقينا القريبُ المجيب

---

[41] نفس المصدر السابق

يا حياتي وأنتَ في ذاتي حاضر لا تغيب

وسمعتُ الخطابَ من ذاتي من مكان قريب

المعنى العام للأبيات: يخاطب أبو الحسن أحد تلاميذه، أو شخصًا وهميًّا تخيليًّا وهذا من عادة الشعراء لإثارة الذهن وجذب الانتباه، وكأنه يعلمه الطريق إلى الله ليكون من أولئك الأولياء العارفين. يطلق المتصوفة على الله عز وجل رمز الساقي والخمر غير المسكرة هي المحبة ولما كان الله أزليًّا ولا تجري الحوادث وأحكام المكان والزمان فإن تلك المحبة أزلية أيضًا تشعر بها الأرواح.

..

عبد القادر الجيلاني

قسم القدماء العلم فوقع بين أربعة مشايخ وأطلقوا عليهم الأقطاب الأربعة الكبرى هم الأركان [42] التي بني عليها علم المسلمين وهم عبد القادر الجيلي والسيد أحمد الرفاعي و السيد إبراهيم القرشي الدسوقي و السيد أحمد البدوي وهؤلاء المشايخ الأربعة قدس الله سرهم الشريف يحملون تقدير المسلمين منذ قديم الزمان لما عرفوا به من التقوى والزهد والورع والطاعات والانكباب على طلب العلم وعلى القرآن وعلى تعليم الناس الأخلاق وسير الصالحين من أتباع النبي وصحابته الكرام وآل بيته الأطهار ويعطونهم الأذكار والأوراد والأدعية وعرفوا بالتواضع على كثرة علومهم .وإن كان هناك أقطاب غيرهم ومتصوفين وعلماء وفقهاء آخرين ولكن شهرة الشيخ من كثرة تلاميذه وانتشارهم وهو ما نجده من أتباع الطرق الأربعة حتى وقتنا هذا .وهذه الطرق الأربعة إنما تنتهي إلى أصل واحد وهو القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وسبب تسمية المشايخ بالأقطاب الأربعة لتأسيسهم الطرق المشهورة التي سار عليها المسلمون للوصول إلى طريق الله وانتشرت في كل العالم استكمالًا للطريق الذي رسمه النبي والصحابة وبدأه الأنبياء من قبل ويدعو المسلمون في صلاتهم (آت سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته)،والوسيلة هي موطن ومنزلة الأولياء كلهم والفضيلة لرؤساء الأولياء والتابعين والصحابة والدرجة الرفيعة للأنبياء والرسل والمقام المحمود للنبي صلى الله عليه وآله .ووضع العلماء شروطًا للولاية وهي طاعة الله والاستقامة وأعظمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشر الخير وإصلاح المجتمع وإعمار الأرض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرط خيرية الأمة وخيرية المؤمن وهي شرط الولاية وأساس القطبية لقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وأعلى مقامات الخير والأمر بالمعروف هو مقام الدعوة إلى الله .والشيخ عبد القادر الجيلي أو الجيلاني أو الكيلاني لأنه ولد ببلدة جيل وهو رحمه الله مؤسس الطريقة القادرية ولقب بباز الله الأشهب وشيخ الإسلام وكان فقيهًا حنبليًّا ولد عام ٤٧٠ هجريًّا ونال قسطًا وافرًا من علوم الشريعة واشتهر في العراق ثم صار يعلم الناس ويعظهم وكان له كلمة مسموعة عند الحكام والأمراء والوجهاء فتاب كثيرون منهم إلى الله وعرفوا طريقه بهداية الشيخ عبد القادر الجيلاني

---

[42] ظل الإله وهراوة الرب، كريم الجمال، ص ٩٢

وكان شخصية آسرة مؤثرة (كاريزمية) في دروسه ووعظه وإلقائه وتأثر بالغزالي وقام بالتدريس في مدرسة أبي سعيد في باب الأزج وصار رئيسًا للمدرسة وتوافد عليه طلبة العلم حتى ضاقت المدرسة بهم وضموا المنازل حولها ومناطق أخرى وتبرع الأغنياء بمبالغ كبيرة للمدرسة وأسلم على يديه ٥ آلاف شخص وأثنى عليه ابن تيمية رحمه الله ثناءً كبيرًا وابن عربي رحمه الله (وقلما يجتمع ثناؤهما في شخص)،وغيره من العلماء من علماء المذاهب الأربعة فقد أجاد في المذاهب الفقهية كلها وهو أكثر الأقطاب الأربعة بل ومن أكثر المتصوفين اتفاقًا على علمهم وفضلهم ونسكهم وتقواهم ومن كتبه إغاثة العارفين وغاية منى الواصلين، أوراد الجيلاني، التوصل إلى منازل السلوك، تحفة المتقين وسبيل العارفين، جلاء الخاطر في الباطن والظاهر الرسالة الغوثية، أما كتابه الأشهر الذي فيه أوراده ومواعظه فهو الفتح الرباني والفيض الرحماني، وتروي كتب المؤرخين الصوفيين أنه أخذ الطريقة عن أبي سعيد المبارك المخزومي عن أبي الحسن القرشي الهكاري عن أبي الفرج الطرطوسي عن أبي بكر الشبلي عن الجنيد عن السري السقطي عن معروف الكرخي عن داود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري ويقولون إن مصدر الطريقة هو الإمام علي وقد ورث علم النبوة عن رسول صلى الله عليه وآله .ومن العراق أيضًا بزغ نور أحمد الرفاعي طيب الله ثراه في عام ٥١٢ هجريًّا وهو فقيه أشعري صوفي شافعي وملقب بأبي العلمين وأبي الطرائق ومؤسس الطريقة الرفاعية المنتشرة في العالم ولد سنة ٥١٢ هجريًّا وهو من السادة نسل آل البيت وجده هو الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسن بن علي سلام الله عليهم جميعًا، وكان الرفاعي قدس الله سره أعلم أهل زمانه وأبرز فقهاء الشافعية فقد برع في جميع علوم الشريعة رغم صغر سنه وأتقن الفقه إتقانًا تامًّا وسمي بأبي العلمين لبلوغه قمة العلم في علوم الظاهر والباطن (الشريعة والحقيقة)،وعلوم الفقه والتصوف وأتقن علوم الحديث والتفسير وكان متواضعًا زاهدًا شديدًا على الكافرين والمبتدعين رؤوفًا رحيمًا بالمؤمنين سخيًّا كريمًا جوادًا، وعكف من عمره وجهده على تعليم الناس العلوم الدينية وعلوم الأخلاق ومدرسة التربية والتزكية. وتقوم الطريقة الرفاعية على مجاهدة النفس ضد الشهوات والإكثار من الطاعات كما ورد في الكتاب والسنة والإكثار من الأذكار والأوراد لشغل النفس بالطاعة عن المعصية وعن زخرف الحياة الدنيا مما يجلي حقائق الإيمان وأسرار الكون للمؤمن فتلاميذ السيد الرفاعي والمنتسبون لطريقته الربانية هم كبار علماء المسلمين بعد ذلك ومن مؤلفاته حالة أهل الحقيقة مع الله، الصراط المستقيم والبرهان المؤيد، وكتاب الحكم، معاني بسم الله الرحمن الرحيم، الطريق إلى الله ،التحفة الرفاعية ،كتاب قلادة الجواهر. ومن مأثوراته في نصح الناس وأمرهم بالتزام الشريعة والتحذير من أهل الشطح واللغو والبدع (هؤلاء قطاع

الطريق – يقصد طريق الله – فاحذروهم)وعن القائلين بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود وكان يمقتهم ويبين فسادهم وضلالهم (هؤلاء قوم أخذتهم البدعة من سروجهم إياكم ومجالستهم)، تبع ولا تبتدع فإن اتبعت بلغت النجاة \وكان يأمر باتباع السنة على نهج جده المصطفى قائلًا وصرت من أهل إسلامه وإن ابتدعت هلكت)، وكان محبًّا للعلماء والفقهاء ويدعو الناس لتقديرهم قائلً: أهم أركان الأمة. وأخذ الطريقة ولبس الخرقة عن موسى الواسطي القاري عن أبي بكر الشبلي عن الجنيد عن السري السقطي عن معروف الكرخي عن حبيب العجمي عن 43 الحسن البصري ومن طريق آخر خاله هو الشيخ البطائحي وصولًا للجنيد.

وكما أراد الله لأرض مصر أن تكون كنانته في أرضه وتحفظ دينه فكلما اضطهد أهل الإيمان في بلد أتوا إلى مصر حيث القلوب المؤمنة وأهل الخير الكثير الفياض ومحبي الصالحين وآل البيت والصحابة والتابعين فقد حمت مصر الإسلام في حطين وعين جالوت وخرج إليها آل البيت بعد كربلاء وكانت مقر خلافة المسلمين بعدما دمرت بغداد فلم يكن مستغربًا أن تحمل ما تبقى من أنوار الولاية فكان فيها القطب الثالث شيخ العرب السيد أحمد البدوي في قلب دلتا النيل، ولد السيد أحمد البدوي في فاس بالمغرب عام ٥٩٦ هجريًّا وأجداده من الجزيرة العربية هاجروا منها هربًا من بطش بني أمية وينتهي نسبه الشريف إلى الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، عاش في مكة وزار العراق وصولًا إلى ضريح الشيخ أبي العلمين الرفاعي قدس الله سره وأخذ الطريقة عن الشيخ بري الرفاعي عن علي بن نعيم البغدادي عن السيد الرفاعي قدس الله سره. ورباه أبوه على الفروسية فنشأ فارسًا شجاعًا حتى كان أشجع فرسان مكة وقتها وسمي بالعطاب لذلك وتعلم القرآن وحفظه في سن صغيرة. وقد حصل على التزكية العلمية والإجازة من الشيخ عبد الجليل بن عبد الرحمن النيسابوري بسبعة وسائط تنتهي إلى داود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري رضي الله عنهم. وسمي بالبدوي لكثرة وضعه اللثام وتغطية وجهه وذلك من طفولته ومن أثر الفروسية وحبه لركوب الخيل وتنقله في الصحراء فقد كان يميل إلى الانعزال والانفراد بنفسه منذ الصغر ودرس الفقه الشافعي وتلقى علومه.وأشهر مأثوراته (الله الله يا بدوي جاب اليسرى) المقصود بها الأسرى حيث كان البدوي مجاهدًا يحارب ضد الصليبين الذين يغزون أرض مصر ويأسر منهم كثيرًا ولما يحدث تبادل الأسرى ويعودون لأهلهم ولسبب آخر أنه كان مستجاب الدعوة فكان الناس يذهبون إلى مسجده ويطلبون منه الدعاء والبركة فيدعو الله عز وجل ويصلي على النبي طويلًا فيرد الله

---

[43] نفس المصدر السابق ، ص ٩٣

الأسرى ووردت أكثر من قصة عن هروب الأسرى من بلاد أوربا من بطش الصليبين. وذكر المؤرخون أوصافه فكان شديد الشبه بأهل البادية في شكله وثيابه ولذلك سموه بالبدوي وذات يوم كان نائمًا في صحن الكعبة وراودته رؤيا أنه ينتقل إلى مصر (قم يا غلام ووحد الملك العلام واذهب إلى طندتا – طنطا – فيها يكون مقامك حتى تموت) وكان قبل ذلك ينعزل عن الناس في مغارة بجبال مكة يتعبد فيها ويتضرع لله عز وجل وقد ظلت هذه عادته حتى سكن في طنطا بدلتا مصر فقد عاش فوق سطح أحد المنازل حتى لا يكون بينه وبين السماء والأفق الفسيح حائل ولعادة ورثها عن أهل العراق وهو نومهم على أسطح المنازل وكان لا يحب أن يضايق أهل البيت لشدة حيائه رحمه الله ومن هنا تفجرت فكرة البدوي التي جاء لها خصيصًا فقد أراد أن يكون له أتباع كثيرون وتنتشر طريقته الأحمدية أو البدوية ويكثر تلاميذه على فقهه الشافعي والعلوم التي ورثها عن أجداده آل البيت وقد نجح وكان له ما كان فهيأ مجال مصر الدولة القوية المؤمنة التي يحب أهلها آل البيت والمجال فيها متسع لمثل هذه الحركات الصوفية فهي لم تتشبع مثل العراق أو مكة فوجد في مصر أرضًا خصبة لبداية تأسيس الطريقة الخاصة به لانفتاح مجال الدعوة فيها وطنطا تقع بين القاهرة العاصمة والإسكندرية ورشيد من جهة ودمياط من جهة أخرى وهي الموانئ حيث حركة التجارة والرواج على الطريق بينهم في حين أن طنطا كانت بلدة صغيرة جدًّا مهملة ليس فيها أثر لدعوة أو شهرة فانفتح المجال أمامه تمامًا وتوافد عليه الناس من كل مكان ويحبون التقوى والورع والزهد والتواضع وترك زينة الدنيا وهي كلها صفات في الشيخ أحمد البدوي رحمه الله فكثر أتباعه وتلاميذه حتى الآن في جميع أنحاء العالم وكان تلاميذه يلقبون بالسطوحيين نسبة إلى سطوح المنزل الذي كان يسكن عليه ويدونون هم العلوم عنه وينقلون أذكاره وأوراده وكتبه ومؤلفاته وأشعاره وتراثه الكبير من الوصايا والمواعظ وكانت له استراتيجية في الدعوة أنه يرسل أحد تلاميذه إلى منطقة نائية أو قرية صغيرة فيمكث فيها ويعلم الناس ولا يغادرها حتى يموت فصنع مراكز دعوية متعددة في أماكن غير تقليدية وكان البدوي قدس الله سره حاد الذكاء شديد الحياء والخجل قوي الذاكرة شديد التحمل فقد كان يصوم ٤٠ يومًا متواصلًا وكان يصلي الليل كله وبالنهار يدعو الله شاخصًا ببصره إلى السماء أغلب الوقت قليل الأكل جدًّا يعيش على شرب المياه ويقوي بدنه بذكر الله فقد كان يقول عن شدة تعلقه وحبه لله عز وجل (الوجد . شدة الحب . أن يكثر ذكر الحق لا إله إلا هو فيقذف نورًا في القلب من قبل الله تعالى فيقشعر منه الجلد فيلحق بالمريد الوجد ويتعلق بالله قلبه وعندما يزيد الوجد يزيد ولهًا وعندها يبلغ المريد الدرجة العليا في التسامي الروحي) (فيفيض الله عليه من كمالاته وإنعاماته ما يقتضيه كرمه ثم يمن عليه بمقام التمكين وهو مقام البقاء بعد الفناء – يقصد فناء العبد في نور الله – فيرده إلى نفسه

ويصحو بعد محوه ليؤدي رسالته التي اقتضاها ذلك الكرم)،وهي تعليم الناس علوم الدين (كشفًا وتلقيًا أو فقهًا) فأطلقوا عليه القدسي لما نور الله سره وذاته حيث انصرف بكامل جوارحه إلى ملكوت الله والصامت لقلة كلامه والولي لأنه فضل الله عز وجل على كل ما سواه في كل حياته وأموره ولما بلغت شهرته الآفاق وكثر تلاميذه وزواره ومريدوه أرسل إليه قاضي القضاة ابن دقيق العيد رجلًا معه كتاب أحاديث وسنن فسأله أسئلة كثيرة أجابها كلها فذهب إليه بنفسه وأعجب بعلمه وصبره وتقواه وزهده ورفع أمره إلى السلطان شاكرًا شأنه رافعًا قدره .لكنه عاش دورًا مركبًا كشخصيته المعقدة فهو لم يكن قطبًا صوفيًّا فقط بل كانت له رسالة اجتماعية إصلاحية كبرى وهي ترسيخ الجهاد ضد الصليبين وقتها أيام أواخر الدولة الأيوبية وصعود دولة المماليك وتأهيل المجتمع الإسلامي للتقدم والريادة من جديد فلم يكن مجرد رجل دين صوفي عرف عنه الزهد والتقشف وكثرة المريدين والتلاميذ فقد كان زعيمًا شعبيًّا أيضًا وقائدًا للمقاومة وقائدًا سياسيًّا فقد حول التصوف من حالة الجمود التي أصابته وأعاده إلى سيرته الأولى وهي واجب الوقت والواجب العملي والجهادي ومن مأثوراته (يقول الله تعالى في كتابه المكنون "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " فعليك بكثرة الأذكار واعلم أن ركعة بالليل أفضل من ألف ركعة بالنهار، أشفق على اليتيم واكس العريان وأطعم الجيعان وأكرم الغريب والضيفان) (إياك وحب الدنيا فإنه يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل)، وله وردان يسميان بالحزب الكبير والصغير .وتروى عنه قصص وروايات عجيبة وغريبة تقترب ممن الأساطير لا يقبلها العقل من مؤيديه ومن معارضيه وهذه الروايات الباطلة التي لا توافق الشريعة ولا تتوافق مع سيرة عبد صالح ترفعه إلى مصاف الأنبياء والمرسلين وتعطيه أشياء خارقة للعادة لا يقبلها العقل فهي مدسوسة عليه فمثلًا مسجده الكبير وضريحه الذي يقام عليه المولد أنشأ بعد وفاته ب ١٠٠ أو ٢٠٠ سنة و تدوين حياته وتاريخه وسيرته كان بعد وفاته ب ٣٠٠ سنة في أيام الدولة العثمانية وكان فيه إساءات لأغراض هدم الدين من خلال تشويه رموز الإسلام ومن خلال مؤامرات الشيعة الباطنية الإسماعيلية لهدم تاريخ أهل السنة وتزويره ومما اتفق عليه أنه لم يكن كثير التأليف وإنما اهتم أكثر بتربية الرجال وإرسالهم للأقطار فهي كرامته العظمى وظل المسلمون يبجلونه ويوقرونه ويحبونه حتى وقتنا هذا ولم يشغب على إجماع المسلمين على ولايته وصلاحه إلا من عهد قريب من بعض الأصوات الوهابية والجماعات التكفيرية التي ما أنزل الله بها من سلطان وبشكل عام يعتبر البدوي عبدًا صالحًا قطبًا صوفيًّا فقيهًا شافعيًّا مجاهدًا كبيرًا شديد الحب لله معلم من الطراز الأول صاحب رسالة عظيمة شخصية مؤثرة تقيًّا ورعًا زاهدًا ناسكًا وإن كثرت عليه الشائعات سلبًا وإيجابًا .وارتبط مع البدوي قدس الله سره اسم آخر هو القطب الرابع إبراهيم الدسوقي طيب الله ثراه الذي أنار

مصر بأنوار العلم والنبوة ما زال تلاميذه منتشرين ينشرون طريقته حتى الآن وتعتبر من أكبر الطرق في العالم والشيخ إبراهيم الدسوقي شريف الحسب أبًا وأمًا فجده الأعلى لأبيه وأمه هو النبي محمد ولقب بأبي العينين وبرهان الملة والدين وصاحب السيفين وصاحب الرمحين ولد في مصر عام ٦٣٣ هجريًّا في مدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ وتربى على الفقه الشافعي وتأثر بأفكار أبي الحسن الشاذلي وأحمد الرفاعي واتصل بأحمد البدوي وبينهما مراسلات شهيرة وهو القطب الرابع من أقطاب الإسلام الأربعة .واتصل بالرفاعية عن طريق أبي الفتح الواسطي وكان من القائلين بوحدة الشهود وهو التيار المضاد للاعتقادات الكفرية الشركية الباطلة عند معتقد أهل السنة مثل وحدة الوجود كان يرى أن الكون تجليًا لصفات الله وليس لذاته كما يزعم أهل الباطل .وكان يعتقد في الحقيقة المحمدية أو الحضرة المحمدية وهي أن النبي هو محل نظر الله وعنده منتهى علم البشر وأن كل علم من علوم الدين إنما هو مستمد أو جزء من علوم النبوة وبلغ من علمه كل علوم التصوف السني الشرعي إلى جانب الفقه فتولى في عهد السلطان بيبرس منصب شيخ الإسلام .وقد بشر الله عباده الصالحين برؤى صادقة عن مولد الشيخ الدسوقي قدس الله سره فقد قال محمد بن هارون لوالد الشيخ إنه سيولد لك ابن سيكون وليًّا صيته من المشرق إلى المغرب وله قصة طريفة عندما كان رضيعًا كان هناك خلاف على أول يوم في رمضان لعدم تحقق رؤيا الهلال فامتنع عن الرضاعة منذ طلوع الفجر حتى مغرب الشمس فكانه صيام وأنشد (نعم نشأتي في الحب من قبل آدم وسري في الأكوان من قبل نشأتي \على الدرة البيضاء كان اجتماعنا وفي قاب قوسين اجتماع الأحبة \وكل ولي للإله مؤيد يشهد بأني ثابت في ولايتي \أنا القطب شيخ الوقت في كل مذهب أنا السيد البرهان شيخ الحقيقة)، وكان نبوغه العقلي والعلمي واضحًا وكبيرًا وظاهرًا من صغر سنه وبراعته في المذهب الشافعي وعلوم التصوف أيضًا وأشهر كتبه الجوهرة وكان له خلوة يختلي فيها بنفسه يدعو الله ويصلي ويتلو الأوراد والأذكار واجتهد في تفسير القرآن اجتهادًا عظيمًا وأخرج الله على لسانه من أسرار كتابه وعجائب القرآن التي لا تنقضي وكانت تفسيرات لم يأت بها من سبقوه حتى إنه قال (فككت طلاسم سورة الأنعام التي عجز عنها خالي أبو الحسن الشاذلي) كانت له صدامات مع السلطة كعادة المتصوفة فقد كتب إلى السلطان برفضه زيادة الضرائب على الناس ودعا الله فاستجاب فلم يزدها السلطان وذات مرة بشره بالنصر في عكا وهو ما حدث فكان السلطان يتبارك به ويسأله الدعاء كلما خرج للقتال .وللدسوقي رؤية خاصة في التصوف أنه ليس مجرد الزهد وترك الدنيا وإنما هو مراحل إيمانية وتأملية تدريجية وكان ينصح مريديه بالتجرد عن الشهوات وحب الدنيا والتدرج الروحي يأتي بالطاعات والذكر ومن أقواله المأثورة في نفي الحلول والاتحاد (فأوصلت ذاتي باتحادي بذاته \بغير حلول بل بتحقيق نسبتي)، وقد زاد فيه المغالون

والمنتفعون ومروجو الأساطير وغالى في سبه ولعنه وتكفيره آخرون ونسبت إليه عبارات كفرية وأبيات شعر شركية إلا أن المؤكد من نسبته للشيخ رحمه الله يدل على تقواه وصلاحه وولايته (يا أولادي ناشدتكم بالله لا تسيئوا إلى طريقي ولا تلبسوا في تحقيق ولا تدلسوا ولا تدنسوا وإن كنتم صحبتمونا لتأخذوا منا أوراق بغير عمل فلا حاجة لنا بكم) (خواص الخواص زواياهم قلوبهم ولبسوا تقواهم وخوفهم من ربهم ومولاهم فلم يطيروا في الهواء ولا لامسوا مجذومًا أو أبرص فبرئ فخرجوا من الدنيا أجورهم كاملة رضي الله عن الجميع).

من الآثار الأدبية للقطب الجيلاني باز الله الاشهب44

شَرعتُ في توحيد الإله مُبَسمِلاً سأختمُ بالذكر الحميد مُجَمّلا

وأشهدُ أن الله لا رب غيره تنزّه عن حصر العقول تكمُلا

وأرسل فينا أحمد الحق مقتدى نبيًّا به قام الوجود وقد خلا

فعلّمنا من كل خير مؤيَّدٍ وأظهر فينا العلم والحلم والوَلا

ما طالبًا عزًا وكنزًا ورفعة مِن الله فادعُه بأسمائه العُلا

وقُل بانكسار بعد طُهر وقربة فأسألك اللهم نصرًا مُعجَلا

بحقكَ يا رحمن بالرحمة التي أحاطت فكن لي يا رحيم مُجَمّلا

ويا ملك قدوس قدّس سريرتي وسلّم وجودي يا سلام من البلا

---

[44] الموسوعة العالمية للشعر العربي، عبد القادر الجيلاني

http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=lsq&shid=509&start=0

وللقطب الجيلاني رحمه الله نص رائع وراق مليء بالحكمة يُطلق عليه الغوثية :45

والغوثية، عند الصوفية، مصطلح خاص يعبّر عن إحدى صفات القطب (الغوث) الذي يغيث الله به الخلق، ويقبل شفاعته فيهم، ولذلك عَدَّ الصوفية النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم، هو الأصل لغوث المسلمين في الدنيا والآخرة. أما الكاملون من الأولياء، فهم وارثون لهذا المقام عند النبي .. ونصُّ الغوثية الذي مَرَّت علينا فقراتٌ منه، هو نوعٌ من النصوص المسماة في اصطلاح الصوفية (الخطاب الفهواني) ومعنى الفهوانية مشتقٌ هنا من قولهم:

فاه الرجل، إذا تكلم .. لكنها في حقيقة أمرها كلام إلهي يتجلى على قلب الصوفي في لحظات الكشف والفيض.

(كُلُّ طَوْرٍ بين الناسوت والملكوت فهو شريعةٌ وكُلُّ طَوْرٍ بين الملكوت والجبروت فهو طريقةٌ وكُلُّ طَوْرٍ بين الجبروت واللاهوت فهو حقيقةٌ)

المُلك هو العالم المرئي المُدرَك المحسوس، وفيه الشريعة امتثال الأمر الظاهر وهي عبادة العوام أو مرتبة الإسلام. الملكوت هو عالم الغيب المختص بالأرواح والملائكة والجن وغير ذلك وهو ملك الله خاصة وفيه الحقيقة وهي علم اللدني علم الأولياء أو الخواص وفيه الحكمة من تشريعات الإسلام وهو أرقى درجة يطلق عليها الإيمان، الجبروت هو عالم العظمة أو عالم الأسماء والصفات الإلهية وهي الحقيقة المطلقة ولا يصل إليها إلا الأنبياء وكبار الأولياء من خواص الخواص ويطلق عليها مرتبة الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ما ظهر الله في شيءٍ كظهوره في الإنسان.46

---

[45] مقال في جريدة المصري اليوم عن غوثية الجيلاني ،د يوسف زيدان

https://www.almasryalyoum.com/news/details/18177

[46] نفس المصدر السابق

الإنسان أرقى المخلوقات الإلهية ميزه بالعقل وتجلى عليه بصفاته وجعله خليفة له، واختار محمدًا ليكون سيد الكونين والثقلين وأشرف الخلق.

مَنْ قصَّر عن سفر الله في الباطن، ابتُلي بسفر الظاهر ولم يزدد منه إلا بُعدًا .. ومَنْ أراد العبارة بعد الوصول، فقد أشرك .. ومَنْ رآه استغنى عن السؤال في كل حال، ومَنْ لم يره لم ينفعه السؤال، لأنه محجوب بالمقال.

رؤية غير الله أو الانشغال به لا تؤدي إلى تحقيق كمال الإيمان، والطريق إلى ذلك التعلق بالله وحده.

المحبة حجابٌ بين المحب والمحبوب، فإذا فنى المحبُّ عن المحبة، وُصل بالمحبوب.

عليكم بالفقر، ثم فقر الفقر، ثم الفقر عن الفقر! فإذا تَمَّ فقرُهم فلا تَمَّ إلاَّ الله.

كلمة (الفقر) من معناها العام المتداول، لتكون معادلاً للطريق الصوفي كله، بناءً على أن العبادة الحقة لله هي (الافتقار إلى الله) وعلى أن الصوفي في حقيقة حاله، هو (الفقير إلى الله)..

ثم تأخذنا العبارة إلى معنى دقيق، هو أن هذا «الفقر» مراتب، هي على الترتيب: الافتقار إلى الله، الإمعان في الشعور بهذا الافتقار، افتقاد الشعور بالافتقار ذاته، ونسيان (الفقير) لحاله مع تعلقه بالمحبوب الأعلى الذي لا يتحقق الوصال معه إلا بتجاوز أي شعور بما سواه، وهنا يتم المعنى العميق للفقر، ويصل الصوفي إلى أعتاب مولاه.

إذا عرفت ظاهر العشق فعليك بالفناء عن العشق، لأن العشق حجاب بين العاشق والمعشوق، لا تلتفت بالملك وبالملكوت وبالجبروت، لأن الملك شيطان العالم، والملكوت شيطان العارف، والجبروت شيطان الواقف. فمن رضى بواحدٍ منها، فهو عند الله من المطرودين.

كمال المعراج (ما زاغ البصر وما طغى) ولا صلاة لمن لا معراج له.

أعظم المراتب التي يصل إليها العارف هي ألا ينشغل عقله وقلبه وروحه وكيانه إلا بالله وحده فكأنه لا ينظر إلى المخلوقات لأن نظره معلق بالله، استحضار حالة القرب والخشوع مع الله هي سر قبول العبادات ومذاقها ولذتها.

من أعظم ما ترك الجيلاني وصيته للمريدين والسالكين في طريق الله، ويعتبرها أتباعه بمثابة الدستور الذي يحكم سلوكهم وتصوراتهم، وهنا يعظ عبد القادر مريده قائلًا له:47

ـ أوصيك بتقوى الله، وحفظ طاعته، ولزوم ظاهر الشرع، وحفظ حدوده

ـ إن طريقتنا هذه مبنية على: سلامة الصدر، وسماحة النفس، وبشاشة الوجه، - وبذل الندى، وكف الأذى، والصفح عن عثرات الإخوان

ـ أوصيك بالفقر وهو: حفظ حرمات المشايخ، وحسن العشرة مع الإخوان، والنصيحة للأصاغر، والشفقة على الأكابر، وترك الخصومة مع الناس، وملازمة الإيثار، ومجانبة الادخار وترك الصحبة مع من ليس منهم ومن طبقتهم، والمعاونة في أمر الدين والدنيا وحقيقة الفقر ألا تفتقر إلى من هو مثلك، وحقيقة الغنى أن تستغنى عمن هو مثلك

إن التصوف ما هو مأخوذ عن القيل والقال، بل هو مأخوذ من ترك الدنيا وأهلها، وقطع المألوفات والمستحبات، ومخالفة النفس والهوى، وترك الاختيارات والإرادات والشهوات، ومقاسات الجوع والسهر، وملازمة الخلوة والعزلة

ـ وأوصيك إذا رأيت الفقير ألا تبتدئه بالعلم بل ابتدئه بالحلم والرفق فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه

48إن التصوف مبني على ثماني خصال: السخاء وهي لإبراهيم، والرضا وهي لإسحاق، والصبر وهي لأيوب، والإشارة لزكريا، والغربة ليحيى، ولبس الصوف لآدم وموسى، والسياحة لعيسى، والفقر لمحمد، عليهم جميعًا السلام.

---

47 نفس المصدر السابق

48 نفس المصدر السابق

ـ وأوصيك ألا تصحب الأغنياء إلا بالتعزز، ولا الفقراء إلا بالتذلل. وعليك بالإخلاص وهو: نسيان رؤية الخلق ودوام رؤية الخالق ولا تتهم الله عز وجل في الأمور واسكن إليه في كل حال، ولا تضيع حقوق أخيك اتكالًا لما بينك وبينه من المودة والصداقة فإن الله عز وجل فرض لكل مؤمن حقوقًا عليك فأقل الحال ها هنا الدعاء لهم وخدمة الفقراء لازمة على الطالب بالنفس والمال

ـ وألزم نفسك بثلاثة أشياء: بالتواضع لله سبحانه وتعالى وبحسن الأدب مع الخلق كلهم وبسخاء النفس

ـ وأمت نفسك حتى تحيا، وإن أقرب الخلق إلى الله أوسعهم صدرًا وأحسنهم خلقًا، وإن أفضل الأعمال مخالفة النفس والهوى ودوام التوجه إلى الله سبحانه وتعالى والإعراض عما سواه

ـ وحسبك في الدنيا شيئان، صحبة فقير عارف، وخدمة ولى كامل

ـ واعلم أن الفقير هو الذي لا يستفتي بشيء من دون الله تعالى وطريقه جد كله فلا يخالطه بشيء من الهزل

ـ جانب أهل البدع. فلا تنظر إليهم جملة وإن كنت قادرًا عليهم فامنعهم عنها وازجرهم

ـ وعليك بترك الاختيار وملازمة التسليم وتفويض الأمر إلى الله

وقد كان الجيلاني متمكنًا في الفقه، ومما يدل على تمكنه في الفقه وبراعته فيه ما حكاه عنه ابنه عبد الرزاق قال: «جاءت فتوى من العجم إلى علماء بغداد لم يتضح لأحد فيها جواب شافٍ، وصورتها: ما يقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث، أنه لا بد أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها، فما يفعل من العبادات؟ قال فأتى بها إلى والدي فكتب عليها على الفور: يأتي مكة، ويُخْلى له المطاف، ويطوف أسبوعًا وحده وتنحل يمينه، قال: فما بات المستفتي ببغداد».

امتدت الطريقة القادرية من بعد القطب الجيلاني حتى وصلت إلى عبد الكريم الجيلي سبط الشيخ عبد القادر، وُلد سنة ٧٦٧ هجريًا في جيلان بالعراق وتوفي عام ٨٢٦ في اليمن،[49] له

[49] موقع الديوان،موسوعة الشعر العربي ،عبد الكريم الجيلي

عدة مؤلفات هامة أبرزها الإنسان الكامل ويعتبر الجيلي من أهم المتصوفة الذين قدموا شروحًا هامة للمبادئ الصوفية عند ابن عربي وغيره، وله قصائد شهيرة أهمها النادرات العينية وهي من أطول القصائد الصوفية ويقول في بعض أبياتها:

فكُل الذي يقضيه فيَّ رضاكم مرامي وفوق القصد ما أنتَ صانعُ

تَحكّم بما تهواه فيَّ فإنني فقير لسلطان المحبة طائع

حَبَبتُكَ لا لي بل لأنكَ أهله ومالي في شيء سواكَ مطامعُ

تمكّن مني الحب فامتحق الحشا وأتلفني الوجد الشديد المنازعُ

وأشغلني شُغلي بها عن سوائها وأذهلني عن الهوى والهوامعُ

فقام الهوى عندي مقامي فكُنتُه وغُيبتُ عن كوني فعشقي جامعُ

وأسجد كي أفني وأفني عن الفنا وأسجد أخرى والمتيم والعُ

وأقرأ في قرآن حُسنكَ آية فذلك قرآني إذا أنا راكعُ

وقلبي مذ أبقاه حسنكَ عنده. تحياته إليكم منكم تُسارعُ

صيامي هو الإمساك عن رؤية السوى وفِطري أني نحو وجهك راكعُ

وبذلي نفسي في هواك صبابة زكاة جمال منك في القلب ساطعُ

وما أنا جبري العقيدة إنني محب فنى فيمن جبته الأضالعُ

شددنا مطايا العزم نحو محمد وطفنا وداعًا والدموع هوامع

***

أبو الحسن الشاذلي

عليّ بْن عَبْد الله بْن عَبْد الجبّار بْن تميم بْن هُرْمُز بْن حاتم بن قُصي بْن يوسف، أبُو الحَسَن الشاذلي، المغربي، الزّاهد، 50ولد ٥٧١هـ بقبيلة الأخماس الغمارية، تفقه وتصوف في تونس، نزيل الإسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية، انتسب في بعض مؤلفاته في التّصوُّف إلى عليّ بْن أبي طَالِب ، وهو رَجُل كبير القدر، كثير الكلام، عالي المقام، لَهُ شِعر ونثْر فيه مُتشابهات وعبارات، وكان الشّاذلي ضريرًا، ولخلْق فيه اعتقاد كبير، وكان مالكيًّا، وشاذلة: قرية بإفريقيّة قدِم منها، فسكن الإسكندرية مدة، وسار إلى الحجّ وحج مرات، وكانت وفاته بصحراء عيذاب بوادي حميثرة في محافظة البحر الأحمر وهو قاصد الحج، فدُفن هناك في أوائل ذي القِعْدة المتوفى: ٦٥٦ هـ، تتلمذ علي يد الشيخ عبد السلام بن مشيش رحمه الله.

من أهم الأحزاب التي تحتوي حكمًا وأدعية ومعاني روحية سامية حزبا البحر والنصر، تعطي قراءتها والمداومة عليها مع الخشوع والأدب مع الله عز وجل بركة في الوقت والعمر والرزق، وراحة في النفس وجلاءً للصدور وهي أمور مجربة مع المداومين عليها. تتضمن الأحزاب والأوراد أذكارًا وصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم..

حزب البحر 51

يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا حَلِيمُ يَا عَلِيْمُ، أَنْتَ رَبِّي وَعِلْمُكَ حَسْبِي فَنِعمَ الرَبُّ رَبّي ونِعمَ الْحَسبُ حَسْبِي، تَنصُرُ مَن تَشاءُ وَأَنْتَ العَزيزُ الرَّحيم، نَسْأَلُكَ العِصمَةَ في الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ وَالكَلِمَاتِ وَالإِرَادَات وَالْخَطَرَات مِنَ الشُّكُوكِ وَالظُّنُونِ وَالأَوْهَامِ السَّاتِرَةِ لِلْقُلُوبِ عَنْ

---

[50] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ،أبو الحسن الشاذلي

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D8%B0%D9%84%D9%8A

[51] مجموع أوراد سيدي إبراهيم الدسوقي ،محمد عبد القادر نصار ،دار الإحسان

مُطَالَعَةِ الغُيُوب، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً، فَثَبِّتْنا وَانْصُرْنَا وَسَخِّرْ لَنَا هَذَا البَحْرَ كَمَا سَخَّرتَ البَّحرَ لِموسى، وسَخَّرتَ النَّارَ لإبراهيم، وسَخَّرتَ الجِبالَ وَالْحَديدَ لدِاود، وَسَخَّرتَ الرِّيْحَ وَالجِنَّ وَالشَّياطِينَ لِسُلَيْمَانَ، وَسَخِّر لَنا كُلَّ بَحرٍ هُوَ لَكَ في الأَرْضِ وَالسَّماءِ وَالْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ وَبَحْرَ الدُّنيَا وبَحْرَ الآخِرة، وَسَخِّر لَنا كُلّ شَيْءٍ يَا مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلّ شَيْءٍ، (كهيعص ثلاثًا)، أُنْصُرْنا فَإِنَّكَ خَيْرُ النّاصِرين، وَافْتَحْ لَنا فَإِنَّكَ خَيْرُ الفَاتِحين، وَاغْفِرْ لَنا فَإِنَّكَ خَيْرُ الغَافِرين، وَارْحَمْنا فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّاحِمين، وَارْزُقْنا فَإِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقين، وَاهْدِنا وَنَجِّنا مِنَ القَومِ الظَّالِمِين، وَهَبْ لَنا رِيحاً طَيِّبَةً كمَا هِيَ في عِلْمِكَ، وَانْشُرْها عَلَيْنا مِنْ خَزائِنِ رَحْمَتِك، وَاحْمِلْنَا بِها حَمْلَ الكَرامَةِ مَعَ السَّلامةِ وَالعافِيَةِ في الدِّيْن وَالدُّنيَا وَالآخِرَة، إِنَّكَ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ يَسِّر لَنَا أُمُورَنا مَعَ الرَّاحَةِ لقُلُوبِنا وَأَبْدانِنا، وَالسَّلامةِ وَالعافِيَةِ في دينِنا ودُنيانا، وكُن لَنا صاحِباً في سَفَرِنا وخَليفةً في أهلِنا، وَاطمِسْ على وُجوهِ أعدائِنا وَامْسَخْهُمْ على مكانَتِهِم فَلا يَستَطِيعُونَ الْمُضِيَّ وَلاَ الْمَجِيءَ إِلَيْنا، وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا على أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ، وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ على مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ، يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، لِتُنْذِرَ قَوْمَاً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ، لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ على أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ، وَجَعَلْنَا من بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ، شاهَتِ الوُجُوهُ (ثلاثاً)، وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً، طس، حم عسق، مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ، (حم حم حم حم حم حم)، حُمَّ الأَمرُ وجاءَ النَّصرُ فَعَلَيْنا لا يُنصَرون، حم، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ، بسْمِ اللهِ بابُنا، تَبارَكَ حيطانُنا، يس سَقفُنا، كهيعص كِفايَتُنا، حم عسق حِمايَتُنا، فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (ثلاثاً)، سِتْرُ العَرشِ مَسْبُولٌ عَلَيْنا، وَعَيْنُ اللهِ نَاظِرَةٌ إِلَيْنا، وَبِحَوْلِ اللهِ لا يُقْدَرُ عَلَيْنا، وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ، بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ، فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (ثلاثاً)، إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (ثلاثاً)، حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (ثلاثاً)، بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلاَ في السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ (ثلاثاً)، أَعُوذُ

بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (ثلاثاً)، ولاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم (ثلاثاً)، وَصَلَّى اللَّهُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

حزب النصر 52

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهمَّ بِسَطوَةِ جَبَرُوْتِ قَهْرِكَ وَبِسُرْعَةِ إغَاثَةِ نَصْرِكَ وَبِغَيْرَتِكَ لِانْتِهَاكِ حُرُمَاتِكَ وَبِحِمَايَتِكَ لِمَنِ احْتَمَى بَآيَاتِكَ، نَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ يا قَرِيبُ يَا سميعُ يَا مُجِيبُ، يا سَرِيعُ يَا جَبَّارُ يَا مُنْتَقِمُ يا قهَّارُ، يَا شَدِيدَ البَطْش، يَا مَنْ لا يُعْجِزُه قَهْرُ الْجَبَابِرَة، وَلا يَعْظُمُ عَلَيْهِ هَلاكُ الْمُتَمَرِّدَةِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالأَكَاسِرَةِ، أَنْ تَجْعَلَ كَيْدَ مَنْ كَادَنَي فِي نَحْرِه وَمَكْرَ مَنْ مَكَرَ بِي عَائِداً عَلَيْهِ، وَحُفْرَةَ مَنْ حَفَرَ لِي وَاقِعاً فِيْهَا، وَمَنْ نَصَبَ لِي شَبَكَةَ الخِدَاعِ اجْعَلْهُ يَا سَيِّدِي مُسَاقاً إِلَيْهَا وَمُصَادَاً فِيهَا وَأَسِيراً لَدَيْها. اللَّهُمَّ بِحَقِّ كهيعص اكْفِنَا هَمَّ العِدَا وَلقِّهِمُ الرَّدَى وَاجْعَلْهُم لِكُلِّ حَبيبٍ فِدَا وَسَلِّط عَلَيْهِمْ عَاجِلَ النِّقْمَةِ فِي اليومِ وَالغَدا. اللَّهُمَّ بَدِّدْ شَمْلَهُم، اللَّهُمَّ فرّق جَمْعَهُم، اللَّهُمَّ قَلِّلْ عَدَدهُم، اللَّهُمَّ فُلَّ حَدَّهُم، اللَّهُمَّ اجْعَلِ الدَّائرةَ عَلَيْهِم، اللَّهُمَّ أوْصِل العذابَ إليهم، اللَّهُمَّ أَخْرِجْهُمْ عَنْ دائرة الحلم واسْلُبْهم مَدَد الإمْهَالِ وغُلَّ أَيْدِيهِم وَاشْدُد على قُلُوبِهِم وَلا تُبَلِّغْهُمُ الآمال، اللَّهُمَّ مَزِّقْهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ مزّقته لأعدائك اِنتصارًا لأنبيائك ورُسُلِك وَأَوْلِيَائِك. اللَّهُمَّ انتصِرْ لَنَا انتَصارَكَ لأَحبابِكَ على أَعْدَائِكَ (ثلاثاً)، اللَّهمَّ لا تُمَكِّنِ الأَعْدَاءَ فِينَا، وَلا تُسَلِّطْهُمْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا(ثلاثاً)، حم حم حم حم حم حم حُمَّ الأَمْرُ، وجَاءَ النَّصْرُ فعَلَينَا لا يُنْصَرُون، حمعسق حمايَتُنا وَوِقَايَتُنا مِمَّا نَخَافُ، اللَّهُمَّ قِنَا شَرَّ الأَسْوَاء، وَلا تَجْعَلْنَا مَحَلاً لِلبَلْوَى، اللَّهُمَّ أَعْطِنَا أَمَلَ الرَّجَاءِ، وَفَوْقَ الأَمَل، ياهُوَ يا هُوَ يا هُوَ، يَا مَنْ نَسْأَلُه بِفَضْلِهِ لِفَضْلِهِ، نَسْأَلُكَ العَجَلَ العَجَلَ العَجَلَ ، إِلَهِي الإِجَابَةَ الإِجَابَةَ الإِجَابَةَ، يَا مَنْ أَجَابَ نُوْحَاً فِي قَوْمِهِ، يَا مَنْ نَصَرَ إِبْرَاهِيمَ على أَعْدَائِهِ، يَا مَنْ رَدَّ يُوسُفَ على يَعْقُوْبَ، يَا مَنْ كَشَفَ ضُرَّ أَيُّوبَ، يَا مَنْ أَجَابَ دَعْوَةَ زَكَرِيّا، يَا مَنْ قَبِلَ تَسْبِيحَ يُونُسَ بنَ مَتَّى، نَسْأَلُكَ بِأَسْرَارِ أَصْحَابِ هَذِهِ الدَّعْوَاتِ الْمُسْتَجَابَاتِ: أَنْ تَقْبَلَ مِنَّا مَا بِهِ دَعَوْنَاكَ، وأْنْ تُعطِيَنا مَا سَأَلنَاك، أَنجِزْ لَنَا وَعْدَك الَّذِي وَعَدْتَه لِعِبَادِكَ الْمُؤْمِنِيْنَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ

[52] نفس المصدر السابق

إِنّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، انْقَطَعَتْ آمَالُنا وَعِزَّتِكَ إلاَّ مِنْكَ، وَخابَ رَجَاؤُنَا وَحقِّكَ إلاَّ فيكَ. إِنْ أَبْطَأَتْ غَارَةُ الأَرْحَامِ وَابْتَعَدَتْ فَأَقْرَبُ الشَّيْءِ مِنَّا غَارَةُ اللهِ، يَا غَارَةَ اللهِ جِدِّي السَّيْرَ مُسْرِعةً فِي حَلِّ عُقْدَتنَا، يَا غَارَةَ اللهِ حُلِّي عَقْدَ مَا رَبَطُوا وَشَتِّتِي شَمْلَ أَقْوَامٍ بِنَا اخْتَلَطُوا، اللَّهُ أَكْبَرُ سَيْفُ اللهِ قَاطِعُهُم، وَكُلَّمَا عَلَوْا فِي أَمْرِهِمْ هَبَطُوا، يَا غَارَةَ اللهِ عَدَتِ العَادُونَ وَجَارُوا وَرَجَوْنَا اللهَ مُجِيراً وَكَفَى بِاللهِ وَلِيّاً وَكَفَىَ بِاللهِ نَصِيراً، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، سَلامٌ على نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ، اسْتَجِبْ لنا آمين آمين آمين، فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعلى آَلِهِ وَصَحْبِه وَسَلَّمَ تَسْلِيمَاً كَثِيراً إِلَى يَوْمِ الدِّيْن، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ

من أشهر تلاميذه وأبرز رجال الطريقة الشاذلية، أبو العباس المرسي رحمه الله

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي، 53ولد في مدينة مرسية في الأندلس ١٢١٩م

ومنها أخذ لقبه، وكان جده الأعلى هو الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة. وتوفي ١٢٨١

تعلم أبو العباس المرسي رحمه الله في بداية أمره الفقه والسيرة والفلسفة والتفسير.

والتقى بشيخه الشاذلي في تونس والتقى به في تونس سنة ٦٤٠ وقال له: «يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا، وأنا أنت».

قال الإمام المرسي: "لما نزلت بتونس وكنت أتيت من مرسية بالأندلس وأنا إذ ذاك شاب سمعت بالشيخ أبا الحسن الشاذلي فقال لي رجل نمضي إليه فقلت حتى أستخير الله، فنمت تلك الليلة فرأيت كأني أصعد إلى رأس جبل فلما علوت فوقه رأيت هناك رجلًا عليه بُرنس أخضر وهو جالس عن يمينه رجل وعن يساره رجل فنظرت إليه فقال عثرت على خليفة الزمان قال فانتبهت فلما كان بعد صلاة الصبح جاءني الرجل الذي دعاني إلى زيارة الشيخ فسرت معه فلما دخلنا عليه رأيته بالصفة التي رأيته بها فوق جبل زغوان، فدهشت فقال الشيخ أبو الحسن

---

[53] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، أبو العباس المرسي

الشاذلي : عثرت على خليفة الزمان، ما اسمك ؟ فذكرت له اسمي ونسبي فقال لي رفعت إليْ منذ عشر سنين " .. ومن يومها وهو يلازم الشيخ أبا الحسن الشاذلي ورحل معه إلى مصر

ورأى الشاذلي في أبي العباس المرسي فطرة طاهرة، ونفسًا خيرة واستعدادًا طيبًا، للإقبال على الله ، فمنحه ورده وغمره بعنايته، وأخذ في تربيته تربية تؤهله ليكون خليفته من بعده ، وقال له : يا أَبَا العبَّاسِ ؛ واللهِ ما صَحَبْتُكَ إلاَّ لِتَكُون ِ أَنْتَ أَنَا، وأَنَا أَنْتَ يا أَبَا العَبَّاس ِ؛ فِيكَ مَا فِي الأَوْلِيَاء وَلَيْسَ فِي الأَوْلِيَاءِ مَا فِيك

54ومن مأثورات أبي الحسن الشاذلي التي اشتهرت بين الصوفية، عبر مئات السنين ، قوله : أَبُو العبَّاسِ مُنْذُ نَفذَ إِلى اللهِ لَمْ يُحْجَبْ ،وَلَوْ طَلَبَ الحِجَابَ لَمْ يجِدْهُ وأَبُو العبَّاس ِ بِطُرُقِ السَّمَاءِ، أَعْلَمُ مِنْهُ بِطُرُقِ الأَرْضِ

١ـ ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر، وهو مزج القلب بالله

٢ـ ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر

٣ـ فمن وقت الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه إذ هداه الله لها، ودفعه للقيام بها

٤ـ ومن كان وقته المعصية فسبيله الاستغفار

أعظم الذكر: ينصح الإمام أبو العباس رضي الله عنه بالذكر باسم الله و قال لأصحابه ليكن ذكرك الله فإن هذا الاسم سلطان الأسماء و له بساط وثمرة ، فبساطه العلم وثمرته النور ، ثم النور ليس مقصودًا لنفسه ، و إنما ليقع به الكشف والعيان ، وجميع أسماء الله للتخلق إلا اسمه الله فإنه للتعلق ، فمثال ذلك أنك إذا ناديته يا حليم، خاطبك من اسمه الحليم، أنا الحليم فكن عبدًا حليمًا، و إذا ناديته باسمه الكريم خاطبك من اسمه الكريم ، أنا الكريم فكن عبدًا كريمًا، وكذلك سائر أسمائه ، إلا اسمه الله فإنه للتعلق فحسب ، إذ مضمونه الألوهية و الألوهية لا يتخلق بها أصلًا.

---

[54] نفس المصدر السابق

أقام أبو العباس في الإسكندرية ثلاث وأربعين سنة ينشر العلم، ويهذب النفوس، ويُضَربُ المَثَلُ بورَعه وتقواه. تولَّى أبو العباس مشيخة الطريقة الشاذلية بعد وفاة أبي الحسن الشاذلي سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م وكان عمره آنذاك أربعين سنة وظلَّ يحمل لواء العلم والتصوف حتى وفاته. تربى على يديه عدد كبير من العلماء، أبرزهم ابن عطاء الله السكندري.

من أقواله

الأنبياء إلى أممهم عطية و نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هدية وفرق بين العطية و الهدية لأن العطية للمحتاجين و الهدية للمحبوبين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنا رحمة مهداه. بمصر. وحول المسجد، تقوم مساجد تلاميذه: البوصيري، ياقوت العرش، الموازيني، الواسطي أقام الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه بالإسكندرية ٤٣ عامًا ينشر العلم ويهذب النفوس ويربي المريدين ويضرب المثل بورعه وتقواه وقد تلقى العلم على يدي أبو العباس وصاحبه الكثير من علماء عصره كالإمام البوصيري وابن عطاء الله السكندري وياقوت العرش وابن اللبان والعز بن عبد السلام وابن أبي شامة

ابن مشيش

ولد سيدي "عبد السلام بن مشيش" الذي ينتهي نسبه إلى مولانا الحسن بن علي رضي الله عنه[55]، بمنطقة بني عروس سنة ٥٥٩ هجرية بالقرب من مدينة طنجة، وانتقل بعدها للعيش بجبل العلم قرب العرائش إلى أن وافته المنية هناك عام ٦٢٦ هجرية حيث مزاره، وكان معروفًا بذله وإقباله على الله تعالى، وبتواضعه بين الخلق، كما يكتسي مكانة كبيرة في تاريخ المغرب، وهو شيخ وأستاذ العالم الكبير الزاهد أبو الحسن الشاذلي رحمه الله شيخ ومؤسس الطريقة الشاذلية المنتشرة في كل أنحاء العالم.

يقال ابن مشيش أو ابن بشيش.

الصلاة المشدشية:

56(اللهمَّ صلِّ على مَنْ منهُ انشقَّت الأسرار، وانفلقَتِ الأنوارُ، وفيهِ ارتقَتِ الحقائقُ، وتنزَّلتْ عُلومُ آدمَ فأعجزَ الخلائقَ، ولهُ تضاءَلتِ الفُهومُ فَلمْ يُدْرِكْهُ منّا سابقٌ ولا لاحِقٌ، فرياضُ الملكوتِ بزهرِ جماله مونِقةٌ، وحياضُ الجبروتِ بِفيضٍ أنوارِهِ مُتدفّقةٌ، ولا شيءَ إلا وهوَ به منوطٌ، إذ لولا الواسِطةُ لذهَبَ كما قيلَ الموسوطُ، صلاةً تليقُ بكَ مِنكَ إليهِ كما هو أهلهُ، اللهمَّ إنّه سرُّكَ الجامعُ الدَّالُّ عليكَ، وحِجابُكَ الأعظمُ القائمُ لكَ بينَ يديكَ، اللهمَّ ألحقْني بنسبِهِ، وحقِّقْني بحسَبِهِ وعرِّفني إيَّاهُ مَعرفةً أسْلمُ بها مِن موارِدِ الجهلِ، وأكرعُ بها مِنْ مَوارِدِ الفَضل. واحملني على سَبيلِهِ إلى حَضْرتِكَ حَمْلاً محفوفاً بِنُصْرَتِكَ، واقذفْ بي على الباطل فأدمغَهُ، وزُجَّ بي في بحار الأَحَدِيَّة، وانشُلني من أَوْحالِ التَّوحيدِ، وأغرقني في عين بحْرِ الوَحدةِ، حتى لا أرى ولا أسمَعَ ولا أَجِدَ ولا أُحِسَّ إلا بها، واجعلْ الحِجابَ الأعظمَ حياةَ رُوحي، ورُوحَهُ سِرَّ حقيقتي، وحقيقَتَهُ

---

[55] ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ،عبد السلام بن مشيش

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85_%D8%A8%D9%86_%D9%85%D8%B4%D9%8A%D8%B4

[56] مجموع أوراد سيدي إبراهيم الدسوقي، محمد عبد القادر نصار

جامعَ عَوالمي، بتحقيقِ الحقِّ الأوّلِ، يا أَوّلُ يا أَخِرُ يا ظاهِرُ يا باطنُ، اسمع ندائي بما سمعْتَ به نداءَ عبدِكَ زكريا، وانصُرني بكَ لكَ، وأيّدني بكَ لكَ، واجمعْ بيني وبينَك وحُلْ بيني وبينَ غَيرِك، الله، الله، الله ((إنَّ الذي فرضَ عليْكَ القُرآنَ لرادُّكَ إلى معادٍ))، ((ربَّنا آتِنَا مِنْ لدُنْكَ رحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً))

شرح صلاة ابن مشيش 57

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم: أي يا الله، واسم الجلالة هذا علم على الذات الأقدس الواجب الوجود، المستحق لكل كمال وجمال، الدال عليه تعالى دلالةً جامعةً لمعاني أسمائه الحسنى كلها ما علم منها وما لم يعلم.

صلِّ: أي ارحم رحمةً مقرونةً بالتعظيم والثناء والمغفرة والبركة والتشريف والتكريم .

وتعظيمه في الدنيا يكون: بإعلاء ذكره، وإظهار دينه، وإبقاء شريعته .

وفي الآخرة يكون: بجزيل مثوبته، وتشفعه في أمته، وإبداء فضله بالمقام المحمود وغيره.

على من منه انشقت الأسرار: أي على من انفتح واتضح وظهر بنوره صلى الله عليه وسلم ما كان خفيًّا من العلوم والمعارف المستفادة منه عليه الصلاة والسلام، ومنها اطلع العارفون على أسرار الذات والصفات والأفعا

وانفلقت الأنوار: أي انفتح بأصل خلقه باب الأنوار الحسية والمعنوية من الإيمان واليقين والمعرفة.

[57] المنتدى العالمي للسادة الأشراف الشاذلية المشيشية ،شروح الصلاة المشيشية

http://shadilia-mashishia.yoo7.com/t380-topic

وفيه ارتقت الحقائق: أي بظهوره عليه الصلاة والسلام ظهرت وارتفعت حقائق الأشياء وعرف الحق من الباطل.

وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق: أي جميع العلوم التي نزلت على آدم عليه السلام، نزلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزاد عليه علم حقائق المسميات وغيرها، فأعجز جميع المخلوقات من الأولين والآخرين ملائكةً وغيرهم.

وله تضاءلت الفهوم أي تصاغرت وكلت وعجزت ووقفت عقول وأفهام الخلائق جميعًا عن التطاول لنيل معارفه وأسراره وما منحه الله سبحانه وتعالى له صلى الله عليه وسلم من العلوم، فلم يدركوا كمالها، وكذلك تصاغرت أفهام الخلائق عن إدراك حقيقته عليه الصلاة والسلام.

أي جميع البشر السابقين له في الوجود كآدم عليه السلام والآتين بعده كالصحابة رضوان الله تعالى عليهم ومن بعدهم إلى قيام الساعة لم ولن ندرك حقيقة مقامه أو مكانته أو علومه، ولا يُدرَكُ ذلك إلا في الآخرة لكشف الحجاب عن الخلائق آنذاك.

فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة: أي أن نور جمال المصطفى صلى الله عليه وسلم زَيّن ونضّر وزركش عالم الملكوت وهو: (ما غاب عنا من المحسوسات كالجنة والعرش والكرسي).

وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة: أي أن إمداد بحر علمه الممتلئ صلى الله عليه وسلم من عالم الأسرار والعلوم والمعارف لا ينقطع عن قلوب العارفين والعلماء الربانيين والفقهاء النجباء المخلصين.

ولا شيء إلا وهو به منوط: أي لا يوجد شيء من الأشياء من إنسٍ وجن وملك وجماد ومحسوس ومعقول وعالم سفلي وعالم علوي إلا وهو مرتبط بالنبي صلى الله عليه وسلم ومتعلق به من جملة الوجود والإمداد.

إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط: أي أنه صلى الله عليه وسلم هو سبب النعمتين اللتين ما خلا كل موجود عنهما، ولا بد لكل مُكوَّن منهما: ١_ نعمة الإيجاد ٢- ونعمة الإمداد.

إذ لولا أسبقية وجوده ما وجد موجود، ولولا سريان نوره في الكون (الشريعة والقرآن) لهدمت دعائمه.

فقد روى البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه ؟ قال : لأنك يا رب لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيَّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليَّ، وإذ سألتني بحقه قد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك) قال في مجمع الزوائد رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم، ورواه الحاكم وصححه والطبراني وزاد فيه (وهو آخر الأنبياء من ذريتك).

وذكر العلامة القسطلاني في المواهب اللدنية (١/ ٧٠.٦٩) أنه لما خلق الله تعالى آدم ألهمه أن قال: يا رب لمَ كنيتني أبا محمد ؟ قال الله تعالى : يا آدم ارفع رأسك ، فرفع رأسه فرأى نور محمد صلى الله عليه وسلم في سرادق العرش . فقال يا رب ما هذا النور؟ قال: هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماءً ولا أرضًا.
وعند ابن عساكر من حديث سلمان كما ذكر العلامة القسطلاني في المواهب اللدنية (٨٣/١) قال: هبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن ربك يقول: إن كنتُ اتخذت إبراهيم خليلًا فقد اتخذتك حبيبًا، وما خلقت خلقًا أكرم عليَّ منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا.

صلاةً تليق بك منك إليه كما هو أهله: أي يا الله صل بجنابك وإحسانك على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صلاةً كاملةً مخصوصةً موصولةً منك إليه بدون واسطة تناسب عظيم قدره ومقداره لديك إذ لا يعرف حق قدره ومقداره إلا أنت.

فقد أخرج الطبراني وأبو نُعيم وابن النجار والخطيب بالسند عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قال جزى الله عنا محمدًا ما هو أهله أتعب سبعين كاتبًا ألف صباح) وفي رواية (ألفي صباح) .اللهم إنه سرك الجامع أي يا الله إن هذا الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام معدن سرك الجامع لما تفرق في غيره، إذ ما أُعطيه غيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلاماته عليهم من الكمالات والمعارف والعلوم والبركات والمعجزات مجموع فيه صلى الله عليه وسلم و زاد عليهم بالمنح الإلهية والعطايا الربانية ما لا يعلمه إلا صاحب المن والعطاء اللطيف الخبير.

الدال عليك: لكونه صلى الله عليه وسلم هاديًا للخلائق جميعًا، ومرشدًا لهم، ومعرفًا لهم الطريق الموصلة إلى الله تعالى بأقواله وأفعاله، وكل دال على الله تعالى إنما يدل عليه بدلالته صلى الله عليه وسلم، فنبوته صلى الله عليه وسلم جمعت سائر النبوات، ونوره صلى الله عليه وسلم جمع سائر الأنوار، وكتابه صلى الله عليه وسلم جامع لجميع الكتب المنزلة.

وحجابك الأعظم : أي المانع الأعظم للعقول حيث عقلها بعقال شرعه عن النظر في حقيقة الذات الإلهية، لما رواه أبو الشيخ عن أبي ذر رضي الله عنه قوله عليه الصلاة والسلام (تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فتهلكوا) وهو المانع الأعظم للمؤمنين من العذاب بإرشادهم ودعائهم إلى الإيمان، وهو حجاب رحمة بين العبد وهيبة ربه، وبواسطته تلقَّى المؤمنون شرع ربهم، وهو مانع المضار الدنيوية والأخروية عن أمته (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ، وبما أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حجب لأممهم فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعظمهم، فلا يمكن لأحد الوصول إلى الله تعالى إلا عن طريق شرعه واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم .

القائم لك بين يديك: أي القائم أتم القيام بتكاليف الرسالة وتوفية حقوقها لأجلك يا الله تعظيمًا وإجلالًا، قيام الخادم بين يدي المخدوم إذ شرعه الشريف صلى الله عليه وسلم زاجر عن انتهاك حرماتك، ومانع عظيم عن إساءة الأدب معك سبحانك، فهو داعي الخلق إليك بك من غير واسطة بينك وبينه، قائم بحضرة القرب المعنوي منهمك في طاعتك.

اللهم ألحقني بنسبه: أي أدم عليَّ يا الله نعمة الثبات على دينه صلى الله عليه وسلم علمًا وعملًا قولًا وحالًا، واختم لي بالحسنى على ذلك حتى أكون من رفقائه صلى الله عليه وسلم في دار نعيم الوصال.

وحققني بحسبه: أي وفقني يا الله للتخلق بأخلاقه صلى الله عليه وسلم، واجعلني من المهتدين بهديه، المقتفين للتقوى بكتابه وسنته في أقواله وأفعاله وأحواله، إذ متابعته صلى الله عليه وسلم موجبة للرحمة في الدنيا وموجبة للفلاح في الآخرة، وموجبة للرفع إلى أعلى الجنان، وموجبة للمحبة من الله تعالى.

وعرفني إياه معرفةً أسلم بها من موارد الجهل، وأكرع بها من موارد الفضل: أي يا الله عرفني على مصطفيك معرفةً تامةً حتى لا أقع بالجهل المفسد للأديان، لأنه صلى الله عليه وسلم المرآة الكبرى والواسطة العظمى ، فمعرفته موصلة إلى معرفة الله تعالى، وعلى حسب معرفته صلى

الله عليه وسلم تكون معرفة الله تعالى، إذ هو باب الله الأعظم، ومعرفته تثمر مقام المحبوبية عند الله تعالى، فإن محبة الله تعالى لعبده على حسب محبة العبد للنبي صلى الله عليه وسلم ومتابعته، ومحبة العبد له على قدر معرفته واطلاعه على جماله ونواله وشرعه ، فإن العلم فيه كالماء الزلال النافع لحياة القلوب والأرواح والأجساد والأشباح.

واحملني على سبيله إلى حضرتك حملًا محفوفًا بنصرتك: أي يا الله اسلك بي طريقته، واجعلني عاملًا بشريعته وسنته لأنها سبيل الوصول إلى الحضرة العلية، محفوظًا من كل عائق حتى أصل إليك بعنايتك

(وهذا مقام السائرين إلى الله تعالى المستدلين بالصنعة على الصانع)

واقذف بي على الباطل فأدمغه: أي اجعل الحق يا الله معي، ليخمد ويذهب الباطل، واجعلني حجةً بالغةً ظاهرةً ليتم لي الاهتداء ويصح بيَ الاقتداء حتى ينزاح بيَ الباطل ويظهر بيَ الحق.

وزجَّ بي في بحار الأحدية: أي يا الله ارم بي في أنوار لا إله إلا الله، وأدخلني في طائفة المتحققين بالتوحيد الخالص، حتى تفنى عندي الرسوم ولا يبقى إلا الحي القيوم، وهذا مقام أهل الفناء المحض الذين غرقوا في توحيد الأحدية فلم يشهدوا سوى ذات الله تعالى العلية (ويسمى هذا المقام عين الجمع المعبر عنه بتجريد التوحيد)

وانشلني من أوحال التوحيد: أي خلصني يا الله سريعًا من مخاوف ومزالق الاعتقادات الرديئة الباطلة ومن متشابهات الأحكام التي زلت فيها أقدام الكثيرين إلا من رحم الله تعالى ومما يعرض للسالكين المستدلين بالأشياء على الله تعالى من الشبهات، فلا تسلك بي مسلك من شطح في كلامه واصطلم، أو ممن لُبِّسَ عليه الأمر فقال بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، أو ممن غلبت عليه الحقيقة فادعى الجبر ونفى الحكمة والأحكام، لأن صاحب الفناء إن لم تدركه العناية الإلهية أنكر ثبوت الآثار ومنها الرسل وما جاءوا به بل والعالم برمته، وتخليصه من تلك الأوحال نقله من مقام الفناء إلى مقام البقاء.

وأغرقني في عين بحر الوحدة: أي ردَّني إلى البقاء بعد الفناء لأصلح للخلافة في الأرض وأكمل غيري ، وهو المعبر عنه بجمع الجمع، إذ يكون الجمع في باطنه موجودًا والفرق على ظاهره مشهودًا، ولذلك كان مقصوده الزج في بحار الأحدية الدفع لا على سبيل الإغراق بل على سبيل الركوب والمرور ليعلم ما فيها من الذخائر، وهو مقام الفناء ثم الاستغراق في عين بحر الوحدة (وهي مدد البحر) حتى يكون ممدًا لمن خاض لججه، ولا يكون ذلك إلا في مقام البقاء، إذ

التوحيد الخالص الكامل هو شهود الذات متّصفةً بالصفات ، فيستدل على الصنعة بالصانع لكونه لا يشهد إلا الله تعالى وصفاته، والصنعة آثار صفاته وهذا مقام العارفين.

حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها: هذا غاية الاستغراق المذكور وهو الغيبة عن الأكوان بشهود المكوِّن، أي لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس أي أثر من آثار خلق الله تعالى إلا بعد شهوده، فلا يوجد شيء إلا وهو قائم به سبحانه، وبقاؤه مستمد بتقدير بقاء الله تعالى له.

ولما كان كمال العبودية وكمال التوحيد والمعرفة لا يتم لصاحبه إلا بالاستقاء من يد المصطفى صلى الله عليه وسلم قال:

واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي: أي يا الله مد روحي من النبي صلى الله عليه وسلم كما تمد العود الأخضر بالماء، لأنه صلى الله عليه وسلم حياتها، فالأرواح التي لا تشاهده ولا تستقي منه كأنها أموات، وهذه إشارة إلى أن العارف بالله تعالى لا غنى له عن واسطة النبي عليه الصلاة والسلام وإن وصل إلى حضرة القدس، وفني عن وجوده وفنائه وعن كل شيء في هيبة شهوده، واجعله يا الله حاجبًا لروحي عما فيه هلاكها فتكون حيةً متمتعةً في معرفتك يا الله بسببه، فإنَّ من لم يحتجب بالنبي صلى الله عليه وسلم وقع في المهالك وابتدع وضل وماتت روحه.

وروحه سر حقيقتي: أي يا الله اجعل شهود روحه عليه الصلاة والسلام تنقل سر حقيقتي بأن تصير حقيقتي سرًّا بواسطة ذلك الشهود، لأن حقيقة الإنسان هي اللطيفة الربانية التي كان بها الإنسان إنسانًا، فتسمى نفسًا في مقام الإسلام، وقلبًا في مقام الإيمان، وروحًا في أول مرتَبَتَي الإحسان وهي المراقبة في أولاها، والسر في ثانيها وهي المشاهدة.

وحقيقته جامع عوالمي بتحقيق الحق الأول: أي أسألك يا الله بوجودك الحق السابق على كل شيء أن تجعل حقيقتي متوجهةً إلى شهود حقيقته صلى الله عليه وسلم مع عدم الغفلة عن شهود الربوبية والاستغراق فيها، حتى لا أقع كمن غلط في شهود الواسطة فجعلها مقصدًا، إذ لولا تعريف الله تعالى عباده به ما عرفوه (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) وأسألك يا الله أن تكون عوالمي كلها (النفس والقلب والروح والسر) منصرفةً ومتوجهةً إلى شهود النبي عليه الصلاة والسلام الصادقة بعوالمه الشريفة، واجعل كل أجزائي مشغولةً به ظاهرًا وباطنًا، تابعةً له في كل ما أمر به ونهى عنه، وأعني يا الله على شهوده الآن في عالم الأجساد بعد أن شهد قلبي التوحيد في عالم الأرواح يوم (ألست بربكم) إذ هو أول من أجاب بقوله (بلى) ودعا إليه فاستجب لي ما دعوتك به يا الله.

ثم استغاث في سؤال شهوده صلى الله عليه وسلم بهذه الأسماء الحسنى لما فيها من الدلالة على الإحاطة والقيومية والتنزيه، وأدخلَ حرف النداء في أولها تأدبًا بإظهار نفسه

يا أول: وهو السابق على كل شيء لقدمه، كان الله تعالى ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان سبحانه.

يا آخر: وهو الباقي الذي يستحيل عدمه كل شيء هالك إلا وجهه

يا ظاهر: وهو الواضح الربوبية بالدلائل، والذي ليس فوقه شيء وظهر بصنعه وأفعاله سبحانه.

يا باطن: وهو الذي ليس دونه شيء، والذي تحجب عنا بجلاله، المحتجب عن الأفهام الذي لا يحيط به تكييف، فلا يحيط به عقل فيدركه، جل المهيمن عن الإدراك إذ تاهت عقول ذوي الألباب فيه، وكلَّت وضلَّت بحار العقل والفكر في ذاته سبحانه، وإذا كان الإنسان لا يحيط بصفات ذاته فكيف بباريه تعالى؟ فلا يعرف ذات الله تعالى إلا هو سبحانه وتعالى.

ولهذه الأسماء الأربعة خواص عظيمة إذ قالوا: من قال بعد صلاة ركعتين خمسًا وأربعين مرةً (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) حصل له مطلوبه أيَّاً كان.

اسمع ندائي: أي يا الله اسمع دعائي ومناجاتي سماع قبول وإجابة بطلبي الوارث لسري حتى ينتفع به المؤمنون ويكونوا في ميزانه، والمرء في ميزانه من اتبعه.

بما سمعت به نداء عبدك زكريا: أي أقسم عليك يا الله بالاسم الذي سمعت به نداء عبدك زكريا عليه السلام وهو (المجيب الرحيم) بطلبه أمرًا عظيمًا وهو يحيى عليه السلام ليرثه في النبوة والعلوم والمعارف (رب لا تذرني فردًا وأنت خير الوارثين) (فهب لي من لدنك وليًّا يرثني) (يا زكريا إنَّا نبشرك بغلام اسمه يحيى)، فأعطاه الله تعالى القطب الكبير سيدي أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه فورثه في الطريق والعلوم والمعارف وكان على يديه الفتح والانتشار.

وانصرني بك لك: أي باسمك المعين النصير قوني بحولك وقوتك لا بالأسباب والوسائط من أجل أن أقوم بأداء ما كلفتني به من الأمور الدينية والوظائف الشرعية مخلصًا لوجهك الكريم لا لأغراض نفسي حتى أكون عبدًا على الحقيقة لك فهو منك وإليك.

وأيدني بك لك: أي باسمك القوي المتين قوني من أجل أن أقوم بقهر أعدائك وردهم إلى القيام بحقك، وأعطني سرًّا من عندك لأزداد قوة إيمان ويقينًا وصبرًا على البلاء بحيث تصير البلايا عطايا، فأصبر شاكرًا على السراء حامدًا على الضراء وكل ذلك لمرضاتك.

واجمع بيني وبينك: أي يا الله أزل حجاب الغفلة عن قلبي وكل شاغل يشغلني عنك، ولا تحجبني عن نور مشاهدتك طرفة عين وهذه تحلية.

وحل بيني وبين غيرك: أي أدم يا الله الحيلولة بيني وبين كل قاطع يقطعني أو يحجبني أو يبعدني عنك، وصن قلبي من الأغيار واحرسه بدوام الأنوار وهذه تخلية.

الله ، الله ، الله : أتى بالاسم الجامع الأعظم مجردًا عن حرف النداء لئلا يُشعر بالبعد استغراقًا في الله تعالى وفناءً فيه، وجعل ذكره ثلاثًا تبركًا واستلذاذًا ، وإشارةً إلى الخروج عن العوالم الثلاثة: عالم الأفعال، وعالم الصفات ، وعالم الذوات ، فإن مراتب الفناء ثلاثة.

١ـ فناء في الأفعال: بدوام رؤية أن لا معز ولا مذل ولا مانع ولا معطي إلا الله تعالى

٢ـ وفناء في الصفات: بدوام رؤية أن لا عالِم ولا قادر ولا مريد ولا حي إلا الله تعالى

3 ـ وفناء في الذات: بدوام رؤية أن لا موجود إلا الله تعالى

فأتى بهذا الاسم العظيم إيقاظًا للأرواح، وتنبيهًا لها على التعلق به والتخلي عما سواه، وتكراره تثبيت معناه في الباطن وتأكيده في القلوب، وقد قيل: الحكمة في ذلك التكرار أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يلقن أصحابه الذكر ثلاثًا، وأن الله وتر، وأن منبره صلى الله عليه وسلم ثلاثُ درجات كلما صعد على واحدة قال: الله، . فاقتدى به ،. وأن النفوس ثلاثة: أمارة ولوامة ومطمئنة.

فإذا قال الاسم الجليل أولًا خرج من الأمارة، وخرج ثانيًا من اللوامة، ووصل ثالثًا إلى المطمئنة.

{إن الذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد}: الحكمة من ذكره هذه الآية الكريمة والتي قيلت للنبي عليه الصلاة والسلام في تأكيد مراده عليه الصلاة والسلام مما يريد ويتمنى ومما أراده الله تعالى له من المقامات والعطيات ومما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فالحكمة هي

مناجاته تعالى بقوله: صدقت يا الله وعد حبيبك فاصدق وعدي بكل ما سبق ذكره، وأنلني ما طلبته.

وأراد الشيخ رحمه الله تعالى تنبيه المريد إلى أنه سبحانه هو المعاد الذي ترجع إليه الأمور دنيا وأخرى، فكن أيها المريد مستغرقًا فيه سبحانه وتعالى، ولهًا به، لتأمن جميع المخاوف وتنهال عليك من جنابه سبحانه جميل اللطائف، فهو الموجود الخالق المعبود، والكل يرجع إليه خلقًا وافتقارًا.

{ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدًا}: الحكمة من إيثار هذا الدعاء القرآني لأصحاب الكهف على غيره ليناسب ما تقدم، فإن من أوى إلى كهف الفردانية ، ولجأ إلى معاد حرم الصمدانية، يصير متناسيًا كل القواطع والأغيار، فيسأل من فضل ربه العلي الكبير الذي شاهده ما يريد، ويستمد منه المساعدة والتيسير، وفي هذا تنبيه للذاكر والمصلي على الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم على أن المقصود الأعظم من ذكره تعالى هو القيام بحق العبودية، والوقوف تحت أكناف الربوبية، وأن يكون دائمًا متوجهًا بوجه قلبه لحضرة ربه مستمدًّا منه جميع مطالبه، سائلًا من نواله سبحانه ما ينفعه في جميع شؤونه وأحواله ليحصل له الأنس به سبحانه، وبحصول الأنس به تعالى يُقبل على خطابه والتوجه إليه، ويطلب زيادة الهداية والثبات عليها، ونبذ جميع الأغيار، ويطرح كل ما سوى الواحد القهار، طالبًا أن تهبَّ عليه نفحات الرحمة من ربه، وأن يكون أمره كله رشدًا وخيرًا وأن يكون له حظ من حال أهل الكهف في الخفاء عن الأضداد والأغيار لكون ذلك اعتناءً من الحق بهم وإعزازًا لهم.

..

ابن عطاء الله السكندري

أمر الله عز وجل نساء النبي أمهات المؤمنين بالاهتمام بالحكمة والاعتناء بها بقوله (واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) وذلك لأن بيت النبوة هو القدوة لكل بيوت المسلمين، وجعل السنة النبوية من الحكمة حيث كان زوجات النبي وأصحابه يشاهدون ويعاصرون حياته صلى الله عليه وسلم ويرون الأحاديث والسنة من بعده ولعظمة الحكمة وفضلها قال الله تعالى (ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا).

في تراثنا الإسلامي العظيم من اهتم بذلك وألف الكتب التي تحتوي وصايا عظيمة أهمها الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى، وقد اعتني بشرح تلك الحِكم الكثير من العلماء والفقهاء حتى الآن وقد تُرجمت إلى عديد لغات العالم وانبهروا بها و بالتراث الإسلامي المشرف، وتُعتبر هذه الحكم إرشادات روحية للمريدين والسالكين.

58ابن عطاء الله السكندري هو تاج الدين، ومنبع أسرار الواصلين، أبو الفضل، سيدي "أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله، الجذامي نسبًا، المالكي مذهبًا، الإسكندري دارًا، القرافي مزارًا، الصوفي حقيقة، الشاذلي طريقة، أعجوبة زمانه، ونخبة عصره وأوانه، الجامع لأنواع العلوم من تفسير، وحديث، وفقه، وتصوف، ونحو، وأصول، وغير ذلك". ولد عام ٦٥٨ هجريًّا في الإسكندرية وتوفي في القاهرة عام ٧٠٩ هجرية، كان ابن عطاء الله السكندري فقيهًا عالمًا ينكر على الصوفية، ثم جذبته العناية إلى أتباع طريقتهم الرضية، فصحب شيخ الشيوخ أبا العبّاس المرسي، وانتفع به، وفُتِحَ له على يديه بعد أن كان من المنكرين عليه، وسيرته معه...". وقد "أكبّ ابن عطاء الله على طلب العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وأصول على الشيخ ناصر الدين بن المنير (ت٦٨٣هـ -١٢٨٤م)، كما تلقى علم الكلام والفلسفة على الشيخ شمس الدين الأصفهاني (ت٦٨٣هـ-١٢٨٤م)، كذلك برع في علوم اللغة من نحو وبيان، ولما شبّ سار على النهج المعارض للتصوف، فأنكر على أبي العباس المرسي تصوفه، وكان يناقش الصوفية ويعارضهم، حتى هداه إلى الطريق وقد أثر في شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله.

---

[58] ظل الإله وهراوة الرب، كريم الجمال

59 وذكر ابن حجر في كتابه أيضًا، أن الذهبي قال عنه: "كانت له جلالة عجيبة، ووقع في النفوس، ومشاركة في الفضائل، وكان يتكلم بالجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروح النفوس، ومزج كلام القوم بآثار السلف وفنون العلم، فكثُر أتباعه، وكانت عليه سيما الخير، ويقال: "إن ثلاثة قصدوا مجلسه، فقال أحدهم: "لو سَلِمتُ من العائلة لتجرّدت". وقال الآخر: "أنا أصلي وأصوم ولا أجد من الصلاح ذرّة". وقال الثالث: "أنا صلاتي ما تُرضيني فكيف تُرضي ربي"، فلما حضروا مجلسه، قال في أثناء كلامه: ومن الناس من يقول... فأعاد كلامهم بعينه". وذكره الشعراني في طبقاته، فقال: "الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه، الزاهد المذكر، الكبير القدر، تلميذ الشيخ ياقوت رضي الله عنه، وقبله تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي، كان ينفع الناس بإشاراته، ولكلامه حلاوة في النفوس، وجلالة".

من كتبه الشهيرة عن شيخيه المرسي والشاذلي "لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبو الحسن" ، وممن أفرد حكم ابن عطاء الله، نجد: «الشيخ زروق، سماه: "الحكم العطائية للقطب الجامع للشريعة والحقيقة، وشرحها أيضًا محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي الرندي الشاذلي، سماه: "غيث المواهب العلية"، ومنها أيضًا شرح أبي الطيب إبراهيم بن محمود الأقصراني المواهبي الشاذلي الحنفي، سماه: "أحكام الحكم في شرح الحكم"، وشرح الشيخ محمد عبد الرؤوف المناوي، سماه: "الدرر الجوهرية"، وشرحها أيضًا صفي الدين أبو المواهب، ومحمد بن إبراهيم المعروف بابن الحنبلي الحلبي...».

وحديثًا شرحها شهيد المحراب الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله من سورية.

عدد الحكم ٢٦٤ حكمة منها: 60

سوابق الهمم لا تخرق أسوار القدر.

أرح نفسك من التدبير، فما قام به غيرك عنك، لا تقم به لنفسك.

يقصد كمال التوكل على الله والدعاء له وليس التعلق بما عند الناس لأنه زائل والله هو مسبب الأسباب.

---

[59] ويكيبيديا الموسوعة الحرة ،ابن عطاء الله السكندري

[60] الحكم العطائية ،ابن عطاء الله السكندري ،دار الكرمة

ما نفع القلب شيء مثل عُزلة، يدخل بها ميدان فكرة.

الكون كله ظلمة، إنما أناره ظهور الحق _نور الله _فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه، أو عنده، أو قبله، أو بعده فقد أعوز وجود الأنوار، وحُجبت عنه شموس المعارف بسُحب الآثار.

يقصد انشغل بالمخلوقات عن الخالق، فلم يفهم الغرض من الخلق وهو معرفة الله وعبادته.

كيف يُتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي أظهر كل شيء، وهو الذي ظهر بكل شيء، وهو الذي ظهر في كل شيء، وهو الذي ظهر لكل شيء، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء، وهو الواحد الذي ليس معه شيء، وهو أقرب إليك من كل شيء، ولولاه ما كان وجود كل شيء، فكيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبت الحادث مع مَن له وصف القِدم.

يقصد وحدة الوجود لأن الله هو الأول والآخر وهو معنى قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقي وجه ربك)

من علامات النجاح في النهايات، الرجوع إلى الله في البدايات.

من أشرقت بدايته، أشرقت نهايته.

ما استُودع في غيب السرائر، ظهر في شهادة الظواهر.

كان الله ولم يكن شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان.

إنما أورد عليك الوارد، لتكون به عليه واردًا.

وارد الأولى هي وارد القلب يعني خواطر الخير والحسنات، وارد الثانية إقبال العبد على الله، لأن الحسنات والعبادة هي من فضل الله يلهم بها عباده كقوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه)، (تاب عليهم ليتوبوا).

دَلّ بوجود آثاره على وجود أسمائه، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه، وبثبوت أوصافه على وجود ذاته.

..

الجنيد

ومن أهل العراق الذين اشتهروا في الآفاق وكان من العلماء الموسوعيين وكان كلامه مقبولًا عند جميع الطوائف وشهد له أهل الإسلام بالعلم والفضل والصلاح أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القوارير النهاوندي البغدادي رحمه الله، 61ولد عام ٢٢١ هجريًّا وتوفي عام ٢٩٧ هجريًّا ،وأثنى عليه خاله السري السقطي والمحاسبي وأبو بكر الشبلي وابن تيمية واعتبره المؤرخون كافة من كبار العلماء الذين جمعوا الفقه والتصوف فقد عرف عنه الزهد والعبادة والعلم ومن كتبه رسائل الجنيد ومن أقواله (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول) وحدد متطلبات العارف والسالك وشيخ الطريقة (من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة).وسمي بسيد الطائفة وطاووس العلماء، وجمع بين التصوف والفقه والحقيقة والشريعة، وحاول دائمًا أن يؤصل بشكل شرعي بالأدلة من الكتاب والسنة للتصوف والحالات الصوفية وأقوالهم ولذلك يعتبر علم الجنيد أحد الركائز الأساسية التي يرتكز عليها الإسلام حتى الآن لكونه في بغداد عاصمة الخلافة ولكونه ممن ينتهي إليهم سند أغلب الطرق، قال عنه أبو عبد الرحمن السلمي (هو من أئمة القوم وسادتهم؛ مقبول على جميع الألسنة).

حاول الجنيد رحمه الله تقويم أحوال وسلوكيات ومقالات كثير من الصوفية على عهده مثل الحلاج والشبلي وأبو يزيد البسطامي، والذين أثاروا جدلًا واسعًا وصدامًا مع المجتمع على مختلف المستويات من السلطة السياسية والدينية متمثلة في الفقهاء والقضاة وحتى عوام الناس.

---

[61] ظل الإله وهراوة الرب،كريم الجمال

من أقواله :62

قال الإمام الجنيد للشبلي: "لا تُفش سرّ الله تعالى بين المحجوبين. وكان رضي الله عنه يقول: لا ينبغي للفقير قراءة كتب التوحيد الخاص، إلا بين المُصدِّقين لأهل الطريق، أو المُسلِّمين لهم، وإلا يخاف حصول المقْت لمن كذّبهم".

• ويقول الجنيد في موضع آخر مؤاخذًا له على إشاعته علوم القوم بين عامة الناس: "نحن حبّرنا هذا العلم تحْبيرًا، ثم خبّأناه في السّراديب، فجئتَ أنتَ فأظهرته على رؤوس الملأ...".

• وقال الجنيد عن الشبلي: "الشبلي سكران، ولو أفاق لجاء منه إمام ينتفع به".

• وكان رحمه الله ينشد:

سأكتمُ من عِلمي به ما يصونه وأبذلُ منه ما أَرى الحقَّ يُبــذَل

وأُعطي عبادَ اللهِ منه حُقوقَهم وأمنعُ منه ما أرى المنعَ أفضـل

أَلاَ إنَّ للرحمن سرًّا يسـره إلى أهله في السرِّ والسترُ أجمل.

• قال الجنيد: أنا تكلمت بهذا العلم في السراديب والبيوت خفية، ولما جاء الشبلي تكلم بهذا العلم على المنابر وأظهره بين الخلائق".

• قيل للجنيد: أبو يزيد البسطامي يقول: سبحاني أنا ربي الأعلى. فقال: الرجل استهلك فنطق ما هلك به، لذهوله في الحق عن رؤيته إياه، فلم يشهد في الحق إلا الحق".

---

[62] ويكيبيديا العربية الحرة ، الجنيد البغدادي

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D9%8A%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF%D9%8A

• وقال الجنيد: "لو أن أبا يزيد – رحمه الله- علم عظم إشارته خرج من البداية والتوسط، ولم أسمع له نطقًا يدل على المعنى الذي ينبئ عن الغاية، وذلك ذكره للجسم، والجناح، والهواء، والميدان".

• قال الجنيد: "رأيت حكايات أبي يزيد رحمه الله على ما نعته ينبئ عنه: أنه قد غرق فيما وجد منها وذهب عن حقيقة الحق، إذا لم يرد عليها، وهي معان غرّقته على تارات من الغرق، كل واحد منها غير صاحبتها...، أما ما وصف من بدايات حاله فهو قوي محكم، قد بلغ منه الغاية، وقد وصف أشياء من علم التوحيد صحيحة، إلا أنها بدايات، فيما يطلب منها المرادون لذلك".

• روى الهجويري في كشف المحجوب: "قرأت في الحكايات: أن الحسين بن منصور الحلاج في حال غلبته ترك صحبة عمرو بن عثمان المكي، وأتى إلى الجنيد، فسأله: ما الذي أتى بك إلي؟ فقال الحسين: طمعًا في صحبة الشيخ، فقال له الجنيد: أنا لا أجتمع بالمجانين، والصحبة تتطلب كمال العقل، فإذا لم يتوفر ذلك تصرفت معي كما تصرفت مع سهل بن عبد الله التستري وعمرا، فقال له الحسين: يا شيخ، الصحو والسكر صفتان للعبد، وما دام العبد محجوبًا عن ربه تفنى صفاته، فقال له الجنيد: يا ابن منصور، أخطأت في الصحو والسكر، لأن الصحو بلا خلاف عبارة عن صحة حال العبد في الحق، وذلك لا يدخل تحت صفة العبد واكتساب الخلق، وأنا أرى يا ابن منصور في كلامك فضولًا كثيرًا، وعبارات لا طائل تحتها".

العقل عند سيّد الطائفة

ميّز الحق سبحانه وتعالى الإنسان بالعقل والقدرة على الإدراك والتفكير، فبدونه لا يستقيم له شيء، وبدونه لا فرق بينه وبين غيره من المخلوقات، فالعقل هو سبب استخلاف الله تعالى للإنسان في الأرض، وهو الذي يميز به بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين الخطأ والصواب، وهو أيضًا مناط التكليف، فالكثير من العبادات لا تقبل إلا من عاقل مُدرك لأفعاله، وعلى نفس النهج كان الصوفية، فهم لم ينكروا العقل ولم يغيبوه، بل جعلوا له مكانة خاصة في...

الفرق بين الصدق والإخلاص عند الإمام الجنيد

سأله أحدهم عن الفرق بين الصدق والإخلاص، فكان جوابه: "... فمعنى الصدق القيام على النفس بالحراسة والرعاية لها، بعد الوفاء منك بما عليك، مما دلّك العلم عليه، في إقامة حدود الأحوال في الظاهر، مع حسن القصد إلى الله عز وجل في أول الفعل؛ فالصدق موجود في حقيقة صفات الإرادة، عند بداية الإرادة بالقيام بما دُعيت إليه في حقيقة إرادتك، مما طرق الحق لك إليه، والمبادرة فيه بالخروج عن موافقة النفس لطلب الراحة، مع انتصاب العلم لك، وموافقتك له، بخروجك من التأويل.

الطريق إلى الله

63سئل الجنيد رحمه الله: كيف الطريق إلى الله؟ فقال: "توبة تحل الإصرار، وخوف يزيل الغرة، ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات، ومراقبة الله في خواطر القلوب".

قال الجنيد رضي الله عنه: "طريق الحبيب إما بالعلم أو بالسلوك، والسلوك بلا علم وإن يكن حسنًا، فهو جهل ونقص، وإذا كان العلم مع السلوك فهو عز وشرف".

وقال أيضًا: "بني الطريق على أربع: لا تتكلم إلا عن وجود، ولا تأكل إلا عن فاقة، ولا تنم إلا عن غلبة، ولا تسكت إلا عن خشية".

هذا السياق، يقول الباحث المغربي حسن جلاب: "تتجمع أسانيد الطرق الصوفية المغربية عند الجنيد لتتفرع بعد ذلك، إذ لا نكاد نجد طريقة لا تتصل بها إلا نادرًا، وحتى في هذه الحالة غالبًا ما تتوفر هذه الطريقة على سند ثان يوصلها إلى الجنيد، وتفسر هذه الظاهرة بحرص الطرق الصوفية المغربية على أن تكون سائرة على نهج السنة المحمدية لشهرة الجنيد بذلك".

[63] نفس المصدر السابق

يورد الباحثان المغربيان ربيعة سحنون وطارق العلمي في كتابهما "منهج الإمام الجنيد في السلوك وخصائص الممارسة الصوفية بالمغرب"، أن الجنيد كان يرى أن مخاطبة الناس يجب أن تكون على قدر عقولهم، وأن الجواب يكون على قدر السائل لا على قدر المسائل. فكان منهج الجنيد في تعامله مع "الحقائق" إبعادها على من ليست له أهلية تقبلها؛ بل الإنكار على من يفشي ذلك، كما فعل حين أشاع الإمام الشبلي هذه العلوم بين العامة، فقال له: "نحن حبرنا هذا العلم تحبيرًا ووضعناه في السراديب، فجئت أنت فأظهرته على رءوس الملأ"

..

رابعة العدوية

لم تكن الولاية حكرًا على الرجال فقط بل ظهر في التاريخ الإسلامي عابدات وزاهدات وعالمات وفقيهات يعتبرن امتدادًا طبيعيًّا للصحابيات، وأشهرهن شهيدة العشق الإلهي السيدة أم الخير رابعة العدوية، وهي رابعة بنت إسماعيل العدوي، ولدت في مدينة البصرة، ويرجح مولدها حوالي عام ١٠٠هـ، وتوفيت عام ١٨٠ هجريًّا من أب عابد فقير، وهي ابنته الرابعة وهذا يفسر سبب تسميتها "رابعة".

«روي عن أبيها : أنه رأى في المنام النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: {لا تحزن؛ فهذه 64 الوليدة سيدة جليلة}، ثم جاء من بعدها الرزق الوافر، ثم ما لبث أن توفي والدها وهي طفلة دون العاشرة ولم تلبث الأم أن لحقت به، لتجد رابعة وأخواتها أنفسهن بلا عائل يُعينهن على الفقر والجوع والهزال، فذاقت رابعة مرارة اليتم الكامل دون أن يترك والداها من أسباب العيش لهن سوى قارب ينقل الناس بدراهم معدودة في أحد أنهار البصرة". فاختطفها بعض اللصوص وباعوها كجارية بثمن بخس لأحد التجار غلاظ القلوب وقد كان يسيء معاملتها ويكلفها ما لا تطيق. تضاربت حولها الروايات عن حياتها قبل الزهد والنسك فذهب أغلبهم أن حياتها في شبابها كانت منصرفة للهو والمجون والترف وكانت شديدة الجمال، ولكنها استعادت حياة الفضل والشرف وسلكت طريق الله عز وجل بعد لقائها بعديد من الشيوخ الصوفية ومنهم ثوبان أو ذو النون المصري مرشدها الروحي ،وإن أنكر ذلك بعض المؤرخين، في صغرها حفظت القرآن وتلقت العلم الشرعي قبل وفاة والدها وكان لقبه العابد وكانت تكثر من الصلاة والدعاء حتى وهي جارية عند أحد التجار غلاظ القلوب. يعتبرها كثيرون مؤسسة مبدأ أو نظرية العشق الإلهي وهي حب الله عز وجل حبًّا محضًا خالصًا لا طمعًا في جنة ولا خوفًا من نار وذلك لاستحقاقه للعبادة فهو الخالق العظيم الذي أوجدنا من العدم وتفضل علينا بنعمه. وينقل بعض المؤرخين أنها كانت رضي الله عنها كثيرة التأمل والانعزال عن الناس في الصحراء على أطراف المدن حيث كان أغلب الصوفيين يرعون الغنم أو يقومون بالاحتطاب فقط لتحصيل

---

[64] ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، رابعة العدوية

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B9%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D9%88%D9%8A%D8%A9

أقوات يومهم حتى لا يسألوا الناس ليتفرغوا للعبادة. وذكرت الروايات أن من أسباب تحولها إلى حياة التصوف والزهد أنها كانت تعزف الناي وتشارك في مجالس السماع الصوفي.

ومن أهم أشعارها رضي الله عنها الراقية التي تفيض بحب الله عز وجل :65

عرفت الهوى مذ عرفت هواكا

وأغلقت قلبي عمّن سواكا

وقمت أناجيك يامن ترى خفايا القلوبِ ولسنا نراكا

أحبك حبين.. حب الهوى وحبًّا لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وأشتاق شوقين ..شوق النوى

وشوقًا لقرب الخطى من حماكا

فأما الذي هو شوق النوى

فمسرى الدموع لطول نواكا

وأما اشتياقي لقرب الحمى

فنار حياةٍ خبت في ضياكا

ولست على الشجو أشكو الهوى

رضيتُ بما شئتَ لي في هداكا

---

[65] نفس المصدر السابق

ومن قصائدها أيضًا:

إني جعلتك في الفؤاد محدثي

وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس

وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

راحتي يا إخوتي في خلوتي

وحبيبي دائمًا في حضرتي

لم أجد عن هواه عوضًا

وهواه في البرايا محنتي

حيثما كنت أشاهد حسنه

فهو محرابي إليه قبلتي

يا حبيب القلب يا كل المنى

جد بوصل منك يشفي مهجتي

قد هجرت الخلق جمعًا أرتجي

منك وصلًا فهو أقصى منيتي

..

الجزولي

من أشهر العلماء والفقهاء الذين ألفوا كتبًا للأذكار والأوراد الشريفة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن سليمان الجزولي[66] رحمه الله الشريف النسيب ولد عام ١٤٠٤ميلاديًا وتوفي عام ١٤٦٥، وقضى طفولته في بلدته جزولة من إقليم سوس قريبًا من فاس في المغرب، و مثل عديد من أطفال سوس الذين عاشوا أوائل القرن التاسع الهجري على عهد بني مرين، فقد نال حظًّا وافرًا من التعليم في جزولة، أهله بعد ذلك للرحيل إلى فاس حيث التحق بمدرسة "الصفارين". تربى على يد العالم الكبير الشيخ أحمد زروق رحمه الله أعلم أهل زمانه بالفقه المالكي، وتنبأ له بمستقبل باهر حيث وجد الذكاء الشديد والفطنة وسرعة الحفظ مما يؤهله لحالة حضور قلبي مع الله عز وجل. وكان الجزولي في صغره يكثر الصلاة على المختار سيدنا محمد خير البرية، ويدعو الله وكان أغلب أوقات اليوم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم. واقترنت حالة الزهد

والنسك والاعتزال بحالة الوجد والشوق الشديد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته. ومن يخلص في محبة الله ومحبة رسول الله يعطيه الله عز وجل من فضله العظيم فينعم الله على الشيخ رحمه الله ويهديه أن يكتب كتابه الشريف ((دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار..)) الذي يعد من أشهر الكتب في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. لينتشر علم واسم الجزولي في الأرض حتى قيام الساعة.

لم يكن " دلائل الخيرات " كتابًا عاديًّا، بل كان كتابًا عظيمًا صالحًا لكل الأزمنة، ولكل الناس ومن جميع الفئات، وربما هو الكتاب العربي الوحيد - بعد القرآن الكريم – الذي لا نعرف عدد طبعاته و لا عدد القراء الذين أنشدوا سطوره ، سواء كانوا أطفالًا أو نساءً ورجالًا ، و يمكن

---

[66] ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، محمد بن سليمان الجزولي

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D9%88%D9%84%D9%8A

القول إن ملايين المسلمين في المشارق و المغارب و عبر العصور و الأجيال كانوا بشكل أو بآخر حريصين على قراءته ، أفرادًا و جماعات ، في المساجد أو البيوت ، و متفانين في الصلاة على النبي (ص) و مدح سنته و رسالته. وكان حتى وقت قريب في أوائل القرن العشرين يتم عقد مجالس لقرائته في الحرمين الشريفين حتى زوال الدولة العثمانية فتم منعه لخلاف سياسي ومذهبي بين الدولة العثمانية والسلطة الجديدة في السعودية، وبالرغم من ذلك بقي دلائل الخيرات ضمن الأوراد الملازمة للمريدين في أكثر الطرق الصوفية.

دعاء بدء دلائل الخيرات[67]

الحمد لله رب العالمين، وحسبي الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، الله إني أبرء إليك من حولي وقوتي إلى حولك وقوتك، اللهمَّ إني نويتُ بالصلاةِ على النبيّ صلى الله عليه وسلم امتثالًا لأمرِكَ وتصديقًا لنبيكَ سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم ومحبةً فيهِ وشوقًا إليهِ وتعظيمًا لقدرهِ ولكونهِ أهلًا لذلِكَ فتقبلها مني بفضلِكَ وإحسانِكَ، وأزِلْ حجابَ الغفلةِ عن قلبي واجعلني من عبادِكَ الصالِحينَ، اللهمَّ زِدْهُ شرفًا على شرفهِ الذي أوليتَهُ، وعزًّا على عزهِ الذي أعطيتَهُ ، ونوراً على نورهِ الذي منهُ خلقتهُ ، وأعلِ مقامَهُ في مقاماتِ المرسَلينَ ودرجتَهُ في درجاتِ النبيينَ ، وأسألُكَ رِضاكَ ورِضاهُ يا ربَّ العالمينَ ، معَ العافيةِ الدائمةِ ، والموتِ على الكتابِ والسنةِ والجماعةِ ، وكلمَتَي الشهادةِ على تحقيقِها منْ غيرِ تغيير ولا تبديل ، واغفرْ لي ما ارتكبتُهُ بمنك وفضلِكَ وجودِكَ وكرمِكَ يا أكرم الأكرمين ، وصلى اللهُ على سيدنا محمدٍ و آلهِ وصحبهِ وسلم.

الحزبُ الأولُ

ورد يوم الاثنين =جزء منه

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ وصلى اللهُ على سيدنا ومولانا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ وسلمَ، اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمدٍ وأزواجهِ وذريتهِ كما صليتَ على سيدنا إبراهيمَ ، وباركْ على سيدنا محمدٍ وأزواجهِ وذريتهِ كما باركتَ على آل سيدنا إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ ، اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آلهِ كما صليتَ على سيدنا إبراهيمَ ، وباركْ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِ

[67] دلائل الخيرات و شوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار، محمد بن سليمان الجزولي

سيدنا محمدٍ كما باركتَ على آلِ سيدنا إبراهيمَ في العالمينَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ ، اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمدٍ وآلِ سيدنا محمدٍ كما صليتَ على سيدنا إبراهيمَ ، وباركْ على سيدنا محمدٍ وآلِ سيدنا محمدٍ كما باركتَ على سيدنا إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ ، اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمدٍ النبيِّ الأميِّ وعلى آلِ سيدنا محمدٍ ، اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمدٍ عبدِكَ ورسولِكَ ، اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِ سيدنا محمدٍ كما صليتَ على سيدنا إبراهيمَ وعلى آلِ سيدنا إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ ، اللهمَّ باركْ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِ سيدنا محمدٍ كما باركتَ على سيدنا إبراهيمَ وعلى آلِ سيدنا إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ ، اللهمَّ وترحمْ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِ سيدنا محمدٍ كما ترحمتَ على سيدنا إبراهيمَ وعلى آلِ سيدنا إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ اللهمَّ وتحننْ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِ سيدنا محمدٍ كما تحننتَ على سيدنا إبراهيمَ وعلى آلِ سيدنا إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ، اللهمَّ وسلمْ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِ سيدنا محمدٍ كما سلمتَ على سيدنا إبراهيمَ وعلى آلِ سيدنا إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ ، اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِ سيدنا محمدٍ ، وارحمْ سيدنا محمدًا وآلَ سيدنا محمدٍ ، وباركْ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِ سيدنا محمدٍ ، كما صليتَ ورحمتَ وباركتَ على سيدنا إبراهيمَ وعلى آلِ سيدنا إبراهيمَ في العالمينَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ ، اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمدٍ النبيِّ وأزواجهِ أمهاتِ المؤمنينَ ، وذريتهِ وأهلِ بيتهِ ، كما صليتَ على سيدنا إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ ، اللهمَّ باركْ على سيدنا محمدٍ وعلى آلِ سيدنا محمدٍ كما باركتَ على سيدنا إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ

..

ذو النون المصري

ثوبان بن إبراهيم الملقب بذي النون المصري، ويكني أبا الفيض، ولد في أخميم عام ١٧٩ هجريًّا وتوفي عام ٢٤٥ .كان والده نوبيًّا. 68وكان ذو النون فقيهًا ومحدثًا وروى عن مالك والليث بن سعد، كما عرف علوم أخرى مثل الكيمياء والطب فقد تتلمذ على يد جابر بن حيان، وله أشعار وحكم ومواعظ جليلة ودراسات مهمة في التاريخ والآثار. وهو أول من عرف التوحيد بالمنظور الصوفي، ويعد ثوبان أول متصوف في مصر وهو أول من استخدم الرموز والاصطلاحات بسبب تأثره برموز الهيروغليفية ويعتبر مؤسس مصطلحات الأحوال والمقامات وغيرها من اصطلاحات التصوف وأكثر في حديثه عن المعرفة الإلهية ومذهبه قائم على سنة الرسول وطهارة النفس والطاعة وصولًا للإلهام والكشف. ومن كتبه المهمة (حل الرموز وبرء الأرقام في كشف أصول اللغات والأقلام)، وكان ظهوره أحدث ضجة وزلزالًا في المفاهيم القديمة التي لم يدركها أهل زمانه فاشتكوه إلى الخليفة المتوكل وذهب إليه فوعظه ثوبان فبكى الخليفة وكرمه وأعاده إلى مصر.

ومن حكمه :69

(من تذلل بالمسكنة والفقر إلى الله رفعه الله بعز الانقطاع إليه) (من علامات محبة الله متابعة حبيب الله – النبي – في كل أفعاله وأمره وسننه).

سئل ذو النون عن التوبة فقال: «توبة العوام تكون من الذنوب، وتوبة الخواصِّ تكون من الغفلة.»

«إن لله عبادًا تركوا المعصية استحياءً منه بعد أن كانوا تركوها خشية منه؛ أفما وقد أنذرك!.»

---

68 ظل الإله وهراوة الرب،كريم الجمال

69 ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ذو النون المصري

«ألا إن حب الله عز وأمل .. وحب غير الله خزي وخجل.»

قال علي بن حاتم : سمعت ذا النون ، يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق .

وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون، يقول: مهما تصور في وهمك، فالله بخلاف ذلك، وسمعته يقول: الاستغفار جامع لمعان: أولهما: الندم على ما مضى . الثاني : العزم على الترك . الثالث : أداء ما ضيعت من فرض لله . الرابع : رد المظالم في الأموال والأعراض والمصالحة عليها الخامس : إذابة كل لحم ودم نبت على الحرام . السادس : إذاقة ألم الطاعة كما وجدت حلاوة المعصية.

وعن عمرو بن السرح: قلت لذي النون: كيف خلصت من المتوكل، وقد أمر بقتلك؟ قال: لما أوصلني الغلام، قلت في نفسي: يا من ليس في البحار قطرات، ولا في ديلج الرياح ديلجات، ولا في الأرض خبيئات، ولا في القلوب خطرات، إلا وهي عليك دليلات، ولك شاهدات، وبربوبيتك معترفات، وفي قدرتك متحيرات، فبالقدرة التي تجير بها من في الأرضين والسماوات إلا صليت على محمد وعلى آل محمد، وأخذت قلبه عني، فقام المتوكل يخطو حتى اعتنقني، ثم قال: أتعبناك يا أبا الفيض.

وقال يوسف بن الحسين: حضرت مع ذي النون مجلس المتوكل، وكان مولعًا به، يفضله على الزهاد، فقال: صف لي أولياء الله. قال: يا أمير المؤمنين، هم قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته، وجللهم بالبهاء من إرادة كرامته، ووضع على مفارقهم تيجان مسرته. فذكر كلامًا طويلًا.

العارف لا يلتزم حالة واحدة ، بل يلتزم أمر ربه في الحالات كلها.

سئل ذو النون من أدوم الناس عناءً؟ قال: أسوأهم خلقًا. قيل: وما علامة سوء الخلق؟ قال: كثرة الخلاف.

وكان رحمه الله يقول: ما طابت الدنيا إلا بذكر الله، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنان إلا برؤيته.

وقال: لم أرَ شيئًا أبعث للإخلاص من الوحدة؛ لأنه إذا خلا لم ير غير الله تعالى؛ فمن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص واستمسك بركن من أركان الصدق.

قيل له: ما الأنس بالله؟ قال: العلم والقرآن.

وكان يقول: صدور الأحرار قبور الأسرار.

قال ذا النون: قلت لرجلٍ من العباد أوصني. فقال: عليك بمعاقبة نفسك إذا دعتك إلى بلية، ومنابذتها إذا دعتك إلى الفترة؛ فإن لها مكرًا وخداعًا، فإذا فعلت هذا الفعل؛ أغناك عن المخلوقين، وسلاك عن مجالسة الفاسقين.

قال ذا النون لرجلٍ عند توديعه: لا تكن خصمًا لنفسك على ربك مستزيده في رزقك وجاهك، ولكن خصمًا لربك على نفسك، ولا تلقين أحدًا بعين الازدراء والتصغير وإن كان مشركًا؛ خوفًا من عاقبتك وعاقبته؛ فلعلك تسلب المعرفة ويرزقها.

عن يوسف بن الحسين قال: بلغني أن ذا النون يعلم اسم الله الأعظم فخرجت من مكة قاصدًا إليه حتى وافيته 70في جيزة مصر، فأول ما بصر بي ورآني وأنا طويل اللحية وفي يدي ركوة طويلة، متزر بمئزر على كتفي، فاستشنع منظري فلما سلمت عليه كأنه ازدراني، ولم أر منه تلك البشاشة، فقلت في نفسي: ما تدري مع من وقعت؟ فقال: فجلست ولم أبرح من عنده فلما كان بعد يومين أو ثلاثة جاءه رجل من المتكلمين فناظره في شيء من الكلام فاستظهر على ذي النون، فاغتنمت ذلك وبركت بين يديهما واستلبت المتكلم إلى وناظرته حتى قطعته. ثم ناظرته بشيء لم يفهم كلامي قال: فتعجب ذو النون – وكان شيخًا وأنا شابًّا – قال فقام من مكانه وجلس بين يدي وقال: اعذرني فإني لم أعرف محلك من العلم، وأنت آثر الناس عندي. قال فما زال بعد ذلك يجلني ويكرمني ويرفعني عن جميع أصحابه حتى بقيت على ذلك سنة فقلت له بعد ذلك: يا أستاذ أنا رجل غريب وقد اشتقت إلى أهلي وقد خدمتك سنة وقد وجب حقي عليك؛ وقيل لي إنك تعرف اسم الله الأعظم وقد جربتني وعرفت أني أهل لذلك، فإن كنت تعرفه فعلمني إياه. قال: فسكت ذو النون عني ولم يجبني بشيء وأوهمني أنه لعله يقول لي ويعلمني ثم سكت عني ستة أشهر فلما كان بعد ستة أشهر من يوم مسألتي إياه قال لي: يا أبا يعقوب أليس تعرف فلانًا صديقنا بالفسطاط الذي يجيئنا؟ - وسمى رجلًا – فقلت: بلى! قال:

---

[70] نفس المصدر السابق

فأخرج إلي من بيته طبقًا فوقه مكبة مشدود بمنديل فقال لي: أوصل هذا إلى من سميت لك بالفسطاط. قال فأخذت الطبق فإذا طبق خفيف يدل على أن ليس في جوفه شيء، فلما بلغت الجسر الذي بين الفسطاط والجيزة قلت في نفسي: ذو النون يوجه إلى رجل بهدية وهذا أرى طبقًا خفيفًا لأبصرن أي شيء فيه. قال: فحللت المنديل ورفعت المكبة فإذا فأرة قد قفزت من الطبق فمرت. قال: فاغتظت وقلت إنما سخر بي ذو النون ولم يذهب وهمي إلى ما أراد في الوقت. قال: فجئت إليه وأنا مغضب فلما رآني تبسم وعرف القصة، وقال: يا مجنون ائتمنتك في فأرة فخنتني.. أأتمنك على اسم الله الأعظم؟!! قم عني فارتحل ولا أراك بعد هذا.

..

الشريف الرضي

من أبرز الفقهاء والشعراء عبر التاريخ الإسلامي الشريف الرضي 71أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى، ولد عام ٩٦٩م في بغداد وتوفّي فيها سنة ١٠١٥، عرف أيضًا باسم السيد الرضي كان له دور بارز في الحياة الفكرية والحركة الثقافية العربية والإسلامية، كونه سيدًا علويًّا شريفًا من آل البيت وحمل همهم وقدم الكثير من المؤلفات والكتب والقصائد لحفظ تراثهم ، تعلّم على يد الكثير من وجهاء وفضلاء عصره حيث كانت أسرته تهتم بالعلم، وعرف عنه الاتجاه الإمامي الشيعي، ومن أشهر من تلقى عنهم من فقهاء الشيعة الشيخ المفيد، كتبَ الشعر وهو في سنٍّ مبكّرةٍ، فأبدع ونوّع في كتابة الشعر بكلِّ أغراضه القديمة المعروفة، كانَ جيّد الشعر بالمجمل، فقد امتازت كلُّ قصائده بحسن الصياغة وجودة السبك بالرغم من كثرة أشعارهِ، فقد قلّ ما يُشهد لشاعرٍ مُكثر بالجودة، وكان هذا للشريف، جمع الشريف الرضي مختارات ممّا قال الإمام علي – رضي الله عنه- من خطب وحكم ومواعظ وأشعار وغير ذلك، جمعها في كتاب أسماه "نهج البلاغة"، وهو كتاب من أعظم الكتب التي تركها الشريف للأدب الإسلامي ، وقد حَوى الكتاب عددًا ليس بالقليل من الخطب والوصايا والآداب والأحكام الشرعية والأدبية والمواعظ، فقد ضم حوالي مئتين وثمانية وثلاثين خطبة، وتسعًا وسبعين رسالة، وأربعمئة وتسعًا وثمانين قولًا، ويرجع هذا الاهتمام بهذا الكتاب إلى كونهِ يحتوي موضوعات مهمة كثيرة كالمعارف التي تتعلق بفكرة التوحيد، والنصائح والمواعظ الحياتية، فقد اهتم الشاعر بوضع أبلغ ما روي عن الإمام علي في هذا الكتاب والإمام علي هو أبلغ بلغاء العرب لذلك حقق الكتاب شهرة واسعة وانتشارًا كبيرًا. وشغل موقع نقيب السادة الطالبيين.

وكانت لشقيقه السيد الشريف المرتضى 72الموسوي الملقب بعلم الهدى نفس السمعة الطيبة والشهرة الواسعة بين علماء المسلمين في عصره وحتي الآن لفضله وعلمه، وقال عنه ابن الأثير أنه أعلم أهل زمانه في عصره من رواة الإمامية وقال عنه الثعالبي في تتمة يتيمة الدهر: "قد انتهت الرئاسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم، وله شعر في نهاية الحسن ".ومن أهم مؤلفاته رسائل الشريف المرتضى ،وكتاب أمالي المرتضى.

---

[71] ويكيبيديا العربية الحرة ، الشريف الرضي

[72] نفس المصدر السابق ،الشريف المرتضى

ومن أشهر أشعاره ما يسمي الحجازيات، وفيه أوصاف لأماكن ومواضع في الحجاز يعتبر تأريخًا لهذه المنطقة. مثل صور تذكارية في شكل قصائد متنوعة في الأغراض الشعرية وكان هذا في رحلة مع أبيه للحج.

ومن أشعاره :73

وما المدح إلا في النبي وآله يُرام وبعض القول ما يُتجنب

وأولى بمدحي من أعزُ بفخره ولا يشكر النعماء إلا المهذب

أرى الشعر فيهم باقيًا وكأنما تُحلق بالأشعار عنقاء مغربُ

أعد لفخري في المقام محمدًا وأدعو عليًّا للعلي حين أركبُ

كما ذكر في شعره موقعة الطف أو كربلاء واستشهاد الإمام الحسين وأهل بيت النبوة معه بقوله:

كربلا، لا زلت كربًا وبلا ما لقي عندكِ آل المصطفى

كم على تُربك لما صُرعوا من دم سالَ ومن دمع جري

يا رسول الله لو عاينتهم وهم ما بين قتلى وسبا

***

[73] موقع ديوان العرب ،الشريف الرضي

https://www.diwanalarab.com/%D8%AD%D8%AC%D8%A7%D8%B2%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D9%81-29049

الكميت

الكميت بن زيد الأسدي من أهم وأشهر الشعراء في تاريخ العرب والمسلمين لمواقفه المؤيدة والمنافحة عن الظلم الواقع على آل بيت النبوة في العصر الأموي والعباسي، يعتبر الكميت أول من أدخل الشعر عي الخط السياسي المعارض للسلطة في الإسلام، لقب بشاعر الهاشميين، وأشهر قصائده سميت بالهاشميات. ولد في الكوفة عام ٦٠ وتوفي عام ١٢٦ هجريًّا كنيته أبو المستهل ، ويشكل الكميت مع دعبل الخزاعي خط الدفاع الأول و الواجهة الإعلامية التاريخية لمظلومية آل البيت من الجانب السياسي المعارض لبني أمية[74]، وكان عالمًا بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها حتى قيل لو لم يكن لبني أسد منقبة غير الكميت، لكفاهم، وقيل أيضًا لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان. اجتمعت فيه خصال لم تجتمع لشاعر: كان خطيب بني أسد، وفقيه الشيعة، وكان فارسًا شجاعًا ، سخيًّا، راميًا لم يكن في قومه أرمى منه. ومن روايات أبي الفرج الأصفهاني في الأغاني (ج١٥ص١١٥) التي ميزّت الكميت على باقي الشعراء بمميزات خاصة، تقول الرواية: (سُئل معاذ الهرّاء: من أشعر الناس؟ قال: أمن الجاهليين، أم من الإسلاميين؟ قالوا: بل من الجاهليين. قال: أمرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى، وعبيد ابن الأبرص. قالوا: فمن الإسلاميين؟ قال: الفرزدق، وجرير، والأخطل، والراعي. فقِيل له: يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت. فقال: ذاك أشعر الأولين والآخرين)

ومن أهم وأشهر وأروع أبياته على الإطلاق: [75]

إلى النفرِ البيضِ الذين بحبِّهم إلى اللهِ فيما نالني أتقرَّبُ

بني هاشمٍ رهط النبيّ فإنني بهمْ ولهمْ أرضى مِرارًا وأغضبُ

---

[74] ظل الإله وهراوة الرب ،كريم الجمال

[75] موقع الديوان ،موسوعة الشعر العربي ،الكميت بن زيد الأسدي

https://www.aldiwan.net/cat-poet-kumait-bin-zaid

خفضتُ لهم مِنّي جَناحَي مودةٍ إلى كنفٍ عَطفاهُ أهلٌ ومرحبُ

وكنتمْ لهمْ من هؤلاء وهؤلا مُجِنًّا على أنّي أُذَمّ وأُغضبُ

وأُرمى وأرمي بالعداوةِ أهلها وإني لأُوذي فيهمُ وأُؤَنَّبُ

يعيّرني جهَّال قومي بحبِّهم وبغضهمُ أدنى لعارٍ وأعطبُ

بأيّ كتابٍ أم بأيةِ سُنّةٍ ترى حبّهمْ عارًا عليَّ وتَحسبُ

ستقرعُ منها سنّ خزيان نادمٍ إذا اليوم ضمَّ الناكثينَ العصبصبُ

فمَالِيَ إلّا آلَ أحمدَ شيعةٌ ومالي إلّا مشعبُ الحق مشعبُ

ومن شعر الكميت في رثاء الإمام الحسين عليه السلام :76

أضحكني الدهر وأبكاني والدهر ذو صرف وألوان

لتسعة بالطف قد غودروا صاروا جميعًا رهن أكفان

وستة لا يتجازى بهم بنو عقيل خير فرسان

ثم على الخير مولاهم ذكرهم هيج أحزاني

***

76 نفس المصدر السابق

غالب الهمداني

غالِب بن عُثمان الهَمداني من أشهر شعراء الطائفة الزيدية، ولد في الكوفة عام ٨٨ هجرية وتوفي عام ١٦٦. وقف إلى جانب أهل البيت بسيفه وشعره، ظهر شعره بعد سنة ١٤٤هـ وهي السنة التي عصف فيها أبو جعفر المنصور بآل البيت وأنزل بهم نكبته المعروفة. وتوالت بعد ذلك أشعاره في كثير من المناسبات التي خرج فيها الطالبيون على دولة بني العباس. وكان له مراثي لآل البيت من آل الحسن بن علي. ومنهم إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن عبد الله بن الحسن. 77

وتعد الطائفة الزيدية أحد المدارس الفقهية الإسلامية القديمة التي اتخذت من الإمامة منهجًا لها، وأغلب الزيدية اليوم يعيشون في اليمن، وتعتبر الزيدية نقطة التقاء وسط بين الطائفة السنية والطوائف الشيعية الأخرى. وتنسب الزيدية إلى الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعًا. أبو الحسين الهاشمي العلوي روى عن أبيه زين العابدين وأخيه الباقر وعروة بن الزبير وعنه ابن أخيه جعفر بن محمد وشعبة وفضيل بن مرزوق والمطلب ابن زياد وسعيد بن خثيم وابن أبي الزناد وكان ذا علم وجلالة وصلاح هفا، وفد على متولي العراق في زمن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي يوسف بن عمر فأحسن جائزته ثم رد فأتاه قوم من الكوفة فقالوا ارجع نبايعك فما يوسف بشيء فأصغى إليهم وعسكر فبرز لحربه عسكر يوسف فقتل في المعركة ثم صلب لمدة أربع سنين ثم صلب وأحرقت جثته. وكان يرفض الخوض في الشيخين أبي بكر وعمر والطعن فيهما. وألهم استشهاده كثير من الشعراء لرثائه.

ومن الأبيات التي مدح غالب بن عثمان الهمداني فيها النبي صلى الله عليه وسلم و رثى فيها آل بيته في حادثة باخمري التي استشهد فيها بعضهم :78

---

77 بوابة الشعراء ، غالب بن عثمان الهمداني

https://www.poetsgate.com/Poet.aspx?id=2894

78 نفس المصدر السابق

كيف بعد المهدي أو بعد إبراهيم نومي على الفراش الوثيرِ

وهم الذائدون عن حُرم الإسلام والجابرون عظم الكسيرِ

وأشاحوا للموت محتسبي الأنفس لله ذي الجلال الكبيرِ

غيلَ فيها فوارس ورجالى بعد عز وذل فيها نصيري

ومن قصائده في نفس المعني أيضًا واصفًا حال القتلة المجرمين من بني نتيلة وما لحقهم من عار أبد الدهر لقتلهم آل البيت وهم أصحاب الفضل الواسع الكبير وعطاؤهم مثل المطر في سنوات القحط في الصحراء:

بالجزع مِن كنفي سويقة أصبحت كالبُرد بعد بني النبي قفارا

الحاملين إذا الحَمالة أعجَزَتْ. والأكرمين أرومة ونِجارا

والممطرين إذ المحول تتابعت. دررًا تداولها المحول غِزارا

والذائدين إذا المخافة أبرزت سوق الكواعب يبتدرون حصارا

وَثبت نُتيلة وثبة بعلوجها. كانت على سلفي نتيلة عارا

فتصلمت ساداتها وتهتكت حُرمًا محصنة الخدور كبارا

ولغت دماء بني النبي فأصبحت خضبت بها الأشداق والأظفارا

***

صفي الدين الحلي

هو 79عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم ويعرف بصفي الدين الطائي السنبسي ولقب بالحلي نسبة إلى مدينة الحلة في العراق، ولد بمدينة الحلة من العراق سنة ٦٧٧\ هجرية وانتقل إلى ماردين ليكون شاعر الدولة الارتقية فيها ورحل إلى القاهرة ومدح فيها ملكها الناصر ثم عاد إلى ماردين ثم إلى بغداد حيث توفي سنة ٧٥٠ هجرية، كان شيعيًّا قُحًا وإن كان لم يذمّ فهو من الشيعة المُفضّلِة، وهم الذين يفضلون عليًّا عليه السلام على الآخرين في الإمامة والخلافة ولا ينتقصون من قدرهم. يعتبر من أشعر أهل زمانه قاطبة. له أشعار متنوعة في الغزل والفخر والبكاء على الأطلال والرثاء حيث ظهر في الفترة السوداء التي أعقبت سقوط بغداد بأيدي المغول، وله أشعار باللهجة المحكية العامية في زمانه مثل الموشح والزجل، ويعتبر أول من نظم البديعيات وهي قصائد في مديح النبي صلى الله عليه وسلم مُحلاة بألوان البديع وتزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعية لغوية من الجمال اللفظي، وقصيدته المشهورة الكافية البديعة في المدائح النبوية من أشهر وأروع المدائح وهي أول قصيدة في هذا النوع المهم ومن أبياتها:

80

إِن جِئتَ سَلعًا فَسَل عَن جَيرَةِ العَلَمِ

وَاقرَ السَلامَ عَلى عُربٍ بِذي سَلَمِ

فَقَد ضَمِنتُ وُجودَ الدَمعِ مِن عَدَمِ

لَهُم وَلَم أَستَطِع مَع ذاكَ مَنعَ دَمي

أَبيتُ وَالدَمعُ هامٍ هامِلٌ سَرِبٌ

---

79 ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، صفي الدين الحلي

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%B5%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%84%D9%8A

8080 الكافية البديعية في المدائح النبوية ،صفي الدين الحلي،مكتبة المصطفى الاليكترونية

وَالجِسمُ في إِضَمٍ لَحمٌ عَلى وَضَمِ

مِن شَأنِهِ حَملُ أَعباءِ الهَوى كَمَدًا

إِذا هَمَى شَأنُهُ بِالدَمعِ لَم يُلَمِ

مَن لي بِكُلِّ غَريرٍ مِن ظِبائِهِمُ

غَريرِ حُسنٍ يُداوي الكَلِمَ بِالكَلِمِ

بِكُلِّ قَدٍّ نَضيرٍ لا نَظيرَ لَهُ

ما يَنقَضي أَمَلي مِنهُ وَلا أَلَمي

وَكُلِّ لَحظٍ أَتى بِاسمِ اِبنِ ذي يَزَنٍ

في فَتكِهِ بِالمُعتّى أَو أَبي هَرِمِ

قَد طالَ لَيلي وَأَجفاني بِهِ قَصُرَت

عَنِ الرُقادِ فَلَم أُصبِح وَلَم أَنَمِ

<u>وله قصيدة أخرى في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :81</u>

فيروزة الصبحِ أمْ ياقوتة ٍالشفقِ، ... بدَتْ فهَيّجَتِ الوَرقاءَ في الوَرَقِ

والغيمُ قد نشرتْ في الجوّ بردتُه ... سترًا تمدُّ حواشيهِ على الأفُقِ

والسحُبُ تَبكي، وثَغرُ البَرّ مُبتَسِمٌ، ... والطّيرُ تَسجَعُ من تيهٍ ومن شَبَقِ

فالطّيرُ في طرَبٍ، والسُّحبُ في حَربٍ، ... والماءُ في هربٍ، والغصنُ في قلقِ

81 موقع الديوان موسوعة الشعر العربي ،صفي الدين الحلي

وكلّلَ الطلُّ أوراقَ الغصونِ ضُحًى ... كما تكلل خدُّ الخودِ بالعرقِ

وأطلَقَ الطّيرُ فيها سَجْعَ مَنطِقه، ... ما بَينَ مُختَلِفٍ منهُ ومُتّفِقِ

والظلُّ يسرقُ بينَ الدوحِ خطوتَه، ... وللمِياهِ دَبِيبٌ غَيرُ مُستَرَقِ

وفاحَ من أرجِ الأزهارِ منتشرًا ... نشرٌ تعطرَ منهُ كلُّ منتشقِ

كأنّ ذكرَ رسولِ اللهِ مرّ بها، ... فأكسبتْ أرجًا من نشرِهِ العبقِ

مَحمّدُ المُصطفَى الهادي الذي اعتصَمَتْ ... بهِ الورَى، فهداهم أوضحَ الطرُقِ

ومن لهُ أخذَ الله العهودَ على ... كلّ النّبيّنَ من بادٍ ومُلتَحِقِ

ومَن رَقى في الطِّباقِ السّبعِ مَنزِلَةً ... ما كانَ قطّ إليها قبلَ ذاكَ رَقِي

ومَن دَنا فتَدَلّى نَحوَ خالِقِهِ، ... كقابِ قَوسَينِ أو أدنَى إلى العُنُقِ

ومَن يُقَصِّرُ مدحُ المادِحينَ لَهُ ... عَجزًا ويَخرَسُ رَبُّ المَنطِقِ الذَّلقِ

ويُعوِزُ الفِكرُ فيهِ إنْ أُريدَ لَهُ ... وصفٌ، ويفضلُ مرآهُ عن الحدقِ

علا مدحَ اللهُ العليُّ بها ... فقال إنكَ في كلٍّ على خلقِ

يا خاتمَ الرسلِ بعثًا، وهي أولُها ... فضلًا، وفائزُها بالسبقِ والسبقِ

جمعتَ كلّ نفيسٍ من فضائلهمْ، ... مِن كلّ مُجتَمِعٍ منها ومُفترِقِ

وجاءَ في محكمِ التوراة ذكرُك والـ ... إنجيلِ والصّحُفِ الأولى على نَسَقِ

وخصكَ اللهُ بالفضلِ الذي شهدتْ ... به، لعمرُكَ، في الفرقانِ من طرقِ

فالخلقُ تقسمُ باسمِ اللهِ مخلصةً ... وباسمِكَ أقسمَ ربُّ العرشِ للصدقِ

لو أنّ آدَمَ في خِدرٍ خُصِصتَ بهِ، ... لكانَ من شرّ إبليسَ اللّعينِ وُقِي

أو أنّ عزمكَ في نارِ الخليلِ، وقد ... مستّهُ، لم يَنجُ منها غيرَ مُحترِقِ

لو أنّ بأسكَ في موسَى الكليمِ، وقد ... نوجي، لما خرّ يومَ الطورِ منصعقِ

لوْ أنّ تبعَ في محلِ البلادِ دَعا ... للهِ باسمكَ، واستسقى الحيا لسُقي

لو آمنَتْ بكَ كلُّ النّاسِ مُخلِصةً ... لم يُخشَ في البعثِ من بخسٍ ولا رَهَقِ

لو أنّ عبدًا أطاعَ اللهَ ثمّ أتَى ... ببُغضِكُمْ، كانَ عندَ اللَّهِ غَيرِ تَقي

لو خالفتكَ كماةُ الجنّ عاصيةً ... أركَبَتهم طَبقًا في الأرض عن طَبَقِ

لو تَجعَلُ النّقعَ يومَ الحربِ متّصِلًا ... بالليلِ، ما كشفتهُ غرةُ الفلقِ

مَهّدَتَ أقطارَ أرضِ اللَّهِ، مُنفَتحًا ... بالبِيضِ والسُّمرِ منها، كلُّ مُنغلِقِ

فالحربُ في لذةٍ، والشركُ في عوذٍ، ... والدينُ في نشزٍ، والكفرُ في نفقِ

فضلٌ بهِ زينةُ الدنيا، فكانَ لها ... كالتاجِ للرأسِ، أو كالطوقِ للعنقِ

وآلكَ الغررِ اللاتي بها عرفتْ ... سبلُ الرشادِ فكانتْ مهتدى الغرقِ

وصحبِكَ النُّجبِ الصِّيد الذينَ جرَوا ... إلى المناقبِ من تالٍ ومستبقِ

قومٌ متى أضمرتْ نفسٌ امرئٍ طرفاً ... من بُغضِهم كانَ من بعد النّعيمِ شَقي

فسوفَ أصفيكَ محض المدحِ مجتهدًا، ... فالخلقُ تفنى، وهذا إن فنيتُ بقي

***

محمد بهاء الدين نقشبند

تعد الطريقة النقشبندية 82أحد أهم وأوسع الطرق الصوفية انتشارًا في العالم حاليًّا وتنسب إلى الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبندي رحمه الله، الشيخ المعروفُ بِمحمَّد بهاء الدين البخارِيّ وهو حسيني من كبار العلماء الصوفية، ولد في شهر المحرم سنة ٧١٧ هـ .وتوفي رضي الله عنه ليلة الاثنين الثالث من شهر ربيع الأول سنة ٧٩١ هـ، وعمره أربع وسبعون سنة ودفن في بستانه.

83 ومن الطرق غير العربية النشأة أيضًا ولها انتشار واسع ومرت بنفس ظروف المولوية تقريبًا هي الطريقة النقشبندية وقد كانت الطريقة شبه الرسمية لسلاطين الدولة العثمانية وهي المقربة منهم والمحببة إليهم. ومؤسسها هو الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند وهي طريقة تعتمد على فكرة الالتزام الأخلاقي والتواضع والصفاء الروحي وكثرة العبادة والطاعات وفعل الخير أكثر من التأمل والاهتمام بالأفكار الفلسفية العرفانية المعقدة وقد يكون ذلك ليس في بدايتها وإنما في وقت لاحق عليها وهي تختلف عن غيرها من الطرق التي اتخذت موصلها الروحي إلى النبي تعاليم الإمام على عن طريق الإمام جعفر الصادق فكان موصل النقشبندي الروحي للنبي هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .النقشبندية لها تفرعات كثيرة مثل اليسوية والملامية والخالدية .وتعتمد النقشبندية على نفس فكرة المقامات السبعة للنفس التي تنتهجها غالبية الطرق الصوفية التقليدية وهي الأمارة بالسوء واللوامة والمطمئنة والملهمة والراضية والمرضية والكاملة وهي نفس النبي.

قال الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند قدس سره عن بدايته وطريقه 84(لما توفي الشيخ محمد بابا السماسي أخذني جدي إلى سمرقند فكان كلما سمع برجل صالح من أهل الله حملني إليه

---

[82] ظل الإله وهراوة الرب ، كريم الجمال

[83] نفس المصدر السابق

[84] ويكيبيديا الموسوعة الحرة ،محمد بهاء الدين نقشبند

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%87%D8%A7%D8%A1_%D8%A

وسأله لي فكانت تنالني بركتهم، ثم أتى بي إلى بخارى وزوجني بها. وكانت إقامتي في قصر العارفان ومن العناية الإلهية بي أني وصلت إلى قلنسوة العزيزان في تلك الأوقات فحسنت أحوالي وقويت آمالي إلى من حظيت بصحبة السيد أمير كلال قدس سره وأخبرني بأن الشيخ محمد بابا السماسي قدس سره أوصاه بي وقال له: [لا تأل جهدًا بتربية ولدي محمد بهاء الدين ولا بالشفقة عليه ولست مني في حل إن قصرت في ذلك] فقال له قدس سره: [إن أنا قصرت في هذه الوصية فلست برجل] ثم وفى وعده).

ارتبط الشيخ في بدايته بالطريقة اليسوية قبل، يعد أول من أسس اليسوية هو أحمد يسوي المتوفى عام ١١٦٧م ونهج نهجًا صوفيًّا ذاع بين الأتراك. وكان لطريقته الصوفية مكانة في نفوس الشعب التركي في الفترة المبكرة من دخولهم في دين الله. ومن الكتاب من يقر بفضل الترك في ذيوع الطريقة اليسوية في البلاد. لأن أحمد يسوي سعى سعيه لنشر الإسلام عن طريق الترويج لتعاليم طريقته الصوفية. أثرت اليسوية تأثيرًا عميقًا في النقشبندية، التي ازدهرت أولًا في التركستان، ثم الأناضول. وترجع صلة شيوخ النقشبندية بأحمد يسوي إلى أن الشيخ بهاء الدين نقشبند محمد البخاري، المعروف بـ"شاه نقشبند"، نال الفيض على يد كل من الشيخ قاسم، والشيخ خليل آتا اللذان يعدان من شيوخ اليسوية. وأنه مضى مراحل طويلة إلى جانب خليل آتا. وبعد شاه نقشبند انتشرت النقشبندية بين أتراك التركستان. وضيقت ساحة نفوذ اليسوية التي كان لها الانتشار قبلها هناك.

فبعدما أسندت النقشبندية إلى الشيخ بهاء الدين نقشبند الذي نسبت له وتسمت باسمه، حمل لواءها بعد أن حصل على العلم الصوفي على يد كبار شيوخ اليسوية، وراح ينشر تعاليم طريقته شرقًا وغربًا. وبوسعنا أن نقول إن اليسوية ظهرت في زي جديد، أو أنها اندمجت في النقشبندية. وساح بهاء الدين في البلاد لكي يروج لتعاليم طريقته. وتلك السياحة تعرف لدى الصوفية بالسياحة الروحية. وكثير من الطرق الصوفية الأخرى على علم بها.

7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%82

%D8%B4%D8%A8%D9%86%D8%AF

85 الطريقة النقشبندية ذاع صيتها منذ القرن الخامس حتى القرن التاسع للهجرة. وارتبط تاريخها بتاريخ الأسر التي حكمت التركستان آنذاك ودام رواجها بين القبائل التركمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد فيما وراء بحر الخزر وشمال وغرب بحر القوقاز. كما انتشرت في داغستان والشيشان وأذربيجان. انضم إليها علية القوم من التجار والقادة العسكريين واللامفكرين والشعراء الذين كانت لهم شهرة من أمثال الشاعر علي شير نوائي، وعبد الرحمن الجامي وغيرهم. كما جذبت النقشبندية عامة الشعب والأهل والقرى بأعداد لا تحصى لأنها لم تكن لتعرف التعصب، بل اتسمت بالتسامح. ولم تكن لتحرص على الزهد المطلق بل إن من ينتسب إليها بوسعه أن يتعايش مع المجتمع ويمارس حياته الاجتماعية بلا قيود وعرفت هذه الطريقة بالجهاد ومحاربة البوذية ثم تحول جهادها إلى محاربة الروس في منطقة وسط آسيا. ومن ثم كان انتشارها عنصرًا أساسًا في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية. لها دورها الفعال المؤثر في مناطق نفوذها في داغستان وشرق أذربيجان. قد ساعد على القيم والتقاليد والمثل القويمة كما صانت التعاليم الإسلامية من الزيف والتشويه. وهذا بدوره أفضى إلى انتشارها في المناطق الشرقية والجنوبية من التركمان في وسط آسيا وكذا وادي فرغانة ومناطق القيرغيز ومنطقة خوارزم والقارقالباق.

كان لانتشار الطريقة النقشبندية في تركيا أثر كبير على انتشارها في العالم في فترة الدولة العثمانية، وشكلت الطريقتان المولوية والنقشبندية رافدين أساسيين للطرق في تركيا، ولأن التصوف هو مذهب غالبية المسلمين فلاقت تلك الطرق قبولًا كبيرًا حتى وقتنا هذا، وفي عام ١٩٢٢ في لارنكا بقبرص ظهرت شمس الشموس العلمية في شرق المتوسط فضيلة الشيخ محمد ناظم عادل الحقاني النقشبندي86 طيب الله ثراه المتوفي في ٢٠١٤، والشيخ ناظم الحقاني هو شيخ عموم النقشبندية في العالم كله. والشيخ ناظم له محبون وتلاميذ من كل الدول، ورث الطريقة القادرية علمًا ونسبًا، فنسبه من أبيه يمتد إلى عبد القادر الجيلاني رحمه الله، وورث المولوية أيضًا علمًا ونسبًا، فأمه حفيدة جلال الدين الرومي رحمه الله، فتلقى الطريقتين وجمع بينهما، ولكن نشأته العلمية كانت على يد مشايخ الطريقة القادرية، وبدأت علامات السلوك الطيب والسيرة الحسنة والذكاء الشديد تظهر عليه في وقت كانت العلمانية ومعاداة الإسلام تظهر في كل أوربا وبالذات في تركيا، فكان المتدين شخصًا نادرًا، وكان يقول: أميل إلى العلوم

---

[85] نفس المصدر السابق

[86] ظل الإله وهراوة الرب ،كريم الجمال

الروحية أكثر من العلوم المادية، بعد حصوله على شهادة الهندسة الكيمائية من جامعة إسطنبول، كما تعلم اللغة العربية وأصولها وعلوم الشريعة وأصول الدين، وعاد لقبرص لينشر التعاليم الروحية بين أهلها هناك، ورفعت ضده قضايا وسجن بسبب رفعه الأذان، مما زاد من محبيه ومريديه وتلاميذه، فكان من الأصوات الإيمانية القليلة في مناخ كله عداء للإسلام في تركيا، فقرر السفر بين البلاد المختلفة لنشر الطريقة النقشبندية ومنها لبنان ومصر والسعودية، وله جهود في نشر الإسلام على منهج التصوف السني وطريقته النقشبندية في الخارج، وأسس ١٥ مركزًا للطريقة في أمريكا، وفي إحدى الزيارات أسلم على يديه ١٩ ألف شخص، وكان رحمه الله كثير الحج (٢٧ مرة)، وله زيارات كثيرة لأوربا وللدول الإسلامية، وكان يحظى بمحبة الشعوب الإسلامية وحكامها وعلمائها، وفي اجتماعات ومؤتمرات الطريقة يحضر عديد من علماء المسلمين من كل العالم للحضور واللقاء والتباحث في أمور نشر الإسلام والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

من دعاء الشيخ ناظم الحقاني ومدحه للنبي صلى الله عليه وسلم :87

سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب بسم الله الرحمن الرحيم يا ربنا لك الحمد حمدًا دائمًا مع خلودك سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق و الخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق و الهادي إلى صراطك المستقيم و على آله حق قدره و مقداره العظيم اللهم يا أرحم الراحمين اللهم يا أرحم الراحمين يا أمان الخائفين يا رجاء السائلين يا ربنا و رب كل شيء ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا يا مولانا إنك أنت التواب الرحيم و اهدنا ووصلنا إلى الحق إلى طريق مستقيم ببركة ختم القرآن العظيم ببركة قراءة مولد نبينا الكريم وبحرمة من أرسلته رحمة للعالمين واعف عنا يا كريم واغفر لنا ذنوبنا بفضلك وجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين و يا أرحم الراحمين آمين.

87 ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ناظم الحقاني

88اللهم إنا نسألك بجاه نبيك الكريم و بجاه القرآن العظيم أن ترزقنا إيمانًا كاملًا و يقيًنا صادقًا و قلبًا خاشعًا و لسانًا ذاكرًا و رزقًا واسعًا حلالًا طيبًا ونورًا ساطعًا و ذرية صالحة وعملًا صالًحا مقبولًا وتجارة لن تبور يا نور النور يا عالم ما في الصدور أخرجنا من الظلمات إلى النور و نسألك يا ربنا توبة نصوحًا وتوبة قبل الموت وراحة عند الموت ومغفرة ورحمة عند الموت والعفو عند الحساب والفوز بالجنة والنجاة من النار. برحمتك يا عزيز يا غفار يا كريم يا ستار اللهم بلغ وأوصل ثواب ما قرأنا وشرف ما تلونا بعد القبول هدية منا واصلة إلى حضرة حبيبك سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين أرسلته رحمة للعالمين وشفيعًا للمذنبين ثم إلى أرواح آله وأصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ثم إلى أرواح إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين.

..

88 نفس المصدر السابق

محمد بلقايد الهبري

برغم انتشار الطرق الصوفية في جميع أنحاء العالم إلا أن المغرب العربي يبقى له خصوصية في هذا المجال، استمر علماء المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية محافظين على وجود مستمر متجدد للطرق الصوفية غير الزوايا المنتشرة، وما زالت بفضل الله تعلم الناس الكتاب والسنة والسيرة وتحارب الفكر المتطرف والإرهاب بوسطيتها وحكمتها. وتعتبر الزاوية البلقايدية الهبرية من أهم تلك الصروح الشامخة التي حافظت على تلك الروح الإسلامية الأصيلة، وجددت شباب الإسلام باستحضار روح الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله الذي تنتهي إليه الطريقة. وأهمية الزاوية البلقايدية الهبرية في بلد من أكبر البلدان العربية والإفريقية وهي الجزائر وذلك عندما أسسها الشيخ المربي محمد بلقايد الهبري في وهران لتصل الماضي بالحاضر، وتجسد تقليدًا إسلاميًّا أصيلًا وهو تسلسل الطرق الصوفية حيث أخذ الشيخ محمد بلقايد رحمه الله الطريقة من الشيخ محمد الهبري العزاوي الزروالي، وتنتسب الطريقة إلى الطريقة الهبرية الدرقاوية الجزولية المنبثقة عن الغصن الشاذلي الذي يُرفع إلى أبي مدين الغوث الإشبيلي رحمه الله. فتلك الطريقة الكبيرة ينتسب فيها حوالي ٥ ملايين مريد وتقيم مجالس العلم وأبرزها الدروس المحمدية التي يحاضر فيها أغلب علماء المسلمين من كافة أنحاء العالم، وتجمع الناس حولها ليجدوا من روح الإسلام النقية التي كان عليها الصحابة والتابعون، والزاوية البلقايدية مثلها مثل أغلب الطرق الصوفية عبر الإسلام لعبت دورًا تاريخيًّا مميزًا في مقاومة المعتدين على بلاد المسلمين فقد كان لمنتسبيها دور كبير في الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي. وآلت الطريقة اليوم للشيخ محمد عبد اللطيف بلقايد وهو من أبرز العلماء في الوطن العربي ومن أهم الوجوه المالكية الصوفية الأشعرية. ولد الشيخ 89محمد بلقايد الهبري رحمه الله عام ١٩١١ وتوفي عام ١٩٩٨ لأسرة من آل بيت النبوة عبر السادة الأدارسة.

---

[89] ويكيبيديا الموسوعة الحرة ،محمد بلقايد الهبري

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%8A%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%A8%D8%B1%D9%8A

لم تكن الطرق الصوفية قديمًا أو حديثًا مرتبطة ببلد معين مع حرمان باقي المسلمين من خيرها حيث قامت حركة التصوف على الترحال والتنقل وطلب العلم وترك الدنيا والانشغال بالآخرة والجهاد في سبيل الله، واستمرت تلك الروح وتلك التقاليد المتوارثة حتى الآن فكل طريقة في بلد لها مريدون من بلاد أخرى وكل شيخ له تلاميذ من خارج بلده، فقد كان من أبرز تلاميذ الشيخ محمد بلقايد الهبري رحمه الله الشيخ محمد متولي الشعراوي إمام الدعاة إلى الله في عهده رحمه الله، وقد سافر الشعراوي إلى الجزائر في الستينات من القرن الماضي للمشاركة مع غيره من المعلمين في إعادة تأهيل الثقافة العربية الإسلامية للجزائر، حيث كانت مساندة مصر الكبرى لأغلب الدول العربية والإفريقية في التحرر من الاستعمار وتشجيع المد القومي العربي في مواجهة أطماع الدول الاستعمارية، وكانت تلك الجهود المصرية في الوقوف إلى جانب الثورة الجزائرية ليس بالدعم السياسي والاقتصادي ولإعلامي فقط وإنما بدعم الجزائر في استعادة هويتها وإعادة دمجها في محيطها العربي والإفريقي والإسلامي.

90عرف الشيخ الشعراوي الإمام محمد بلقايد عن طريق الرؤيا في المنام قبل أن يلقاه في الحقيقة في الجزائر، وذلك حيث عرض على الشيخ الشعراوي أن يسافر كرئيس لبعثة الأزهر إلى الجزائر ولكنه هم بالرفض، فجاءه رجل في الرؤية يسأله لماذا لا تريد القدوم إلينا؟، وطلب منه السفر للجزائر، فغير الشيخ الشعراوي رأيه وقبل بالسفر.

في حفل الاستقبال الذي أقيم بمناسبة الذكرى الثامنة لاستقلال الجزائر في القصر الرئاسي بالجزائر، لمح الشيخ الشعراوي رجلًا جالسًا ضمن مجموعة من العلماء، وإذا به هو ذلك الشخص الذي جاءه في الرؤيا ولم يكن قد رآه من قبل، وحينها أسرع الشيخ الشعراوي إلى الإمام محمد بلقايد الذي رآه وابتسم له فتعانقا، وقد نظم الشعراوي قصيدة في مدح الإمام محمد بلقايد.

نور الوجود وريُّ روح الوارد هبرية تدني الوصول لعابد

تزهو بسلسلة لها ذهبية من شاهدٍ للمصطفى عن شاهد

---

[90] المصري اليوم ، قصة الشعراوي مع الشيخ محمد بلقايد

https://lite.almasryalyoum.com/extra/144110/

طَوَّفتُ في شرق البلاد وغربها وبحثتُ جهدي عن إمام رائد

أشفي به ظمأ لغيب حقيقة وأهيمُ منه في جلال مشاهد

فهدانيَ الوهابُ جلّ جلاله حتى وجدت بتلمسان مقاصدي

واليوم آخذُ نورها عن شيخنا محيِي الطريقِ محمد بلقايد

ذقنا مواجيد الحقيقة عندهُ وبه عرجنا في صفاء مصاعد

عن شيخه الهبري درِّ كنوزه فاغنم لآلئهُ وجدّ وجاهد

دندنْ بما لُقِّنتَه من ورده بصفاء نفس متيّم متواجد

إيّاكَ من لفتِ الفؤادِ لغيره واجعل سبيلكَ واحدًا للواحد

شاهد رسول الله فيه فإنّه إرثٌ توُرثَ ما جدا عن ماجد

فإذا وصلتَ به لنور المصطفى فالمصطفى لله أهدى قائد

وهناك تكشِفُ كلّ سرّ غامض وتشاهد الملكوت مشهد راشد

وإذا البصائرُ أينعتْ ثمراتها نالتْ بها الأبصارُ كل شوارد

لا تُلقِ بالًا للعذولِ فإنّه لا رأي قطُّ لفاقد في واجدِ

لو ذاقَ كانَ أحدّ منك صبابةً لكنّه الحرمان لجَّ بجاحد

سر في طريقك يا مريد ولا تعِرْ أذنًا لصيحة منكرٍ و معاند

لا يستوي عند العقولِ مجاهدٌ في الله قوّامُ الدّجى بالرّاقد

اللهَ قلِ بحوى الهيامِ وذرهمُ يتخبّطونَ بكل زورٍ فاسد

١/ من وصايا الشيخ سيدي محمد البهري رضي الله عنه :

سادتنا أوصيكم وإياي بتقوى الله العظيم والوقوف على سنة نبينا المصطفى الكريم ، مع ملازمة وظائف الطريق الموصولة إلى الله و معارفه، وهي كثرة الأذكار والصلاة والاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، و عليكم بالجمع مع بعضكم بعض ، فإن خصالًا كثيرة وأنوار ساطعة فيه ، و قد قالوا :* الجمع رحمة والفرقة عذاب* ، و قيل : * يد الله مع الجماعة* ، و قد ورد :* ما جلس قوم مجلسًا يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة و نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة* كما ورد :* إن في الأرض ملائكة سياحًا إذا وجدوا حلق الذكر تنادوا :هلموا إلى حاجتكم.

عليكم بالمحبة و التواصي بالخير لبعضكم البعض والتعاون على البر والتقوى وكونوا يدًا واحدة وصفات في الله متحدة :* و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولائك هم المفلحون و لا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم*. *آل عمران /١٠٥* و عليكم بالأدب مع جميع الخلق ، فإن في الأدب فضلًا كبيرًا و خيرًا شهيرًا ،

فقد قالوا: *اجعل أدبك دقيقًا وعلمك ملحًا* و روي عن سيد الكائنات وأنوار التجليات الظاهرات سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه و سلم *ما معناه* : * من فاتك أدبًا فاتك اقترابًا ومن فاتك أدبًا فاتك علمًا ومن فاتك أدبًا فاتك تقربًا ....*

وعليكم بالصدق مع أهله تكونوا من المفلحين ومن عباد الله الصالحين ، فقد قيل :* الصدق سيف الله مهما نزل على شيء إلا قطعه، كبيرًا وخيرًا شهيرًا وحاصله أنه عليكم بالذكر والمذاكرة والزيارة والزهد و القناعة والتوكل والصمت والصبر والعزلة عن العامة والخلطة مع الصوفية

واشغلوا شأنكم بذكر الله ، و إياكم و كثرة القيل والقيلولة عند طلوع الشمس وغيابها فإن جميع من أظلمت سريرته وانكسف نوره وغشيت بصيرته هو من لسان الإنسان ، وعليكم بالمجاهدة في طريق الله و شرائع رسوله ، فإن من جد وجد ، و من لا فلا ، وعلى قدر المجاهدة تكون المشاهدة :* و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين * و هذا محل الظواهر و بهذه الأوصاف تتطهر بواطن الإنسان و ظواهره ، و تفتح العنكبوت /٩٦* له الأبواب لمن واظب على ذلك * و الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم* * البقرة / ٢١٣* و ما يذكر إلا ألو الألباب * البقرة /٢٦٩*

وعليكم بذكر الاسم الأعظم المفرد الجامع الكافي اسم الجلالة الله فإن فيه ترياقًا عظيمًا و سرًّا جسيمًا لمن واظب عليه وأكثر من ذكره إلى أن يمتزج مع لحمه ودمه ، فإن روحاني الاسم يجذبه إلى معرفة ربه ، فيجب على كل تلميذ صاحب الاسم أن يبقى عليه طول نهاره و ليله حتى ينحل عقد جسمه و روحه و عقله و نفسه ، فتجري على لسانه علوم كثيرة و تظهر عليه أنوار ساطعة و لابد من سلوكه المعارج ، لكي يتحقق بحق اليقين ، وأما إذا كان رأى ذلك علم اليقين ، فلا يتم أمره ، أو كان عين يقين فقد بقي سريانه للأمر الثالث الذي هو حق اليقين ، فعند ذلك يتحقق بالأمور الباطنية ثم يرجع إلى مشاهدة أنوار المكونات التي قيل فيها :* ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله فيه* من أنوار و أسرار و علوم و حكم ، و ليس للإنسان في تلك المرائي تمام معرفته ، بل هو باق في حظ الخاصة ، و بقي عليه حظ خاصة الخاصة ، و من هناك يرجع إلى أمر قبته و هيكلته و ذاته و نفسه ، فاعلم ذلك و تفطن لما هنالك.

منقول من مجلة الأنوار المحمدية لزاوية البلقائدية الهبرية91

..

[91] موقع المنهج الهاشمي الدرقاوي الشاذلي

عمر اليافي

الشيخ 92أبو الوفا قطب الدين عمر بن محمد بن محمد بن عمر الشريف الحسيني الدمياطي الأصل اليافوي الشهرة والمولد الغزي الوطن ، ولد بثغر يافا في ساحل فلسطين سنة ١١٧٠هـ الموافق عام ١٧٥٩ م ونشأ بها، واستوطن غزة شطرًا من حياته ثم أكمل تعليمه في مصر على يد علماء الأزهر ثم قدم إلى دمشق وعاش بها إلى وفاته في غرة ذي الحجة عام ١٢٣٣هـ الموافق عام ١٨١٨م ودفن في مقبرة الدحداح. من آثار الشيخ عمر: "هداية أهل المحبة في معنى – صلى الله عليه وسلم – من عرف نفسه عرف ربه" ، ديوان شعر مطبوع، لباب المغنم ومنية المغرم، وفتح العليم في بسم الله الرحمن الرحيم ، قطع النزاع في الرد على من اعترض على العارف النابلسي في إباحة السماع رسالة في التصوف، رسالة في بر الوالدين، رسالة في الطريقة النقشبندية. وجمع ديوانه المسمى بديوان اليافي أحد أحفاده وأسرة اليافي من الأسر المهتمة بالعلم الشرعي وتقلد آل اليافي عبر السنوات العديد من المناصب السياسية والدينية في لبنان وفلسطين.

يعتبر الشيخ عمر اليافي من كبار رجال التصوف اشتهر بصلاحه وورعه وتقواه 93، وقد أخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ الصوفي الكبير القطب مصطفى البكري الصديقي، وأصبح من بعده شيخ الطريقة الخلوتية بالشام، ووصفه معاصروه بأنه عمدة الأولياء وزبدة الفضلاء،

---

[92] معجم البابطين لشعراء العربية ،عمر اليافي

http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=5035

[93] موقع أسرة آل اليافي ،الشيخ عمر اليافي

http://www.yafionline.com/yafi-personages/p/3/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE%20%D8%B9%D9%85%D8%B1%20%D8%A8%D9%86%20%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF%20%D8%A8%D9%86%20%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A7%D9%81%D9%8A/

واتخذ من حجرة في الجامع الأموي موضعًا له سمي بعد ذلك بمشهد اليافي. وقد رثاه العالم الأديب الشيخ أمين الجندي العباسي الحمصي شاعر العصر العثماني

ببعض أبيات منها :94

هو ابن رسول الله والعلم الذي لسؤدده السامي انتمى الفخر والمجد

هو البحر إلا أن تيار لجه يفيض فيهدي دره الجزر والمد

هو السيف لا تخفى مقاتله على خبير ولا ينبو لقائمه حد

همام لقطبانية العصر حائز وفي المنصب الأعلى له الحل والعقد

فتى لبني الصديق أضحى خليفة إلى الحق يدعونا ونحن له جند

نشا بحجور الخلوتية راضعًا لبان المعالي والكمال له مهد

إلى أن كساه الله أفخر خلعة تجسم فيها العلم والحلم والزهد

الشيخ عمر اليافي في مدح الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي 95:

أقبل إلينا صادقًا ... وبعهدها كن واثقًا

نسقيك كأسًا رائقًا ... صرفًا تصفى من كدرْ

سلمى السحارى تنجلِي ... في المشهد الأسنى العلِي

---

[94] بوابة الشعراء،عمر اليافي

[95] نفس المصدر السابق

وقد تحلت من حلِى ... عقد اللآلي والدرر

يا حبذا ذاك الجمالْ ... الحاوي أنواع الكمال

ومن قصائده في مدح النبي وآله 96

سفينة نوح آل بيت محمد فمن كان فيها راكبًا فقد صادف النجا

وأما الذي تخلف عنها هالك غريق في بحر الغي لم يلق مخرجا

كما ورد في الحديث (أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق).

ومن أشعاره التي اشتهرت كموشحات على ألسنة المادحين خصوصًا في بلاد الشام:

تَبَدَّى حُسنُ ذاتِ الشؤون ولم يَزَلْ مَكنونْ

فأمسَى كُلُّ جِسمي عُيونْ كقَيْسِها المَجنونْ

هِيَ شمسٌ بَدَتْ في ظِلالْ جَلَّتْ عنِ التِمثالْ

تَلاشى مُذ رآها الهِلالْ وصارَ كالعُرجونْ

وطالِعْ في سُطورِ الوجودْ لِتَفهَمَ المَقصودْ

ولا تترُكْ مَقامَ الشُهودْ وكُنْ أخا ذِي النُونْ

صلاةٌ بالسَلامِ المُبينْ لِنُقطةِ التعيينْ

نبيٌّ كانَ أصلَ التكوينْ مِن عهدِ كُنْ فيَكونْ

96 نفس المصدر السابق

قصيدة تبدي حسن ذات الشؤون أو موشح اليافي كما اشتهر به. المعني العام للأبيات:

الشؤون معناها الدموع والمقصود العيون، حسن ذات الشؤون هو وصف للحضرة الإلهية أو الحضرة النبوية، مكنون يعني مختفي والمقصود أن تلك الرؤى والمشاهدات الروحية لا يدركها كل الناس، فلا يعرفها إلا العارفون بالله فقط لأنه هو الظاهر والباطن، قيسها المجنون نسبة إلى قيس بن الملوح مجنون ليلى وهو مثال في الحب واعتاد الشعراء تسمية محبوبتهم بليلى والصوفية منهم أطلقوا اسم ليلى على الحضرة الإلهية أو الحضرة النبوية. الشمس رمز لنور الله عز وجل والهلال رمز للمخلوقات وبالأخص الإنسان وأحيانًا للنبي صلى الله عليه وسلم في رحلة المعراج والظلال للحجب بين العبد ونور ربه ويؤكد هذا قوله جلت عن التمثال أي تعاظمت وتعاملت عن التصوير والخيال، فهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار، العرجون إشارة لقوله تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وهو من أجزاء النخيل والمقصود انطفاء نور الهلال في نور الشمس كفناء شهود ذات العبد في وجود الحضرة الإلهية كنسبة المحدث إلى القديم ، وعمومًا الأبيات إشارة لمفهوم وحدة الوجود. سطور الوجود هي الكون فهو القرآن المخلوق كما يقال. نقطة التعيين هي محمد صلى الله عليه وسلم وهو الإنسان الكامل وقطب الأنبياء الذي قال عنه الله (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) فالله الكامل اطلع على خلقه كلهم في أكمل صورة لهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم. عهد كن فيكون يقصد ميثاق الذر الأول وهي إشارة للحديث (كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين).

..

التيجاني

الانتشار الواسع الكثيف للإسلام في أفريقيا يرجع للطرق الصوفية الفضل الأكبر فيه، ومن أهم الطرق وأوسعها انتشارًا الطريقة التيجانية 97،أسسها الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني الذي ولد عام ١١٥٠في قرية عين ماضي في منطقة الأغواط في الجزائر، و المتوفى عام ١٢٣٠ هجريًّا في فاس بالمغرب، وحفظ القرآن الكريم كما درس العلوم الشرعية وارتحل متنقلًا بين فاس، وتلمسان، وتونس، والقاهرة ومكة، والمدينة المنورة، ووهران وأهل هذه الطريقة كباقي الطرق الصوفية يجيزون التوسل بذات النبي، وقد بدأت هذه الطريقة في مدينة أبي سمغون، وصار لها أتباع في الجزائر والمغرب وتونس ومصر وفلسطين والشام والسودان والسنغال ونيجيريا.

ومن أهم الأوراد والأذكار عند الطريقة التيجانية صلاة الفاتح التي يعتقدون أن الشيخ تلقاها روحيًّا:98

اللهم صل على سيدنا محمد حقيقته صلى الله عليه وسلم تستغرق الوجود كله أزلًا و أبَدا استغراق المعنى للكلمة، إذ هو معنى "الكلمة الوجودية" (نور الأكوان المتكونة) القائم بالذات والفائض عنها. ومن المعلوم أنه ليس هناك فاصل زماني أو مكاني بين الكلمة ومعناها ، فالكلمة ظاهر المعنى والمعنى باطن الكلمة) الفاتح لما أغلق (لما كان كل معنى قائم بالذات يطلب الظهور في كلمات تظهره و تعبر عنه وإلا بقي غيبًا مطلقًا ، كان الأمر كذلك بالنسبة للمعنى القائم بالذات الإلهية (وتمثله الحقيقة المحمدية) احتاج إلى كلمات تظهر وتعبر عنه، قامت على إثره المشيئة الأزلية بفتح قاموس الإمكان المغلق لتختار منه الكلمات (الموجودات الكونية) الدالة على هذا المعنى ، فكان صلى الله عليه وسلم هو البذرة التي تفتحت منها شجرة الوجود والخاتم لما سبق (إن المعنى الذي يلبس لباس الكلمات يبقى قائمًا في نفس المتكلم بعد فناء

---

[97] ويكيبيديا الموسوعة الحرة ،الطريقة التيجانية

[98] المريد التيجاني

https://attijania.blogspot.com/?m=1

الكلام . فإذا كانت الحقيقة المحمدية هي بذرة شجرة الوجود فهي أيضا ثمرتها) وذلك أن الحقيقة المحمدية هي ومضة من بريق الذات المتلألئ والمتجدد على الدوام (إفاضتك منك إليك) يستغرق لمعانه الخاطف "حينًا من الدهر" يقاس بملايين السنين بالعمر الكوني .

فزجاجة الذات التي "يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار "من شدة صفائها ينبعث منها لمعان دائم ومتجدد (الياقوتة المتحققة) لا ينسحب عليه لا الزمان ولا المكان (ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكان) وهو النور المحمدي المنبعث من الذات . لأنه لا يستقيم القول بأن الزجاجة كانت لا تكاد تضئ وأصبحت تكاد تضئ. فلمعانها مرتبط بها بلا قبل ولا بعد لأن القبل والبعد مفهومان زمنيان مرتبطان بالوجود الكوني. فهي تكاد تضيء أي تلمع أبدًا وأزلًا ولمعانها منها وفيها، وليس هناك أي فاصل زمني تقتضيه السببية بين الزجاجة ولمعانها. فلا زمان ولا مكان ولا سببية وإنما هناك اللمعان المطلق للذات .وهذا اللمعان الصادر عن الزجاجة باطنه المواجه للذات في ثبوتها المطلق هو الوجه الأحمدي للحقيقة المحمدية، وظاهره المواجه للوجود هو وجهها المحمدي) ناصر الحق بالحق (الإشارة هنا إلى تجلي الصفات والأسماء الإلهية في الحقيقة المحمدية ثم سريانها في الوجود ، ثم تمظهرها في الأفعال التي تعتبر الحلبة التي تتفاعل فيها الأسماء بعضها مع بعض لتنصر الحق بالحق إشارة إلى أن احتكاك الأسماء الإلهية بعضها ببعض هو من أجل إبراز الذات في مرتبة ألوهيتها والتي تقتضي موجدًا وموجودًا ، وإلهًا ومألوهًا) والهادي إلى صراطك المستقيم (أي أن معنى "الكلام الوجودي " الذي هو الحقيقة المحمدية هو معنى دال على الذات في مرتبة ألوهيتها وهادي إليها، لأن المتكلم إنما يتكلم ليعبر بكلامه عن نفسه وإظهار ما تتحلى به من صفات الجلال والجمال والكمال) وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم قدره صلى الله عليه وسلم الحقيقي لا يمكن قياسه بالموازين الكونية التي تبقى مقيدة بقيد الوجود الذي لا يعتبر سوى مقياس الكم، لذلك ترك تقديره لله تعالى فقال "حق قدره" إشارة إلى العجز عن تقدير قدره الحقيقي بالمقاييس البشرية ، بينما مقداره القابل للقياس الوجودي فوصفه بالعظمة.

وإذا كانت هذه الصلاة لا يعرف قدرها إلا الله تعالى فصلاة الله على صاحبها في المقابل لا يعرف قدرها أيضًا إلا الله تعالى، وكذا ثوابه عليها. وهو ما أشار إليه الشيخ رضي الله عنه في "جواهر المعاني " بقوله: " لو اجتمع أهل السماوات السبع وما فيهن والأرضين السبع وما فيهن على أن يصفوا ثواب الفاتح لما أغلق ما قدروا)، ويعتبر التيجانيون أن صلاة الفاتح من كلام الذات لا من حيث حروفها اللفظية الحادثة ولكن من حيث معانيها القائمة والصادرة منها..

إدريس شاه

لما دخل الإسلام وسط آسيا وهي أرض الحكمة القديمة حيث بلاد الهند وباكستان وأفغانستان، وهي قلاع إسلامية قدمت للدين خدمات جليلة وتفوق فيها أعداد المسلمين أعداد العرب. والحقيقة أن المسلم العربي عندما يتلقى دينه من غير عربي فهو دليل نبوغ وتفوق، وترجمة أعمال إسلامية للعربية حتى يستفيد منها العرب هو خير دليل واعتراف بعلم وحكمة هذا العالم. ومن هؤلاء الذين أخذوا الإسلام مأخذًا عالميًّا وجمعوا بين حكمة العالم القديم وبين علوم التصوف الإسلامي ووضعوها في أطر الحكمة العالمية حتى صار غير المسلم يأخذ منها، كان الكاتب والفيلسوف الإسلامي الكبير إدريس شاه[99] رحمه الله. ولد إدريس شاه في الهند ١٩٢٤ وتوفي ١٩٩٦، لأسرة من أصول أفغانية، وقد نشأ وتربى في لندن، ومن هناك كانت الانطلاقة لهذا الحكيم الفيلسوف المتصوف السني الذي أبهر الغرب، وقدم صورة مغايرة للعالم المسلم التقليدي، مما جعله قريبًا من الانتشار الدولي، مؤلفاته بالإنجليزية ومؤسسته الخيرية ومضمون كتبه التي مزج فيها بين المفاهيم الروحية الحديثة المتطورة وبين حكم الشرق مع حفاظه على روح التصوف الأصيلة التراثية كالتي أرساها منصور الحلاج رحمه الله، فقد عبر إدريس شاه في كتبه التي ترجمت إلى ١٢ لغة وبيعت منها ١٥ مليون نسخة عن روح التصوف الحقيقية التي هي جوهر السلام الداخلي والروحانية ومعرفة الحقائق المجردة في الكون والتأمل والتفكر والسكينة. فقد وضع طريقًا لأن التصوف هو قلب الإسلام الحيوي ونبعه المتجدد الذي يرسم خط العلاقة بين الإنسان والخالق وباقي المخلوقات، وارتكزت فلسفة إدريس شاه على أن التصوف كمفهوم موجود في الطبيعة البشرية كغريزة؛ لأن محبة الخير موجودة في كل إنسان بل في كل مخلوق، والتصوف موجود في كل الأديان السماوية والأرضية أيضًا، ولكن بصور مختلفة الهدف منها السيطرة على النفس وترشيد شهواتها للحصول على الارتقاء الروحي، فالتصوف ليس ديانة أو عبادة أو فلسفة بل هو أعمق من ذلك، هو منهج في الحياة، وتتجلى عظمة الإسلام في أنه وضع لهذا المنهج والسلوكيات قواعد وأسس فصارت علمًا وله طرق ومدارس، ويرى إدريس شاه أن التصوف هو أحد أشكال الحكمة الخالدة والأزلية أيضًا، وأبرز كتب إدريس شاه: الصوفيون، حياة الصوفي أو طريق الصوفي، أخبار حكماء الشرق، وقدم ترجمة جديدة لرباعيات عمر الخيام.

---

[99] ظل الإله وهراوة الرب، كريم الجمال

لم تكن باكستان بعيدة عن إسهاماتها في الجانب الحضاري الإسلامي ومنها الجانب الشعري والأدبي المرتبطة بمعاني التصوف والعشق الإلهي والمدائح النبوية، وكان الفيلسوف وشاعر الإسلام محمد إقبال أحد هذه النماذج. 100

ولد في ٩ نوفمبر ١٨٧٧ في سيالكوت في البنجاب وتوفي عام ١٩٣٨، وكتب بلغات متعددة ودرس في الجامعات الغربية وحصل على الدكتوراة من ألمانيا انتشرت أشعاره وحكمه في العالم أجمع

غنت له أم كلثوم إحدى قصائده وهي حديث الروح ومنها

من قام يهتف باسم ذاتك قبلنا

من كان يدعو الواحد القهارا

عبدوا الكواكب والنجوم جهالة

لم يبلغوا من هديها أنوارا

هل أعلن التوحيد داع قبلنا

وهدى القلوب اليك والأنظارا

ندعوا جهارًا لا إله سوى الذي

صنع الوجود وقدر الأقدارا

[100] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، محمد إقبال

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A5%D9%82%D8%A8%D8%A7%D9%84

101

ولا دنيا لمن لم يحيي دينا

ومن رضى الحياة بغير دين

فقد جعل الفناء له قرينا

وللتوحيد للهمم اتحاد

ولن تبنوا العلا متفرقينا

ألم يبعث لأمتكم نبي

يوحدكم على نهج الوئام

ومصحفكم وقبلتكم جميعًا

منار للأخوة والسلام

وفوق الكل رحمان رحيم

إله واحد رب الأنام

..

[101] ويكيبيديا العربية الحرة ،قصيدة حديث الروح

محمد بن علوي المالكي

ورد في الأثر (الإيمان يماني، والحكمة يمانية)، ومن أشهر مواطن الحكمة كانت حضرموت، وتعتبر مدرسة حضرموت مركزًا صوفيًّا علميًّا أصيلًا، وتمثل تريم أحد مراكزها، ومن أشهر علمائها المنتشرين في العالم السادة آل باعلوي ومنهم مجدد طريقتهم السيد عبد الله بن علوي الحداد. ولد 102الإمام الحداد في قرية السير عام ١٠٤٤هـ الموافق ١٦٣٤م وابتلاه الله بفقدان البصر قبل العاشرة من عمره وعوضه الله عنها بنور البصيرة والذكاء الحاد وشدة وسرعة الحفظ والإقبال على العلوم والمعارف، حفظ القران في سن مبكرة واستوعب كثيرًا من العلوم والمعارف الشرعية وبرز على كل أقرانه وظهر نبوغه مبكرًا فتصدر للتدريس والتأليف وهو دون العشرين.

اتخذ من ضاحية (الحاوي) في مدينة تريم مستقرًا ومقامًا، فكان الحاوي في عصره بمثابة جامعة كبرى لِبَثِّ علوم الشريعة المطهرة، ومنارًا لمجالس العلم وحلقات الذكر ومرتعًا للتربية والسلوك، وكان مشتغلًا فيها بالتعليم والتعلم والتربية والدعوة والتأليف والذكر والعبادة حتى وفاته عام ١١٣٢هـ – الموافق : ١٧٢٦م .

كان رحمه الله مرجعًا لعلماء عصره من الفقهاء والمحدثين والمؤرخين، وهذا العلم والحكمة التي فجر الله بها ينابيعها من صدره كان نتاج استقامة وجهد ودراسة علمية على يد كثير من الشيوخ العلماء الربانيين، حيث بلغ شيوخه المائة.

أما تلامذته فلم يحصر مؤلف على كثرتهم إذ ذاع صيتهم وانتشرت شهرتهم ونفع الله بهم.

---

[102] ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، عبدالله بن علوي الحداد

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87_%D8%A8%D9%86_%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AF

وقد وفد إليه العلماء وطلاب العلم من مناطق شتى منهم مفتي بغداد الشيخ /أحمد الرّحبي والشيخ أبو الفتوح الشامي، والشيخ زين العابدين الدمشقي من حلب.

وقد شهد بفضله وعلمه وصلاحه علماء عصره ومن جاء بعدهم من المفسرين والمحدثين وتناولت ترجمته كثير من كتب التراجم والتاريخ وأفرد له بعض تلامذته كتابًا خاصًّا بالترجمة، ومن المتأخرين كتب عنه الدكتور مصطفى بدوي من مصر كتاب بعنوان (الإمام الحداد مجدد القرن العشرين) كما خدم كتبه ومؤلفاته الشيخ العلامة مفتي مصر السابق حسين محمد مخلوف ، وللسيد العلامة حسين بن محمد الهدار كتاب قيم عن ديوانه مطبوع بعنوان (رحلة في ديوان الإمام الحداد).

آثاره العلمية :103

سخّر الإمام الحداد جهده في التأليف والنظم والشعر وسائر نشاطاته للدعوة إلى الله على بصيرة منيرة حيث كان الإمام الحداد من قادة الفكر ودعاة الإصلاح، وقدم للمكتبة الإسلامية كثيرًا من المؤلفات التي لا يستغنى عنها الفقيه والسالك وهي كثيرة والمطبوع منها بين أيدينا ينيف على ثلاثة عشر مؤلفًا، منها:

١ـ النصائح الدينية والوصايا الإيمانية

٢ـ الدعوة التامة والتذكرة العامة

٣ ـ رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة

٤ـ سبيل الادكار والاعتبار بما يمر بالإنسان وينقضي له من الأعمار

[103] نفس المصدر السابق

104

الشعر الدعوي للإمام الحداد :

للإمام الحداد ديوان شعر سماه (الدر المنظوم لذوي العقول المفهوم) يحتوي على مئة وخمسين قصيدة ، ويضم أكثر من ألف بيت من الشعر لأنه منظوم على مختلف البحور الشعرية وأوزان الموشحات التي انتشرت بين الناس ويرددها العام والخاص في المناسبات والمواليد لما فيها من ابتهالات ودعاء ووعظ وإرشاد ، كما يصدح بها أهل السماع ومجالس الذكر والعلم في حضرموت وغيرها حيث امتازت بجمال أوزانها وتنوع إيقاعها وأصواتها وسمو معانيها وسهولة كلماتها ، وأشعاره كلها مليئة بالحكمة والموعظة والدعوة إلى مكارم الأخلاق والسموّ الروحي والعاطفي .

وتبعه في ذلك استكمالًا لسيرة الأسرة الكريمة محمد بن علوي بن عباس المالكي (١٣٦٧ – ١٤٢٥ هـ): من أئمة المذهب المالكي، ويُلقب بمحدّث الحرمين. تنقّل بين الكثير من الحواضر.

مولده ونشأته

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٦٧ هـ ونشأ بها نشأة إسلامية علمية صوفية في كنف والده الإمام علوي بن عباس المالكي، وترعرع في رحاب حلقات العلم بالمسجد الحرام، فحضر كبار العلماء بالحرمين الشريفين وتوجه إلى تحصيل العلوم الشرعية الإسلامية حتى أضحى من أهم علماء الحديث في عصره

تعرض الصوفية والأشاعرة في بلاد الحرمين خصوصًا في منطقة الحجاز لضغوط شديدة بعد إقامة الدولة السعودية نظرًا لسيطرة المذهب الحنبلي و معارضة الفكر الوهابي لهذه الأفكار وصلت حد التكفير الاتهام بالشرك والتبديع والتفسير نظرًا للخلاف السياسي بين حكام الحجاز من الهاشميين وصراعهم مع الملك عبد العزيز آل سعود قبل تأسيس المملكة وكذلك صراع الأسرة السعودية ومعهم أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي مع الدولة العثمانية، وبالتالي تعرض الهاشميون ومنهم آل باعلوي لنفس الحالة ولكن مع انتشار العلم الشرعي

[104] موقع محافظة حضرموت اليمنية عن الامام عبد الله بن علوي الحداد

والحوار بين المذاهب والأفكار تحسنت الأحوال بحيث استطاعت أصوات الاعتدال حفظ التنوع الفكري والعلمي والمذهبي الإسلامي. وقام السيد محمد باعلوي المالكي 105بهذا الدور حفاظًا على تلك المدرسة الإسلامية الأصيلة.

مكانته في العالم الإسلامي

يعتبر الكثير من المتخصصين والمهتمين بالتعليم الديني أن محمد علوي المالكي من كبار المحدثين المعاصرين ويلقبونه بـ"محدث الحرمين".

من أهم فقهاء مكة المكرمة على المذهب المالكي وعقيدة أهل السنة والجماعة وفق المدرسة الأشعرية.

كانت له حلقة شهيرة في المسجد الحرام بمكة المكرمة تعتبر امتدادًا لأكثر من ٦٠٠ سنة من تدريس أجداده، ويعتقد البعض أن سبب توقفها يرجع إلى إقصائه من قبل علماء آخرين من السعودية على علاقة بالمؤسسة الدينية الرسمية لكونه لا يتفق مع منهجهم، وقد تعرض للتحقيق والمتابعة أكثر من مرة من قبل هذه الجهة، وربما يؤكد هذا أن أغلب مؤلفاته طبعت خارج السعودية.

تحصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بمصر.

منحته جامعة الأزهر درجة الأستاذية الفخرية (بروفيسور) في ٢ صفر ١٤٢١ هـ (٦ مايو ٢٠٠٠) بناء على ما تضمنه التقرير المفصل من تقييم علمي للأبحاث والمؤلفات المقدمة على المستوى العلمي الأكاديمي في مجال التخصص الدقيق وذلك باسم الجامعة الإسلامية الحكومية بقدح دار الأمان بماليزيا.

انتخب رئيسًا للجنة التحكيم الدولية لمسابقة القرآن الكريم أعوام ١٣٩٩ هـ، ١٤٠٠ هـ، ١٤٠١ هـ، وهو أول رئيس لها.

أقام أكثر من ثلاثين معهدًا وثلاثين مدرسة في دول شرق آسيا وجنوبها.

---

[105] نفس المصدر السابق ، ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، محمد بن علوي المالكي

ظل مجلس درسه على الدوام حافلًا بالشباب والشيوخ إلى جانب المجاورين من الطلاب وبالأخص القادمين من جنوب آسيا الذين كان يتكفل بإيوائهم وتدريسهم أصول الدين والفقه وعلوم الحديث وقواعد اللغة العربية ليتأهلوا كدعاة للإسلام في بلدانهم.

ألقى العديد من المحاضرات بالإذاعة وخاصةً البرنامج العام ونداء الإسلام.

شارك في المواسم الثقافية برابطة العالم الإسلامي كما شارك في العديد من الندوات الدينية داخل السعودية وخارجها.

صدر عنه كتاب يتناول حياته وفكره وعلمه وآثاره بعنوان: «المالكي عالم الحجاز» من تأليف زهير جميل كتبي

كتب الشيخ قصيدة شهيرة عن كتب الحديث الشريف والمحدثين:106

توسلت بالمختار خير الوسائلِ

وباب لمحتاج ضعيف وآملِ

به تنقضي الحاجات إذ هو قاسم

لكل عطاء خير كاف وكافل

دخلت عليه بالبتول وأمها

وبالفارس الكرار حامي المنازل

وبالكتب الغراء تروي حديثه

ومن قد رواها من رجال أماثل

[106] منتدى الختمية ،قصيدة التوسل بكتب الحديث

http://www.khatmiya.com/vb/showthread.php?t=7091

بجاه موطأ مالك وهو عالم

المدينة جاء القول عن خير قائلِ

أبو العلم والآثار ليس لغيره

كلام ولا فتوى لحل مشاكل

بجاه إمام الرأي سيدنا أبي

حنيفة باب للدفاع المجادل

روينا مسانيدًا له عن أئمة

أجازوا لنا حقًا فخذ وتناولِ

بجاه الإمام الشافعي وما روى

من السنن الغراء نور المناهل

وبالمسند المشهور مسند أحمد

أبي السنة الشيخ الجليل المناضل

إلى مالك عنه روينا مسلسلا

من الذهب الصافي أصح السلاسل

فأحمد ثم الشافعي فمالك

إلى نافع راوي الحديث المواضل

فمولاه عبد الله يأتي مسلسلا

عن المصطفى المختار زين المحافل

بجاه أمير المؤمنين حبيبنا

بخارينا شيخ الرجال الأوائل

وجامعه المعروف بالصحة الذي

تربع في أوج العلى والمنازل

وبالحافظ المعروف بالضبط مسلم

وجامعه ثاني الصحاح الحوافل

وبالسنن الغرا التي قد أتت لنا

رواها أبو داود فاحفظ وقابل

وبالجامع الحاوي لسنتنا التي

رواها عن المختار رأس الجحافل

رواها أبو عيسى الشهير بترمذ

بها قد توسلنا كذا بالشمائل

توسلت بالشيخ النسائي وما روى

من السنن الزهراء نور المحافل

توسلت بالشيخ الجليل ابن ماجة

وما قد روى من سنة وفضائل

بجاه الإمام الدارمي وما روى

من السنن اللاتي أتت كالمشاعل

بمستدرك الشيخ الكبير الذي دعي

بحاكم نيسابور فابحث وسائل

وبالسنن الكبرى لحافظ بيهق

كذا بكتاب في الدلائل حافل

وبالحلية المعروف والجامع الذي

حوى لكرام الأولياء الكوامل

أئمة ذاك العهد من كل عارف

بهم قد توسلنا كذا بالدلائل

ونختم هذا بالشفا وعياضه

أبي الفضل والإخلاص قاضي المسائلِ

..

علي عبد العزيز مزيود

من أبرز الأسماء على الساحة الشعرية الصوفية الحالية الشاعر السيد علي عبد العزيز مزيود، الملقب بشاعر الحب الإلهي وشاعر آل البيت. وله قصائد شهيرة كما غنى له المادحون أمثال الشيخ ياسين التهامي، والفنان عامر التوني مؤسس المولوية المصرية ومنها قصيدة يا رفاق الصبر.107

يا رفاقَ الصبرِ في حكمِ القدرْ هل لنا من منصفٍ يجلو الخبرْ

أين كان الحبُّ أو كيف ظهرْ. سحرُ لحظٍ أم عن الغيبِ صدرْ

قيلَ كان الحبُّ من قبلِ البشرْ حيثُ لا شغلٌ ولا قيدُ صورْ

هامتْ الأرواحُ من غيرِ حذرْ في جمالٍ لاحَ يوماً واستَتَرْ

نحن في الأشباحِ نقتصُّ الأثرْ. ما بدا في هيكلٍ إلا قهرْ

ضلتْ الألبابُ بل زاغَ البصرْ عينُ سرٍّ مسَّ قلباً فاستعرْ

وانجلَى لي في أنا ظلٌّ وحرْ. فَرطُ وجدٍ إذ بدا لي بي أضرْ

وانجلَى في أينما فاشهدْ وقرْ ظاهرٌ دومًا بخيرٍ أو بشرْ

ويلُ نفسي كدتُ تُصليني سقرْ أوهمتني سوَّلتْ لي لم تذرْ

أشرقِ روحي فإنّي في خطرْ أدركي ركبي فقد حانَ السفرْ

كم أنادي من على هجري أصرْ. تاركًا قلبي لصبرٍ أو أمرْ

---

107 مدونة الشاعر علي بن عبد العزيز

http://iam3li.blogspot.com/?m=0

يصطلي مرَّ احتجابٍ لا يذرْ طينتي كوني كماءٍ لا حجرْ

أيُّ قلبٍ ملَّ صبرا وازْدَجَرْ. بعدما أضناهُ وجدٌ فانكسرْ

أدمنَ الشوقَ وبالسلوى كفرْ ما سبيلي ؟ حيرةٌ .. ما من مفرْ

لا تلوموني فكم للحبِّ خرْ جاثيًا سيدُ بدوٍ أو حضرْ

بعتُ عمري كي أرى بعد الضجرْ بعد ما ذقتُ ارتطاماتِ الفكرْ

أن ركضي خلفَ زعمٍ منتظرْ ليس إلا بعض أوهام البشر

والدوا شاهدته رأي النظر. عندما أُدخلتُ من بابٍ أغرْ

بابُ آلِ المصطفى خيرُ الدررْ والتزمتُ الشكرَ إذ زال الكدرْ

واعتزمتُ السيرَ في هديِ القمرْ سيرةُ الهادي وذي أزكَى السيَرْ

ومن ديوان غدا آتيك، قصيدة غدا آتيك 108

غدًا آتيكَ يا مولايَ فردا

وذنْبِي فوقَ أنْ أُحصِيهِ عدًّا

وما لِيَ غيرَ حسنِ الظنِّ زادٌ

بهِ أرجو منَ الرحمنِ وُدًّا

وما ثِقَتِي بظني أرتَضِيهَا

وأخْشَى أنَّني نافَقتُ جدًّا

وكلُّ بضاعتَي ضعفٌ وعجزٌ

---

[108] نفس المصدر السابق

وآمالٌ تمدُّ النفسَ مدًّا

وأحسَبُ أنني آتٍ فقيرا

فضعْ بيني وبينَ النارِ حدًّا

ومن روائعه وإبداعاته:

دمعي عَصِيٌّ في هواكَ وطَيّعُ ..... بين التجلُّدِ والخضوعِ موزَّعُ

الشوقُ يدعو دمعتي فتجيبُهُ ..... ويكفُّها الصبرُ الجميلُ فترجعُ

أهفو إلى العهدِ القديمِ وموقعي ..... يومَ الشهودِ فلا يَسَعْنِي موْقعُ

وأحومُ حولَ حِما الجمالِ تصدُّنِي ..... حُجُبُ الكمالِ تقولُ عزَّ المَطْمعُ

وتقولُ لي الْزَمْ مقامَ مذلةٍ ..... ما عاشقٌ من ليس عِنْدِيَ يخضعُ

للأمرِ أَجْبُنُ طائعًا لا حولَ لي ..... وأنا الذي في كلِّ بأسٍ أشجُعُ

ويَلَذُّ لي قَيْدُ الحجابِ وذِلتي ..... وتسهُّدِي حينَ الخلائقُ هُجَّعُ

وَوَجِيبُ قلبي عندَ مَسْمَعِ عاذلِي ..... مُتَزَايِدٌ ونُحُولُ جِسْمِيَ أشْنَعُ

يا لائِمي ولوِ اطَّلعتَ معي ترى ..... يومَ العُهُودِ لظلَّ طَرْفُكَ يدمَعُ

ولظلَّ جفنُكَ ساهرًا متأرقًا ..... ولظلَّ قلبُكَ عالقًا يتوجَّعُ

يا عاذلي دعني فما ليَ رجعةٌ ..... دون الهلاكِ وليس مثليَ يرجِعُ

قالوا بهذا البابِ عمرُكَ ضائعٌ .....ولئن أشكُّ به فإنيَ أضْيَعُ

هبني جُنِنْتُ فما يقولُ عوازلي ..... عنِّي سِوَى أضْحَى فلانٌ يُصْرَعُ

لو في جنوني بالهوى ثمنُ الرِّضا ..... لَوَجَدْتُه ثمنًا قليلًا يُدْفَعُ

نورٌ جمالٌ أخْذُهُ ليَ مُدْهشٌ ..... يسْتَلُّ ذاتِي من كِيَانِي يَنْزِعُ

عن هذه الدنيا يغيبُ بخاطِري ..... في بُعْدِهِ السَّامي أطوفُ وأرتَعُ

وأُزِيلُ عن نفسي مقاصِدَها التي ..... قد عوَّقَتْها بالرُّسُومِ وأخْلعُ

فَتُصَمُّ أُذني عن نداءِ مُحَدِّثِي ..... ولِلَحْنِهِ الْعُلْوِيِّ أُنْصِتُ – أسمعُ

وبصفحةِ المحرابِ يُشرقُ نورُه ..... فأخِرُّ أَسْتَجْدِي رضاهُ وأركع

وعلى معارجِ سجدتي أغشى السُّها ..... والحبُّ يرقَى بالمُحِبِّ ويرفعُ

يحلو به حالي على مُرِّ النوَى ..... وأُطيقُهُ صبرًا وغيرِيَ يجْزعُ

وأسيرُ بين الناسِ سيرةَ مِثْلِهِمْ ..... أُخْفِي جَوَايَ وما تُكِنُّ الأضالعُ

وتستُّرِي يُزْكِي سعيرَ محبتي ..... وأنا لبلوى الحبِّ لا أتزَعْزعُ

فعسى المحبُّ يصيرُ محبوبًا عسى ..... ولعل صبريَ في الهوى لي ينفعُ

هيا اخلعوا عنكمْ عَوَالِقَ غفلةٍ ..... وتَحَقَّقُوا فالموتُ يوماً يفجِعُ

***

محمد زكي إبراهيم

في العصر الحديث حافظ العلماء على نفس السيرة الحسنة والمسلك الحميد لجهود السابقين ومنهم فضيلة الشيخ محمد زكي إبراهيم 109رحمه الله شيخ الطريقة المحمدية الشاذلية، وانتقل إلى رحمة الله عام ٢٠٠٨ وهو رائد العشيرة المحمدية ومجدد علوم التصوف السني في العصر الحاضر لينقيها من الشوائب والشركيات والدجل والمخالفات، وقام بتوحيد العشيرة المحمدية لتكون جبهة السادة الأشراف من نسل آل البيت في خدمة قضايا أمتها وعملًا لعزة الإسلام والمسلمين، ونشر العلوم الشرعية. لقب الشيخ بزكي الدين وأبي البركات، وهو حسيني النسب أبًا وأمًا، وكان ممن صدق فيهم الحديث (خير الناس من طال عمره وحسن عمله) وقال تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا) وقد حصل على شهادة العالمية عام ١٩٣٠، وكان الشيخ رحمه الله غزير الكتابة والإنتاج الفكري في كافة المدونات والمطبوعات الإسلامية، مما حقق له انتشارًا واسعًا بالذات بين الشباب، وأسس المؤتمر الصوفي العالمي مما كان له صدى دولي واسع في محاولاته لإعادة الرونق للتصوف السني، وأسس مؤسسة المرأة المسلمة، ومن كتبه: أبجدية التصوف الإسلامي، الأربعون حديثًا ردعًا للطوائف المكفرة الآثمة، أصول الوصول، حياة الأرواح بعد الموت، الخطاب، وله دواوين شعرية راقية ومنها ديوان البقايا وديوان المثاني، ومن كتبه أيضًا عصمة النبي ونجاة أبويه وعمه، قضية الإمام المهدي، الإفهام والإفحام، قضايا الوسيلة والقبور، ومن أقواله المأثورة :110

(ليس التصوف رقص الراقصين ولا طبل وزمر وتصخاب وتهييج، ولا هو الذكر بألفاظ ساذجات محرفات ولا صعق وتشنيج ومواكب رايات ملونة فيها ما يغضب الديّان –الله – ولا هو العمة الكبرى ولا سِبَح حول الرقاب والتعطل وادعاء الولاية، ولا نسب البهتان إلى النبي ولا مظاهر آثام الموالد أو تكاثر برجال خيرهم عوج أو فلسفات فارغة يتناقلونها كالببغاوات، وإن الصواب والحق وحده فقط هو ما جاء به النبي، وإن التصوف الحقيقي الصحيح هو سر الله يمنحه من قد أحب، وهو أخلاق ومعرفة وذكر وفكر وتأمل وروحانية، فالتصوف هو فقه الدين قاطبة، وهو مربوط موثق بالقرآن، والتصوف هو تحقيق الخلافة في أرض الله).

---

[109] ظل الإله وهراوة الرب ، كريم الجمال

[110] ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، محمد زكي ابراهيم

111

يا ولدي: الشَّريعةُ جاءت بتكليف الخَلْقِ، والحَقِيقَةُ جاءت بتعريف الحَقِّ. فالشَّريعَةُ أن تَعْبُدَهُ، والطريقةُ أن تَقْصِدَهُ، والحقيقةُ أن تَشْهَدَهُ. ثُمَّ إنَّ الشَّريعَةَ قيامٌ بما أمر به وبصَّر، والحقيقةَ شهودٌ لما قضى وقدَّر. وهذا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: الشَّريعةُ أقوالُهُ، والطَّرِيقَةُ أفعالُهُ، والحقيقَةُ أحوالُهُ. فشريعَةٌ بلا حقيقة: عاطلة، وحقيقةٌ بلا شريعة: باطلة، ولهذا قالوا: "من تشَرَّع ولم يتحقَّق فقد تعوَّق أو تفسَّق، ومن تحقَّق ولم يتشرع فقد تهرطَقَ أو تزندق".
واعلم – يا ولدي – أنَّ الشريعةَ ليست إلا الحقيقة، والحقيقة ليست إلا الشريعة، فهما شيءٌ واحد، لا يتمُّ أحَدُ جزأيه إلاَّ بالآخر، وقد جمع الحقُّ تعالى بينهُمَا، فمحالٌ أن يفرق إنسان ما جمع الله. ثُمَّ تأمل – يا ولدي – قولك (لا إله إلاَّ الله) هذه حقيقة، (مُحَمَّدٌ رسُولُ الله) هذه شريعة. فلو فرَّق بينهما أحدٌ هَلَكَ، فإن من ردَّ الحقيقة: أشْرَك، ومن ردَّ الشريعة: ألْحَد. ثُمَّ تأمَّلْ قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} تجد الشريعة، {وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} تجد الحقيقة، وهما شيءٌ واحد يستحيل طرح أحد جزأيه.. عبادةُ العبد: ظاهر الأمر، وإعانة الله: باطِنُهُ، ولا بُدَّ لكل ظاهر من باطن، كالرُّوح في الجَسَد، والماء في العود. الحقيقة من الشَّريعَةِ، كالثَّمَرَةِ من الشَّجَرة، والأريج من الزَّهْرة، والحرارة من الجمرة، فلا بُدَّ من هذه لتلك، فاستحال قيام حقيقة بغير شريعة.

إن الأسماء الحسنى هي صفات الله وصفات الله كلها سرمدية عاملة غير عاطلة، فكل ذرة في الكون الأعظم إنما هي تحيا في هيمنة فلك اسم معين من أسماء الله، سواء في ذلك عوالم الملك أو الإنسان، أو الجن أو الحيوان، أو النبات أو الجماد أو عالم الغيب.

يا ولدى: غاية كل متحرك إلى سكون، ونهاية كل متكونٍ ألا يكون، فإذا كان ذلك كذلك، فلم التهالك على الهالك؟!

وعندما اتهم بعضهم الشيخ بأنه شيخ أزهري (معمم ومقفطن) لا يدري من علوم الدنيا شيئًا؛ إذا بالشيخ يرد عليه بما نصُّه: «كتب إليَّ كاتب، يُعَنفني بأنني أحبس نفسي في قمقم التصوف، وأتقوقع في صدفة التدين المتأخر، وأعيش متخلفًا في عصور الجمود الماضية، بينما نحن في عصر تقدمي متحضر لم تعرفه دنيانا من قبل ... إلخ. والذي أحب أن يعرفه هذا الأخ وأمثاله، أنني وأنا رجل معمَّم مقفطن لا أزال أثقف نفسي، وأزودها بكل ثقافة من المشرق أو المغرب، باحثًا عن الحكمة، جاريًا وراء الحقيقة، كلما أذنت لي صحتي وأوقاتي وقدرتي. فكما أقرأ تاريخ

---

[111] نفس المصدر السابق

الإسلام والفلسفة وتدرج المذاهب، ونشوء الفرق والنحل، وأتابع الصوفية والسلفية، وتطور تاريخ المسلمين، وأتابع أدباء العرب وقصَّاصيه وناقديه ومهرّجيه ومفسديه. كذلك أدرس ملامح الفن القوطي وتدرجه إلى الريسانس، إلى الكلاسيكية القديمة فالجديدة، إلى الرومانتيكية، إلى التأثرية، إلى الواقعية، إلى الرمزية، إلى الالتزامية، إلى التجريدية، حتى بيكاسو في التصوير، وأندريه في الأدب، واسترافنسكي في الموسيقى !!. وأنا أقرأ لشكسبير، وبوب، وشيلي، وبيكون، وهيجل، وفلامريون، وجيته، ونيتشه، إلى سارتر، وسومرست موم، وبرتراند راسل، وأقرأ كذلك لرونسار، وفارلين، ورامبو، وبودلير، وأفرق بين لوحات جنيسبورو، ورينو لدزر، وأميز في مدارس الموسيقى بين صامويل جونسون، وبوالوا، إلى كل ما يتعلق بفن المسرح والسينما ... إلخ. فلست بمقمقم ولا مقوقع ولا جامد، ولا متخلف بحمد الله، إنني أعيش في عصري مندمجًا فيه ثقافة ودعوة ومعاشًا، غريب عنه أخلاقًا وعبادة واتجاهًا، ولكن على قدر مقدور لا بد منه للدعاة إلى الله.

من الحزب الصغير الممزوج للشيخ محمد زكي إبراهيم رحمه الله، وهو من جملة كلام وأدعية وأذكار شيخ الإسلام إبراهيم الدسوقي رحمه الله :112

اللهم صلِ صلاة كاملة، وسلم سلامًا تامًّا على سيدنا محمد الذي تنحل ببركته العقد، وتنفرج الكُرب، وتقضي الحوائج، وتُنال الرغائب، وحُسن الخواتيم، ويستسقي الغمام بوجهه الكريم، وعلى آله وصحبه في كل لمحةٍ ونَفَس بعدد كل معلوم لك يا حي يا قيوم، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، والأولياء الصالحين، وأشياخنا وإخواننا في الله أجمعين في السالفين والخالفين والحمد لله رب العالمين

..

112 مجموع أوراد سيدي إبراهيم الدسوقي،محمد عبد القادر نصار

صالح الجعفري

من أبرز الوجوه الصوفية المؤثرة في العصر الحديث الشيخ صالح الجعفري، فضيلة الشيخ صالح بن محمد صالح بن محمد رفاعي الجعفري الصادقي الحسيني الذي يتصل نسبه العالي بالإمام جعفر الصادق بن سيدنا محمد الباقر بن سيدنا على زين العابدين بن مولانا الإمام الحسين رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين.

113

وقد ولد الشيخ ببلدة " دنقلا " من السودان سنة ١٣٢٨ هـ ، وبها حفظ القرآن وأتقنه في مسجدها العتيق ، ثم وفد إلى مصر، ليتلقى العلوم بالأزهر الشريف ، واتصل بأهله المقيمين بقرية " السلمية " بمركز الأقصر. يقول الشيخ عن أسرته : " من بلدة الأقصر بصعيد مصر ، من القبيلة التي هي من الجعافرة ، وتسمى " العلوية " وهم مفرقون بين الأقصر والحلة والحليلة والدير، وقد قل عددهم والبقاء لله، وفى السلمية يوجد قبر جد والدي محمد رفاعي بمقبرة جد الجعافرة السيد الأمير " حمد " ، حيث كان يقيم هناك ، وللجعافرة نسب كثيرة محفوظة قديمة، ومن أشهرهم في إظهار تلك النسب أخيرًا : الشريف السيد إسماعيل النقشبندى وتلميذه الشيخ موسى المرعيابي ، ولا تزال ذرياتهم تحتفظ بتلك النسب كثيرة الفروع المباركة".

وقد أخذ الشيخ طريق الشيخ أحمد بن إدريس عن الشيخ محمد الشريف ويقول الإمام صالح الجعفري عن ذلك:114

---

[113] ويكيبيديا الموسوعة الحرة ،صالح الجعفري

[114] موقع الشيخ الجعفري ،الطريقة الأحمدية المحمدية الجعفرية

http://algaafary.com/temps/

" وقد أجازني بهذا الطريق شيخي وأستاذي مربي المريدين الشريف السيد محمد عبد العالي، عن والده السيد عبد العالي، عن شيخه العلامة السيد محمد بن على السنوسي عن شيخه العارف بالله تعالى السيد أحمد إدريس رضى الله تعالى عنه".

"قبل مجيئي إلى الأزهر جاء أحد أهل البلد بأول جزء من شرح النووي على صحيح مسلم، فاستعرته منه وصرت أذاكر فيه، فرأيت سيدي عبد العالي الإدريسي - رضي الله تعالى عنه- جالسًا على كرسي، وبجواره زاد للسفر، وسمعت من يقول: إن السيد يريد السفر إلى مصر ، إلى الأزهر ، فجئت وسلمت عليه ، وقبلت يده ، فقال لي مع حدة : " العلم يؤخذ من صدور الرجال لا من الكتب " وكررها، فاستيقظت من منامي، وقد ألهمني ربي السفر إلى الأزهر، وحضرت الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي المحدث، وهو يدرس شرح النووي على صحيح مسلم، فجلست عنده ، وسمعته يقرأ حديث " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإن استنفرتم فانفروا" رواه مسلم.

وقد تلقى الشيخ العلم بالأزهر الشريف على يد نخبة من كبار العلماء العاملين، الذين جمعوا بين الشريعة والحقيقة، ومنهم الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي، والشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ حبيب الله الشنقيطي، العالم المحدث المشهور صاحب " زاد مسلم " وغيره من المصنفات المفيدة الذي كان للشيخ معه لقاءات وكرامات ، وعن هذا يقول:

ذهبت إلى بيت الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي ، بجوار القلعة ، ناويًا بقلبي أن أستئذنه في أن أكون مقرئًا له متن حديث البخاري ومسلم ، فلما وصلت البيت بغرفة الاستقبال ، وهي أول مرة أزوره بها، جاءني بها مبتسمًا ، فلما سلمت عليه وقبلت يده ، وقال لي : أنت الذي – إن شاء الله – ستكون لي سرادًا في هذا العام ، ومعنى سرادًا : مقرئًا ، والحمد لله قد لازمته خمسة عشر سنة إلى الممات، ونزلت قبره ، ولحدته بيدي، والحمد لله ، وكنت أقرأ للإخوان الحاضرين درسًا قبل حضوره بالمسجد الحسيني، فإذا عارضني إنسان أو شاغبني يهمس لي في أذني عند جلوسه على الكرسي بقوله: يعاسكونك وأنت خير منهم، كأنه كان معي ، ثم يأتي في دروسه بكل موضوع قصرت فيه ، وقد حصل ذلك منه مرات كثيرة.

وكان إذا حصل له عذر يرسل تلميذًا أن اقرأ الدرس نيابة عن الشيخ، وفي يوم أرسل لي ورقة مكتوبة بخط يده، فيها: قد وكلتك بقراءة الدرس، فتعجبت من ذلك، لماذا غير الشيخ عادته من المشافهة إلى المكاتبة؟ وما أشعر إلا ومدير المساجد قد حضر وأنا أقرأ الدرس، فسألني: وهل وكلك الشيخ؟ قلت: نعم ، قال: وأين التوكيل؟ فقدمت له الورقة المرسلة من الشيخ ففرح بها،

ودعا لي بخير، وكانت هذه كرامة منه – رحمه الله تعالى - وغفر له، وأسكنه فسيح الجنان، فإنه كان يحبني كثيرًا ويقول لي: أنت بركة هذا الدرس ، قد أجزتك بجميع إجازاتي ومؤلفاتي.

وكان يقول لي: عليك بشرحي على زاد مسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، فإني ما تركت فيه شاذة ولا فاذة.

ومن شيوخه الشيخ يوسف الدجوى رحمه الله، الذى يقول عنه :

وكان أيضًا من العلماء العارفين، وقد لازمت درسه بعد صلاة الصبح بالجامع الأزهر الشريف بالرواق العباسي سبع سنين، وكان السيد الحسن الإدريسى إذا جاء من السودان يلقاني في درسه وبعد الدرس يسلم على الشيخ فيفرح فرحًا عظيمًا ، ويقول: السيد أحمد ابن إدريس قطب لا كالأقطاب.

وكان الشيخ الدجوى قد أخذ الطريقة الإدريسية عن شيخي السيد محمد الشريف – رضى الله تعالى عنه-115 والشيخ الدجوى من هيئة كبار علماء الأزهر، وله مؤلفات نافعة ومقالات قيمة في مجلة الأزهر الشريف، وقد حضرت عليه التفسير من سورة محمد – صلى الله عليه وآله وسلم- إلى آخر سورة الناس، قم ابتدأ شرح البخاري بعده، وكان يحفظ القرآن الكريم بالتجويد والقراءات ، ويذكر أقوال المفسرين، ويعرب الآية إعرابًا دقيقًا ويبين الألفاظ اللغوية فيها، ويتعرض للأحكام الفقهية على المذاهب ، وكان يقرأ الحديث بالسند ويترجم لرجاله ترجمة طريفة، ويذكر أقوالًا كثيرة قيمة في أدلة التوسل بالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم- ذكر أكثرها في مجلة الأزهر المسماة وقتها " نور الإسلام " .

وقد كان شيخنا – رضي الله تعالى عنه- يحضر دروس هؤلاء العلماء حضور الواعي المتفهم المحب للعلم وأهله، فكان كثيرًا ما يناقش شيوخه ويحاورهم في أدب جم، وكانوا يعجبون به وبفطنته وقوة حافظته، وحجته فيثنون عليه خيرًا ويدعون له بالتوفيق والبركة.

ويذكر لنا شيخنا – رضي الله تعالى عنه – صورة من ذلك مع شيخه الدجوي السالف الذكر، فيقول: " كان رحمة الله عليه يقرأ حديث سؤال القبر في صحيح البخاري، وكنت قد ذاكرت شرح الكرماني على البخاري، ورأيت فيه أن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم- يظهر للمسئول ،

---

[115] نفس المصدر السابق

فوكزني في صدري وقال لي: أنا ذاكرت شرح الكرماني واطلعت فيه على هذه المسألة ، لم لم تذكرني بها في الدرس حتى يسمعها منى الناس؟"

ومرة كان يتكلم على رؤية النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- منامًا فقال: " وإن الشيطان لا يتمثل به –صلى الله عليه وآله وسلم- إذا جاء في صورته الأصلية ، والمعتمد أيضًا أنه لا يتمثل به إذا جاء في غير صورته الأصلية ، فقلت له: روى شيخنا السيد أحمد بن إدريس –رضى الله تعالى عنه – في كتابه المسمى " روح السنة " أنه –صلى الله عليه وآله وسلم- قال: " من رآني فقد رآني فإني أظهر في كل صورة " ففرح فرحًا عظيمًا ، وقال لي: هذا الحديث هو الدليل على أن الشيطان لا يتمثل به –صلى الله عليه وآله وسلم – ولو جاء في غير صورته الأصلية ، أنت مبارك يا شيخ صالح ، نفع الله بك المسلمين".

ومن شيوخه الشيخ على الشايب –رحمه الله – الذى حضر عليه الشيخ شرح منظومة الشيخ اللقاني المسماة " جوهرة التوحيد " يقول عنه شيخنا:116

وكان يدرسها في أول عام حضرت فيه إلى الأزهر الشريف، وكان يدرسها غيبًا متنًا وشرحًا، وكان من العلماء الصالحين ، وكان إذا دخل قبة سيدنا الحسين –رضى الله تعالى عنه- يحصل له حال خشوع عجيب، كأنه يشاهده وينزل عليه عرق كثير، وكنت أدرس عليه شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ، وفى ليلة من الليالي رأيت النبي – صلى الله عليه وآله وسلم- في النوم وكان يحدثني في مسألة علمية أخطأت فيها ، فغضب النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- وقال لي: " يا ولد " وذلك ضمن كلام يطول، فلما أصبحت وحضرت في الدرس قلت في نفسى وأنا جالس: يقول النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- : يا ولد ، فهل أنا صغير؟ فالتفت إليَّ الشيخ – وهو يدرس – وقال: إنما قلنا لك يا ولد كعادة العرب لا لأنك صغير، وأمثال هذا الشيخ عند الصوفية يسمون أرباب القلوب، ولعلهم أن يكونوا من المحدثين الذين منهم سيدنا عمر –رضى الله تعالى عنه- كما في حديث البخاري.

ومنهم الشيخ حسن مدكور، والشيخ عبد الرحمن عليش ، والشيخ محمد أبو القاسم الحجازى والشيخ عبد الحي الكتانى، والشيخ أبو الخير الميدانى شيخ علماء سوريا، والشيخ أحمد الشريف الغمارى ، وأخوه الشيخ عبد الله الغمارى ، والشيخ على أدهم المالكى السودانى ، والشيخ حسن المشاط من علماء مكة المكرمة، والشيخ مصطفى صفوت، والشيخ عبد الحليم

---

[116] نفس المصدر السابق

إبراهيم ، والشيخ أبو يوسف ، والشيخ محمد الحلبي، والسيد عبد الخالق الشبراوي، والشيخ محمد عطية البقلي، والشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى المالكى، والشيخ محمد العناني شيخ السادة المالكية ، والشيخ الدليشنى، والشيخ سلامة العزامي، والشيخ صادق العدوي، والشيخ أحمد وديدي من بلدة رومي بالسودان، والشيخ على محمد إمام وخطيب مسجد دنقلا، والشيخ حسن أفندي، والشيخ على بن عوف، والشيخ أحمد النجار المدرسان بمسجد دنقلا - رحمهم الله – وغيرهم من المشايخ بالأزهر الشريف.

هذه الكوكبة من العلماء العاملين العارفين كان لها عظيم الأثر في سعة علم الشيخ مع ما وهبه الله من ذكاء وقوة حافظة، فأكب الشيخ على دروسه وجاهد وثابر حتى نال الشهادتين العالية والعالمية من الأزهر الشريف، ثم أصبح صاحب حلقة ومدرسًا بالأزهر الشريف.

117

يقول الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي عن الشيخ صالح الجعفري:

ومن مواقف الشيخ التي بلغ التأثير فيها روعته موقفه في رثاء أستاذه الكبير الشيخ يوسف الدجوى فقد كنا طلابًا في كلية اللغة العربية ، ونادى الناعي معلنًا بوفاة الشيخ الكبير ومحددًا ميعاد الجنازة فسارعت إلى توديعه ، وكان المشهد مؤثرًا ، تتقدمه جماعة كبار العلماء ، برئاسة أستاذهم الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق (شيخ الأزهر في ذلك الوقت) وحين بلغ الموكب فيها نهايته عند القبر انتفض الشيخ صالح الجعفري خطيبًا يرثى أستاذه فبدأ مرثيته مستشهدًا بقول رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم- : (إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) ثم أفاض فى إيضاح منزلة العالم الفقيد وأشاد ببعض مواقفه الجريئة أمام المبتدعة والملاحدة ، وكان جلال الموقف ورهبة المناسبة واحتشاد الجموع مما جعل نفس الراثي ممتداً يتسع ويتدفق ويجيش ، وكان لصوته الحزين هزة تحرك النفوس وتعصف بالألباب، وما أن انتهى الخطيب من مرثيته حتى سأل عنه الأستاذ الأكبر معجباً ، ثم بادر بتعيينه مدرسًا بالجامع الأزهر.

[117] نفس المصدر السابق

ومنذ ذلك الوقت بدأ الشيخ – يلقي دروسه بالجامع الأزهر الشريف، وقد أشربت نفسه حب العلم اقتداءً برسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم - وعن ذلك يقول الشيخ:

وكان – صلى الله عليه وآله وسلم - يرشد الناس بالدروس العلمية وبالقرآن العظيم ، وقد تبعه شيخنا السيد أحمد بن إدريس –رضى الله تعالى عنه- في ذلك فكان يرشد الناس بالقرآن الكريم والعلم، واستمر على ذلك حتى لقى ربه ، وقد سألت الله –تعالى- أن يوفقني إلى ما كان عليه شيخنا العالم السيد أحمد بن إدريس صاحب العلم النفيس رضى الله تعالى عنه.

من أشهر قصائده جدد العهد على خير الوري :118

مرحباً يا مرحبًا يا مرحبًا مرحبًا هذا النبي يا مرحبًا

مرحبًا هادي الطريق يا مرحبًا مرحبًا نعم الشقيق يا مرحبًا

مرحبًا نور الوجود يا مرحبًا مرحبًا هادي الوفود يا مرحبًا

مرحبًا خير الأنام يا مرحبًا مرحبًا بدر الأنام يا مرحبًا

مرحبًا جد الحسن يا مرحبًا مرحبًا جد الحسين يا مرحبًا

مرحبًا يا مصطفى يا مرحبًا مرحبًا يا مرتضى يا مرحبًا

nجدد العهد على خير الوري وانظر النور الذي ليلاً قد سر

واسكب الدمع حلالًا عندما تنظر الروضة يا من حضرا

وانظر النور الذي في وجهه كبر الله كبيرًا أكبرا

وانشق العطر الذي من قبره فاق مسكًا فاق زهرًا أزهرا

---

118 موقع الطريقة النقشبندية العلية

http://aboabdo.ahlamontada.com/t10560-topic

قل له يا مصطفى يا سيدي أنت فضل الله يا سعد الوري

أنت حي بل شهيد جالس مثل شمس مثل بدر أقمرا

يا شفيع يا رفيع قدره من جميع الرسل طراً أشهرا

وبهم صليت لما حضروا عن جميع الرسل كنت الأظهرا

صلوات الله تغشَّى دائمًا. ذلك الوجه الكريم الأنورا

جعفري الأصل يهدي قائلًا جدد العهد على خير الورى

119

<u>ومما نسب له واشتهر على ألسنة المادحين :</u>

رضينا يا بني الزّهرا رضينا بحب فيكم يرضي نبينا

رضينا بالنبي لنا إماما وأنتم آله وبكم رضينا

وبالسبط الحسين كذا أخوه وحيدر ثم زين العابدينا

وزينب من لها فضل سمي. سلالة أحمد في الطيبينا

أمير المؤمنين أبوك حقًا علي ساد جيش العارفينا

وأمك بضعة المختار طه محببة إلى الهادي نبينا

وجاء حديثه يتلى جهارًا وقد سادت نساء العالمينا

إذا اشتقنا إلى خير البرايا. أتيناكم مشاة راكبينا

روح منه والريحان يأتي بزوار أتوكم مخلصينا

---

[119] موقع الشيخ الجعفري

فباب العلم والدكم علي له سيف أباد الكافرينا

رضينا أن نكون لكم ضيوفًا وبالإقبال منكم قد رضينا

وفي نظراتكم سر خفي يسر بسره قلبًا حزينا

ظلام الليل صار بكم ضياء وبدر التمّ صار لكم رهينا

أتشهد للنبي ولست تعطي. بنيه حقهم ودًا مكينا

فزرناهم وللمولى شهدنا. للتوحيد فكانوا شاهدينا

تغنى بالمديح لآل طه. فمدحه غناء المادحينا

واسمع للأحبة كل يوم فمدحه شفاء السامعينا

***

محمد سعيد الكردي

شيخ الطريقة الشاذلية الدرقاوية الهاشمية العلية في بلاد الشام الشيخ محمد سعيد الكردي رحمه الله120، ولد عام ١٨٩٠في الأردن وتوفي عام ١٩٧٢، محمد سعيد بن عجاج بن علي الكردي الأيزولي ، المنسوب إلى الولي الشهير موسى بن ماهين الأيزولي المذكور في كتاب الطبقات الكبرى للإمام الشعراني ، وهذا نسبه من جهة أبيه، أما من جهة أمه، فأمه من ذرية سيدي الجنيد البغدادي رضي الله عنه، وهي من آل المومني عشيرة أردنية مشهورة تقطن جبال عجلون وبهذا ينتهي نسبه من جهة أمه إلى النسب الشريف نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

يعتبر الشيخ محمد سعيد الكردي من المؤسسين الأوائل للتصوف في الأردن و انتشر بفضلهم طريق التصوف في الأردن وسوريا والعراق ، وطريقة الشيخ معروفة بالتمسك بالكتاب والسنة، والمشايخ الذين أخذوا عنه من أكثر المربين دعوة إلى التمسك بمنهج التصوف الصحيح المتمثل بمدرسة الجنيد البغدادي والسري السقطي وغيرهم، أما شيخه الذي أخذ منه الطريق وسلك على يديه حتى صار شيخًا عارفًا متمكنًا بالمعرفة ، هو الشيخ الكبير العارف بالله محمد الهاشمي التلمساني رحمه الله ورضي عنه.

كان الشيخ محمد سعيد الكردي رحمه الله تعالى مثلًا للعلماء العاملين فها هو وريثه في التربية من أخذ الطريق عنه الشيخ العارف بالله عبد الكريم عرابي القائم على الطريقة الشاذلية في الأردن يحدثنا عن الشيخ ويقول صحبت الشيخ إلى منطقة الزرقاء ومكثنا فيها ثمانية أيام بلياليهن وكان آنذاك يؤلف كتاب الأذكار وكنا ننام في غرفة واحدة فما رأيته قد نام لحظة واحدة طيلة الثمانية أيام وكان يقضي ليله إما في كتابة أو ذكر أو مذاكرة وما استيقظت في ليل إلا رأيته يذكر الله.

---

[120] ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، محمد سعيد الكردي

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B3%D8%B9%D9%8A%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D8%AF%D9%8A

وكان محبًّا للنبي وآل بيته الكرام وقد ألف في ذلك كتابًا سماه ؛نشر الأعطار المحمدية في الديار الإسلامية جمع فيه ستين حديثًا عن فضائل آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والشيخ الكردي مدرسة متكاملة بالفقه والتفسير والحديث والتاريخ والتصوف والسيرة ويشهد له تراثه العلمي الذي خلفه.

من مؤلفاته رحمه الله :121

*رسالة التوحيد

*كتاب الأذكار

*نشر الأعطار المحمدية في الديار الإسلامية

*فوائد الأذكار

*مولد الروح النبوية خير الخلائق الكلية

*القصائد الروحية في الأسرار الذاتية وهو ديوان شعر

*دوحة الإمداد في ذكر بعض كرامات أولياء الأكراد -

*في لبس المرآة المسلمة

*عصمة الأنبياء التي خفيت عن الأغنياء

*الطريقة الشاذلية

*التعرف بحقائق التصوف

[121] نفس المصدر السابق

وقام بتحقيق الكتب التالية :

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة الحسني الأجزاء الأول والثاني – رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات للشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رضي الله عنه وأرضاه – شرح حزب البحر للإمام الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه – الشجرة النعمانية الماحقة للطائفة اليهودية للشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رضي الله عنه وأرضاه

قام الشيخ بعدة رحلات خارج الأردن وسوريا منها رحلته إلى الكويت، ورحل إلى مصر بلد الأزهر الشريف و إلى العراق

قصيدة في التوسل بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وآل البيت وأصحاب بدر، ورجال السلسلة إلى سيدنا الحسن البصري رضي الله عنهم أجمعين وهي لشيخنا محمد سعيد الكردي رحمه الله تعالى، مطبوعة ضمن ديوانه ص ٣٦ وهذه أبيات منها؛[122]

رجالَ الله عبادَ الله

أعينونا بعون الله

وشدوا عزمنا بالله

عسى نحظى بفضلِ الله

رسولَ الله حبيبَ الله

أجب يا خيرَ خلقِ الله

[122] موقع الشيخ محمد سعيد الكردي

https://m.facebook.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF%D8%B3%D8%B9%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%B1%D8%AF%D9%8A-220231808072349/

أنا مُلقى ببابِ الله

وأنت بابُ أمرِ الله

فيا طه ويا طس

ويا حم ويا يس

أنا عبدٌ أنا مسكين

وما لي غير باب الله

ويا صِديقَ هديِ الله

ويا فاروقَ حزبِ الله

ويا عثمانَ سرّ الله

أغيثوا عبدَكم لله

أبا الحسنين أيا زهرا

فما لي غيركم ذخرًا

فلا أقبل لكم عذرًا

أنا محسوبُ أهلِ الله

على أعتابِكم ملقى

أجيبوا عبدكم رفقا

فحاشا جاركم يشقى

وأنتم خيرُ حزب الله

أجيبوا طلبةَ الكردي

ولبوا دعوةَ العبد

فلا يخفاكمُ قصدي

فلا أرضى بغير الله

فيا ربي بهم أرجو

من الأغيار أن أنجو

بمن لبوا بمن حجوا

بمن قد نالوا فضلَ الله

أزل عني حجابَ الغين

وأغرقني بعين العين

مرادي مجمعُ البحرين

فذاك سُر ذات الله

فيا أنصار دينِ الله

ويا كتّاب وحيِ الله

ببدر يا رجال الله

تعالوا وانصروا لله

وبالعلوي سنا الكل

بحقِ الهاشمي خِلّي

بسر الضعف والذل

على أعتاب أهل الله ..

الفهـــــــرس

المقدمة ـــــــ ٤

الإهداء ـــــــ ٧

مقدمة الكاتب ـــــــ ٨

البوصيري ـــــــ ١١

ابن عربي ـــــــ ١٤

جلال الدين الرومي ـــــــ ٢٤

الحلاج ـــــــ ٣٠

ابن الفارض ـــــــ ٤٣

السهروردي ـــــــ ٦٠

أبو مدين الغوث ـــــــ ٦٤

أبو الحسن الششتري ـــــــ ٦٨

عبد القادر الجيلاني ـــــــ ٧٢

أبو الحسن الشاذلي ـــــــ ٨٤

ابن مشيش ـــــــ ٩٠

ابن عطاء الله السكندري ـــــــ ١٠٠

الجنيد ـــــــ ١٠٣

رابعة العدوية ـــــــ ١٠٨

الجزولي ـــــــ ١١١

ذو النون المصري ـــــــ ١١٤

الشريف الرضي ـــــــ ١١٨

الكميت ـــــــ ١٢٠

غالب الهمداني ـــــــ ١٢٢

صفي الدين الحلي ـــــــ ١٢٤
محمد بهاء الدين نقشبند ـــــــ ١٢٨
محمد بلقايد الهبري ـــــــ ١٣٣
عمر اليافي ـــــــ ١٣٨
التيجاني ـــــــ ١٤٢
إدريس شاه ـــــــ ١٤٤
محمد بن علوي المالكي ـــــــ ١٤٧
علي عبد العزيز مزيود ـــــــ ١٥٥
محمد زكي إبراهيم ـــــــ ١٥٩
صالح الجعفري ـــــــ ١٦٢
محمد سعيد الكردي ـــــــ ١٧٠

صخرة الكونين

و

برزخ البحرين

كريم محمد الجمّال